

البحث
المُبَكِّي
في سيرة رسول

الله ﷺ

وبناته
الأربع

المؤلف

الحاج بسام جميل محمد الذيابات

2014م

حقوق التأليف والطبع والنشر
جميع حقوق التأليف والطبع والنشر
محفوظة للكاتب والمؤلف الحاج بسام
جميل محمد الزيابات، ولا يجوز نشر
أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزال
مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله
على أي وجه، أو أي طريقة، سواء
كانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أم
بالتصوير، أم بالتسجيل، أم بخلاف
ذلك. إلا بموافقة المُعد نفسه،
ومُقدماً.

الحاج بسام جميل محمد الزيابات

بسم الله الرحمن الرحيم

(...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا) الأحزاب (33)

صدق الله العظيم

في الصحيحين - والنقل من البخاري - أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، أخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بأمرها فقال: (مَنْ بُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ)

(خديجة) أم المؤمنين الأولى / ووزير النبي صلى الله عليه وسلم: (والله ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدقني إذ كذبتني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء) من حديث السيدة عائشة أخرجه الإمام أحمد.

الإهداء

إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته أجمعين رضي الله عنهم وإلى مَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم إلى روح والدي العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى جميل محمد عبدالله ذيابات (أبو إسلام).

ذَكَرْتُكَ يَا أَبِي وَأَنَا أَكْتُبُ هَذِهِ السَّيْرَةَ العَطْرَةَ ولما فَرَغْتُ منها شعرتُ كأنما كُنْتُ معي تكتبها لي وتُملِّئها عليّ، وإني أهديتها إليك تحية بر ووفاء.

فهي تُذكّرني بأيام الصِّبا عندما كُنْتُ أباهي بك أصحابي وأترابي جميعاً، ولم أنس يا أبي على بُعد الزمان ومرور السنين مجلسك فينا مع والدي وإخواني وأخواتي نُحدِّثُنا عن الدين وعن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أشرقتنا حبه منذ الصغر، فقد كنت أباً ومعلماً وصديقاً، ثم إلى والدي، أبقاك الله مع حُسن العمل ورحم أبي ثم إلى إخواني وأخواتي وعائلاتهم جميعاً وإلى زوجتي وأطفالي جميعاً.

المؤلف

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته أجمعين وبعد:

فإن القرآن الكريم كلما قرأته تجدد في نفسك، واطمئن له قلبك وحسن سلوكك واستنار له فكرك وكذا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً سيرته عليه الصلاة والسلام فكلما قرأتها تأثرت بها وعشتها كأنك ترى شخصها بادية لك، كيف لا وهي التطبيق العملي والفعلي من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله تعالى عنهم للقرآن الكريم كلام رب العالمين.

وهذا البحث الذي بين يديك فإن قراءته تجدد لك معلوماتك وتعيد ترتيب أفكارك فكلما كثر البشر تجدد احتياج الناس إلى مَنْ يكتب لهم السيرة ويقدمها كأتمها ولدت اللحظة، وقد كُتِبَت السيرة مرات ومرات بأقلام مختلفة وستبقى تُكتب وتُكتب ما بقي الزمان واستدار، فهنيئاً لمن عاش سيرة الحبيب ﷺ بوجدانه ثم سطرها بينانه ولأن حاجة الناس لا تنتهي ورغبتهم لا تنقطع وضعفهم ظاهر فكلما حوصروا وَضِيقَ عليهم احتاجوا إلى التآسي والإقتداء بسيرة خير الأنام.

فَيُشَخِّصُ لهم مَنْ يُدَكِّرُهُمْ بما به يقتدون، وكلُّ يقدم السيرة العطرة حسب اجتهاده وتأثره فمنهم مَنْ يقدمها دروساً وعبر، ومنهم مَنْ يقدمها كما هي ليستخلص القارئ منها بنفسه الفوائد ويفهم منها اللطائف والفرائد، وقد جاء في البحث الذي بين يديك جمع من المعلومات التي تدمع لها عينك ويرق لها قلبك لأني قد كتبتها بشغف وتأثر حيث تقشعر لأحداثها الأبدان، فالله اسأل أن يتقبل عملي ويجعله في ميزان حسناتي ووالدي وأهلي وميزان كل مَنْ ساعد على نشره.

مدخل للبحث

تمهيد:

قال الأستاذ إبراهيم العلي+ - صاحب كتاب (صحيح السيرة النبوية) إنها (أي كتب المغازي والسير) تلي القرآن الكريم والحديث الشريف، مما يعطيها قيمة علمية كبيرة، وإن أوائل مصنفات السيرة قد كُتبت في عصر مبكر، فالصحابة لا زال الكثير منهم على قيد الحياة وهم على علم دقيق وواسع بالسيرة النبوية، لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، هذا التبكير في الكتابة قلل "إلى حد كبير" من احتمال تعرضها للتحريف أو المبالغة والتهويل أو الضياع.

فالسنة: هي كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

أما السيرة: فهي الطريقة والهيئة، وهي ما نقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، فهي تشمل على جميع الأحوال التي تختص به صلى الله عليه وسلم.

مكة / بكة

قال رسول الله ﷺ: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة)¹ حديث شريف.

حيث ورد اسم مكة في القرآن الكريم: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الفتح: 24) (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (آل عمران: 96).

كما ورد اسم مكة في السنة الشريفة، قال الرسول ﷺ: (إن هذا البلد حرام، لا يُعصد شجره، ولا يختلى خلاه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمعرفة)².
مكة معناها، نقول: مكّ الفصيل الضرع أي امتص ما فيه من لبن وسميت مكة لأن أهلها يمتصون ما فيها من ماء.

أما بكّة فمعناها، نقول: بكّ المكان أي ازدحم، لأن الناس يزدحمون فيها عند البيت الحرام فيختلط الرجال بالنساء ونقول أيضاً: بكّة إنها تبك أعناق الظلمة، والجبارة يذلون لها ويخضعون، وأسماءها: مكة، بكّة، البيت العتيق، البيت الحرام، البلد الأمين، وأم القرى، ومناخ مكة حار جاف وأرضها صحراء قاحلة لا ماء ولا خضرة، وهي وادٍ بين جبال، (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم: 37).

تقع مكة المكرمة في الطريق المعبد للقوافل بين اليمن والشام بوادي جبال الشراة، ولها مكانة كبيرة في قلوب الناس من عدة مسارب أهمها: الدينية = (التوحيد) ففيها الكعبة البيت الحرام أشهر معلم ديني في العالم (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

¹ - أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ومده (2129).
² - مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس (2896).

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المائدة: 97) ومعنى الكعبة: قيل لها كعبة لتربع أعلاها.

وكعبتُ الشيء أي رعبته، والكعبة: البيت المربع وجمعه كِعَاب، وسميت كعبة لارتفاعها وتريعها وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة، وقد جعلها الله تعالى المكان الذي يتزكى فيه الناس وهو أول بيت عبادة لله تعالى في الأرض، وقد بنتها الملائكة عليهم السلام حيث أعاد بناءها سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام بأمرٍ من الله تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة: 127).

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

ومن المعروف أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما قدم مكة وضع أم إسماعيل عليها السلام وابنها تحت روضة فوق زمزم، وليس بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماء ووضعه عندهما جراباً فيه تمر وسقياً فيه ماء ثم قضى إبراهيم عليه السلام منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل عليها السلام ونادته أين تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال نعم، قالت: إذن لا يضيئعنا، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم: 37).

وجعلت أم إسماعيل عليها السلام ترضعه وتشرب من الشئنة، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل إليها حتى إذا بلغت الوادي سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات.

فإذا هي بصوت فقالت: أغيث إن كان عندك خير، فإذا بجبريل فقال بعقبه على الأرض فانبتق الماء فذهبت أم إسماعيل عليه السلام فجعلت تحفر وتغرف الماء في سقائها، قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن هاهنا بيتاً لله بينه هذا الغلام وأبوه، إن الله لا يُضَيِّعُ أهله، وبينما أم إسماعيل عليه السلام تعيش مع ولدها إذ مرت بهم رفقة من قبيلة جرهم فاستأذنها بالنزول عندها فقبلت، وشبَّ الغلام وتعلم العربية منهم وتزوج ثم ماتت أم إسماعيل عليه السلام.

وجاء إبراهيم عليه السلام فوجد زوجة ولده فسألها عن حالتها مع زوجها فأجابته إجابة لم تعجبه فقال لها: قولي لزوجك يُعَيِّرُ عتبة بيته، ففهم إسماعيل عليه السلام فطلقها، ثم تزوج امرأة ثانية وبعد فترة جاء إبراهيم عليه السلام فسأل زوجة إسماعيل عليه السلام عن عيشها فأجابته إجابة أعجبته فقال لها: قولي لزوجك يثبت عتبة بيته فلم يطلقها، ثم انطلق فلبث فترة ثم جاء فوجد إسماعيل عليه السلام فتعانقا وطلب إبراهيم من إسماعيل عليهم السلام أن يبنيا البيت فبنياه ليكون أول بيت يُعبد فيه الله تعالى على الأرض وهما يدعوان: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:127) (رَبِّ اجْعَلْني مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) (إبراهيم:40).

وهكذا أصبح الدين والتوحيد في العرب من أهل مكة وما حولها إلى أن دخل الشرك والوثنية.

دخول عبادة الأصنام

ومن مكانتها الدينية، الوثنية وعبادة الأصنام ولا زال العرب على التوحيد ودين إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام حتى رقى أمرهم وضعف التزامهم، فأدخلوا في الدين ما ليس منه وغيروا في المناسك كالوقوف بعرفة والمزدلفة والطواف حيث طافوا عراة يصفقون ويصفرون وفي ذلك نزل قوله تعالى: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) (الأنفال:35).

وبقوا على ذلك حتى دخلت عليهم عبادة الأصنام والأوثان، فكانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً كثيرة اتخذوها رمزاً لألهتهم ويعبدون النجوم والكواكب لكن عبادة الأصنام الأكثر والأشهر شيوعاً، وأول مَنْ أدخل عبادة الأصنام هو عمرو بن عامر الخُزاعي، قال الرسول ﷺ لأَكنتم بن الجون الخُزاعي: "يا أَكنتم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبهه برجل منك به ولا بك منه" فقال أَكنتم: عسى أن يضريني شبهه يا رسول الله! قال: لا، إنك مؤمن وهو كافر إنه أول مَنْ غيَّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحَمَى الحامي"³.

حيث أنه رجل نشأ على أمرٍ عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين فأحبه الناس وملَّكوه وصار ملك العرب وجعلوا ولاية البيت أي الكعبة بيده، وظنوا أنه من أكابر العلماء وهو سيد خزاعة، وكان له كاهناً له رثي من الجن فأتاه فقال له: عَجَّل السير والظعن من تَهامة بالسعد والسلامة، إئت جدَّة تجد أصناماً معدَّة، فأوردها تَهامة ولا تَهَب وادع العرب إلى عبادتها تُحِب، وحضر الحج ودعا العرب إلى عبادتها، هذه رواية.

وفي سيرة ابن هشام: أن عمرو بن لحي خرج من مكَّة إلى بلاد الشام ورآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي تعبدونها؟ قالوا له: نستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا.

فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه، فأعطوه صنماً يقال له هُبَل فَقَدِم به مكَّة، وأمر الناس بعبادته حتى أصبحوا (كنانة وقريش) يَهَلُّوا (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك).

فكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة يقال له هُبَل، واتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجل وامرأة من

³ - أخرجه الحاكم في مستدرکه(605/4) وقال صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه(191/1) وأخرجه البيهقي في سننه(341/3).

جرهم هو إساف بن بقي ونائلة بنت ديك، فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرتين.

وانتشرت الأصنام فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره كان أول ما يبدأ به هو التمسح بالأصنام وهنّ: صنم اللات كانت لثقيف بالطائف، وصنم مناة كانت للأوس والخزرج، والعزى كانت لقريش وبني كنانة.

وكانت لهم بيوت يعظّمونها كتعظيم الكعبة حيث يُهدى إليها ويُطاف حولها ويُحرق عندها ككعبة ذي الخليفة وكعبة الطائف وكعبة مكة وعندها ثلاثمائة (300) صنماً منها مناف، رضا، تيم، وشمس، وذو الخليفة، بجيلة، وازدر سراه، عم أنس، ومنها لها صور، صنم فود على صورة رجل، سواع على صورة امرأة، يغوث على صورة أسد، يعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر.

أيضاً كان لهذه الأسماء معاني يغوث تعني يُعين، ويعوق بمعنى يحفظ ويمنع، وكانوا يتسمّون بما فيقال عبدا لعزى، عبد مناف، عبد اللات، عبد الزهرة، عبد مناة... وكانوا يوقدون عندها النار، ولكل قبيلة صنم قد ورّعها عمرو بن لحي، فقبيلة عذرة لها ود مكانه بوادي القرى بدومة الجندل، وقبيلة مضر لها سواع مكانه بأرض يقال لها وهاط، وقبيلة مذحج لها يغوث وكان بأكمة باليمن، وقبيلة همدان لها يعوق في قرية اسمها خيوان، وقبيلة جَمِير لها نسر كان بموضع سبأ.

أبرهة يغزو الكعبة

ومما زاد في مكانة مكة المكرمة الدينية أن غزاها أبرهة الحبشي، وهو أبرهة بن الصُّباح وكان عاملاً للنجاشي ملك الحبشة على اليمن، فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة "شرقها الله" فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: أني بنيت لك كنيسة لم يُبنَ مثلها ولستُ منتهياً حتى أصرف إليها حج العرب (أي بدل الكعبة) فسمع بهذا الكلام رجل من بني كنانة، فدخلها ليلاً فطّخ قبلتها بالعذرة، فقال أبرهة:

مَنْ الذي اجترأ على هذا⁴؟ قالوا: رجل من أهل ذلك البيت، فحلف أبرهة ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيلة وكان له فيل يقال له: محمود لم يُر مثله عظماً وجسماً وقوة فبعث به إليه.

وخرج أبرهة سائراً إلى مكة فسمعت بذلك العرب فأعظموه ورأوا قتاله واجب عليهم، فخرج له ملك من ملوك اليمن يقال له: ذو نفر فقاتله فانتصر عليه أبرهة وأسرته، فلما مرَّ أبرهة بالطائف خرج إليه مسعود بن متعب في رجال من ثقيف فقال له: أيها الملك نحن عبيدك وسوف نبعث معك مَنْ يُدلك، فبعثوا معه أبارغال الذي مات بالمغمس وهو الذي يُرجم قبره، وهناك بعث أبرهة رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود ابن مفضود معه رجال، وأمره بالهجوم على الناس فجمع الأسود أموال الحرم وأصاب لعبدالمطلب مائتي بعير (200) ثم بعث رجلاً من حمير إلى أهل مكة فقال: أبلغ شريفها⁵ أنني لم آت لقتال بل جئت لأهدم الكعبة، فقال عبدالمطلب: ما لنا به يدان⁶، سنخلي بينه وبين ما جاء به فقام عبدالمطلب فذهب إليه.

فقالوا لأبرهة: إن هذا سيد قريش يستأذن عليك وقد جاء غير مخالف لأوامرك، فطلب عبدالمطلب من أبرهة أن يزيد المائتي (200) بعيراً التي أصابها من ماله، فقال أبرهة: جئت إلى بيتٍ هو دينك ودين آبائك وشرفكم وعصمتكم لأهدمه، فلم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير؟ قال عبدالمطلب: أنا رب الإبل والبيت له رب يمنعه منك، فقال أبرهة: ما كان ليمنعه مني قال عبدالمطلب: فأنت وذاك وأمر بإبله فؤدت إليه.

وخرج عبدالمطلب وأمر قريشا أن يتفرقوا بين الجبال والشعاب، فلما أصبح أبرهة بالمغمس وتهيأ للدخول وعباً جيشه وهياً فيله، أقبل نفيل بن حبيب الحثعمي إلى الفيل فأخذ بإذنه وقال: أبرك محمود فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل، فضربوا الفيل بالحديد مع العلم أن الفيلة لا تبرك ثم إنهم وجهوه باتجاه اليمن فقام يهرول وباتجاه

4 - أي مَنْ فعل هذا.

5 - شريفها هو عبدالمطلب.

6 - يدان: أي لا نستطيع مقاومة جيش أبرهة.

الشام قام يهرول وإلى المشرق قام يهرول ثم وجَّهوه إلى مكَّة فبرك الفيل، فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر كل طائر معه ثلاثة حجارة ترمي بها عليهم فمنهم مَنْ مات، ومنهم مَنْ هرب إلى اليمن ثم أرسل الله على أبرهة داءً⁷ في جسده فجعلت تساقط أنامله حتى انتهى إلى صنعاء وهو مثل الفرخ وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه.

ومما زاد في مكانتها (مكَّة المكرمة) أنها كانت أكبر مركز تجاري فقد كان التصادم بين الفرس والروم سبباً لازدهار التجارة فيها، وتمبط أكثر تجارة الشمال والجنوب فيها وقوافلها تجوب الصحراء العربية إلى الجنوب في اليمن وحضرموت وإلى الشرق في الحيرة والشمال بصرى والشام وغزة ومصر.

قال تعالى: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)) (قریش 1-4).

وكانت مركز العرب الثقافي حيث الأسواق الشعرية كسوق عكاظ ومجنة وذبي المجاز.

وفيهما دار الندوة⁸ يجتمع فيه أصحاب الثراء، ومَنْ بلغ الأربعين ينظرون في شؤون مكَّة التجارية والدينية، وهم قبائل عدة منها جرهم وهي القبيلة التي كانت زمن سيدنا إسماعيل عليه السلام حيث شاركوا أمه في السكن حول الماء (زمزم) وخزاعة حيث جاءت من اليمن وقريش التي تزعمت مكَّة دينياً وتجارياً وسياسياً وحرانياً.

⁷ - داءٌ: المرض.

⁸ - دار الندوة: وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها.

من عادات وأخلاق الجاهلية

وانتشرت في مكة عادات سيئة مثل الزنا وشرب الخمر والقتال والأخذ بالثأر ووأد البنات وهي دفن البنت وهي على قيد الحياة عندما تلدها أمها.

وأخرج الحافظ ابن حجر، قال أبوبكر لقيس بن عاصم رضي الله عنهم: ما حملك على أن وأدت؟ وكان أول من وأد فقال: خشيت أن يخلف عليهن غير كفاء.

قال عمر بن الخطاب: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: إني وأدت ثماني بنات لي في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: إعتق عن كل واحدة منهن رقبة⁹.

ويصف لنا الزمخشري كيفية الوأد فقال: يخرج الرجل وليدته وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيدسها هناك ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر، وقيل كانت الحامل إذا أوشكت على الوضع حُفرت حفرة ونقلت قريباً منها، فإذا ولدت بنتاً رموا بها في الحفرة، وإن ولدت ذكراً أمسكوا وعادوا به، وأصبحت القبيلة هي الحكم، لكن كان عندهم بعض الأخلاق الحميدة مثل الكرم والشجاعة ونصرة المظلوم وكان الناس طبقات أغنياء وفقراء وعبيد.

ها هي مكة بمناخها ودينها وتجارها وموقعها وثقافتها وأخلاقها وعصبيتها تستعد لاستقبال أعظم مخلوق وأكرم نبي ﷺ فيحول كل خطأ إلى الصواب ويرد كل سيء إلى الحسن.

⁹ - الراوي: عمر بن الخطاب، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أوالرقم: (137/7).

أما الآن فهي البداية . . . قصة ماء زمزم

فعندما قال عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال: احفر زمزم، إن حفرتها لم تندم، وهي تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تدم، تسقي الحجيج الأعظم، مثل نعام جحافل لم يقسم.

فعدا عبدالمطلب بمعوله ومعه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولد غيره، بعد أن قيل له إن المكان عند قرية النمل حيث ينقر الغراب، وفعلاً حتى إذا همَّ بالحفر بين وثني إساف ونائلة قامت إليه قريش تصده قائلة: والله لا نتركك تحفر بين وَثْنَيْنَا هذين اللذين ننحرندهما، فالتفت عبدالمطلب إلى ابنه الحارث وقال: دُدْ عني حتى أحفر فوالله لأمضين ما أمرت فيه.

فأخذ يحفر ويحفر، فلما بدت له الحجارة التي طويت تحتها البئر رفع صوته مكبراً فعرفت قريش أنه أدرك حاجته، فقالوا: يا عبدالمطلب إنما بئر أبينا إسماعيل عليه السلام وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصصتُ به دونكم وأعطيته من بينكم.

فقالوا: إنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: نضرب عليها القداح، حيث أنه وجد غزالين من ذهب وأسيافاً قلعية ودروعاً، فجعل للكعبة قدحين وله قدحان ولقريش قدحان فَمَنْ خرج له قدحاه على شيء أخذه، ومَنْ تخلف قدحاه فلا شيء له، وضربت القداح فخرج قدحاه الكعبة على الذهب وقدحاه عبدالمطلب على الأسياف والدروع وتخلف قدحاً قريش.

فداء والد النبي ﷺ

ومن بعدها أقام عبدالمطلب سقاية زمزم للحجاج لا ينازعه فيها أحد ثم نذر يومئذ: لَإِنْ وُلِدَ لَهُ عَشْرَةٌ نَفَرَ ثُمَّ بَلَغُوا مَعَهُ بِحَيْثُ يَمْنَعُونَهُ، لِيَنْحَرَنَّ أَحَدُهُمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ¹⁰.

وفعلاً فقد رزقهُ الله تعالى عشرة من الأبناء وكان عبدالله أصغرهم، ودعاهم إلى الوفاء لله تعالى بنذره فلبُّوا طائعين، وانتشر الخبر فجأة في مكَّة المكرمة، ودخل إلى هُبَيل في جوف الكعبة وأخبر صاحب القِداح بنذره وأعطى كل واحدٍ من ابنائه قَدْحاً¹¹، وقاوم عبدالمطلب عاطفة الأبوة وقال: اضرب على أولادي القِداح هذه، وهو ينظر إلى أصغرهم عبدالله، وضرب صاحب القِداح القَدح، فخرج القَدح على عبدالله فبكت بنات عبدالمطلب وكنَّ قِياماً ينتظرنَّ أمر الله تعالى.

ووصل الخبر إلى بنت وهب (آمنة) فخفق قلبها عطفاً وحناناً في انتظار اللحظة الحاسمة.

هنالك جمع الشيخ نفسه وأخذ فتاه الغالي (عبدالله) بيد وأمسك الشفرة باليد الأخرى ثم أقبل به على إساف ونائلة ليذبحه.

وَوَطَّئَتْ آمَنَةُ بِنْتَ وَهْبٍ إِنَّهُ سَيَذْبَحُهُ وَتَمَّتْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَوْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَنْطَلِقَ مَعَ قَوْمِهَا وَهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَى الْحَرَمِ مَهْرُولِينَ حَتَّى يَنْقُذُوا عَبْدَ اللَّهِ مِنَ الْمَوْتِ، لَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَفَاتَ أَوَانُ الدَّعَاءِ.

لكن قريش قامت إليه وقالوا: ماذا تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أفي بنذري، قالوا: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِرَ فِيهِ، لَإِنْ فَعَلْتَ هَذَا فَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَأْتِي بَابِنَهُ حَتَّى يَذْبَحَهُ.

فوثب المغيرة بن عبدالله المخزومي وأمسك بيد عبدالمطلب وهو يصيح بأعلى صوته: والله لا تذبحه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت شيوخ قريش: يا عبدالمطلب

¹⁰ - ابن هشام (1/43-46)، تفهيم القرآن (6/462-469).

¹¹ - قدحاً: الإناء الذي يوضع فيه الماء .

انطلق بولدك إلى عَرَافَةَ بخير لها تابع فَسأَلها إن أَمَرْتَك أن تذبجه فاذبحه وإن أَمَرْتَك بأمرٍ فيه فرج قبلته.

فانطلق عبدالمطلب وابنه عبدالله والركب في طريق خيبر يلتمسون الكلمة الفاصلة من عَرَافَةَ الحجاز، وشهدت تلك الليالي نساء كرىمات يتعلقن بالكعبة متوسلات مبتهلات ثم يذهبن إلى الصفا والمروة يدعون الله أن يستجيب لهنَّ كما استجاب لهاجر في هذا المكان، وأن ينقذ عبدالله كما أنقذ جده إسماعيل عليه السلام.

وعندما وصل عبدالمطلب وابنه عبدالله وقريش إلى العَرَافَةَ في خيبر جلسوا، وهناك قَصَّ عبدالمطلب ما أراد به وفاء نذره، فقالت: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فلما مضوا قام عبدالمطلب ليلته يدعو ربه ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبر كم الدية فيكم؟ أجابوا عشرة من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلدكم وقربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها القداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل عشرة حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنده فقد رضي ربكم.

وفعلاً وعندما عاد عبدالمطلب أحضر الإبل وضرب القداح بين ابنه عبدالله والإبل فوق القداح على عبدالله فافتداه بعشرة أخرى ثم وقع عليه القداح فافتداه بعشرة أخرى من الإبل وهو قائم يدعو عند هُبَل حتى أصبح من الإبل مائة (100) وهناك وقعت القداح على الإبل، فقالت قريش ومن حَضَرَ: قد انتهى، رضي ربك يا عبدالمطلب، فزعموا أن عبدالمطلب قال: لا والله حتى اضرب عليها ثلاثاً فضربوا على عبدالله وعلى الإبل ثلاث مرات، فخرجت على الإبل فُنُحرت ثم تُرُكت لا يُصد عنها إنسان ولا يُمنع.

زواج والد النبي ﷺ من آمنة

ثم انصرف عبدالمطلب ومعه ابنه عبدالله آخذاً بيده إلى منزل وهب، وآمنة تمشي في الطريق وحدها إلى أبيها لتسأله كيف كانت النجاة لأفضل شباب هاشم، لكنها فوجئت بأبيها يقف بباب الدار مرحباً بالوافدين الكرام (منزل وهب بن عبدمناف بن زهرة، وهو سيد بني زهرة نسباً وشرفاً) فلم يطل بآمنة الوقت لتعرف الخبر السعيد، فلقد أقبلت عليها أمها برة متهللة الوجه لتحدثها عن عبدالله كيف افتدي من النحر وأخذت تروي لها وهي في حجرتها.

هناك دخل عليها وهب فقال لابنته آمنة في رقةٍ وحنو: يا بنتي يا آمنة، إن شيخ بني هاشم جاء يطلبك زوجة لابنه عبدالله، فطاب لآمنة أن تبقى في حضن أمها صامتة هادئة من الدهول.

هنيئاً لك يا آمنة، لقد ظفرت بمنّ تقطعت قلوب سيدات مكة من أجله، واستغرقت الأفراح ثلاثة أيام ثم راحت آمنة تودّع أهلها وأترابها وصواحب صباها وتمّ الزواج.

البشرى: وسمعت هاتفاً يهتف بها في رؤياها أنك قد حملت بسيد هذه الأمة. وكان عبدالله يتحدث مع زوجته آمنة بلطف وحنان، ويخبرها بعد أن نجا من الذبح تعرضن له نسوة وعرضن عليه الزواج فأبى فممنهن قُلنَ الآن: (أي بعد زواجي منك يا آمنة) لقد فارق النور الذي كان معك بالأمس يا عبدالله، وقالت ليلى العدوية: مررت بي يا عبدالله وبين عينيك غُرةً بيضاء فدعوتك فأبيت عليّ ودخلت على آمنة فذهبت بها.

الفراق بين والدي النبي ﷺ

وبقي عبدالله مع آمنة أياماً لم يحدد لنا الرواة عددها، لكنها عند جمهرة المؤرخين لم تتجاوز العشرة أيام، ثم حانت ساعة الفراق، ودّع عبدالله آمنة حين أذن المؤذن برحيل القافلة باتجاه الشام وغزة فكان الوداع الذي لا لقاء بعده.

ومرت أيام وليالي وآمنة في بيتها لا تبرحه وحاول عبدالمطلب وأهلها أن يصرّفوها عن وحدتها حرصاً على صحتها لكنها آثرت العزلة، ومضى شهراً لا جديد سوى أنّ آمنة شعرت بالبوادر الأولى للحمل شعوراً رقيقاً لطيفاً.

قالت عمّة الأسدي عن آمنة قالت: ما شعرت بأني حامل به، ولا وجدت له ثقله كما تجد النساء إلا أُنكرت رفع حيضتي على أنّها كانت ربما ترفعني وتعود، فأتاني آتٍ وأنا بين النوم واليقظة فقال: هل شعرت بأنك حملت؟ فكأنني أقول: ما أدري! فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونيهاً ﷺ فكان ذلك مما يئسّ عندني الحمل. وأهل الشهر الثاني وأن للقافلة أن تعود، فتهيأت آمنة للقائه وشيك بعد أن علمت وصول القافلة، وطال بما الانتظار حتى أصابها الخوف وخاصة أن جاريتها بركة أم أيمن ذهبت منذ شاع خبر قدوم المسافرين إلى مكّة ولم ترجع، فقالت في نفسها: لعلّه يطوف بالكعبة! أو لعلّه بصحبة أباه الشيخ! وهناك جاء القادم: (أي فجأة) جاء الخبر الأليم، وأيُّ خبرٍ يا آمنة.

وإذ عبدالمطلب في صحبة أبيها ونفر من الأقربين وكانت الجارية بركة أم أيمن تمشي خلفهم متخاذلة تحاول أن تخفي دمعة أفلتت من مقلتيها. فقال قائل وهو يتحاشى النظر إليها: بعض الشجاعة يا آمنة إنهما وعكة صحية طارئة ألمت به وعمّا قريب يبرأ ويعود إلينا سالمًا.

موت عبدالله والد النبي ﷺ

وقال عبدالمطلب: هو ذاك يا آمنة خلّفناه بيثرب عند إخوانه، وبعثت إليه أخاه الحارث كي يكون معه فتُوي إلى صبرك وادعي له، قالت في ضعف: أفعل يا عم، وأتم الشهر الثاني دورته وآمنة على حالها تُجاهد ما استطاعت من الصبر، وتلوذ بالدعاء لعل الله تعالى يرُدّ عليها ذاك الغائب الذي أفتدي بالأمس أغلى فداء.

وكانت تعاودها في لحظات نومها القصيرة، رُؤيا ملحة عن جنين عظيم تحمله
وتسمع الهاتف يبشرها بأعظم نبوة، فإذا صَحَّتْ من نومها شَقَّ عليها¹² ألا تجد عبدالله
بجانبيها.

وبعد حين ...

عاد الحارث من يثرب وحده لينعى أخاه الشاب عبدالله إلى أبيه الشيخ وزوجه
العروس وبني هاشم والقريشيين جميعاً.

لقد غاله الموت بين إخوانه ودُفن قبل وصول أخيه الحارث (هذه المرة لم يُقبَل فيه
أيُّ فداء) هناك سمعت آمنة الصراخ والبكاء في بني هاشم والقريشيين فأصابها الخوف
والذهول فما تُصدق هذه الفوضى وهذا البكاء، حتى جاءها الخبر الأليم: يا آمنة يا
آمنة ... يا آمنة ... مات عبدالله بعيداً عن أهله ودُفن هناك، فلم يلتقوا عليه نظرة
الوداع اصبري على ألم الفراق.

مات عبدالله بن عبدالمطلب في المدينة المنورة ودُفن في دار النابغة الجعدي وله إذ
ذاك خمس وعشرون سنة وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله ﷺ وبه يقول أكثر
المؤرخين، وقيل توفي بعد مولده بشهرين¹³.

وجمت آمنة للخبر وقست عينها فما تسعفاها بيبكاء، يا زوجي ... يا عبدالله
... ثم قالت:

عفا جانب البطحاء من زين هاشم وجاور لحداً خارجاً في الغمام
دعته المنايا دعوة فأجابها وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره تعاوده أصحابه في التراحم
فإن يك غالته المنون وريبها فقد كان معطاء كثير التراحم
وَوَجَدَ عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً، ولبست مكّة كلها ثوب
الحداد على الشاب الذي غالته المنون غريباً وهو في ريعان شبابه.

¹² - شق عليها: أي حزنت

¹³ - ابن هشام(158/1،156)، فقه السيرة لمحمد الغزالي ص(45)، رحمة للعالمين(91/2).

وتتابع أهلها يحاولون أن يعزوها وهي تأتي أن تقبل في عبدالله العزاء، وأنزل الله سكينته على آمنة فبدأت تفكر في ابنها الذي سوف يولد يتيماً الذي يحيا بها وتحيا به. وعندما أصبحت في شهرالحرم قبل مولد رسول الله ﷺ بخمسين يوماً أو بخمس وخمسين يوماً، دخل جيش أبرهة حتى يهدم الكعبة، فخرجت قريش وتفرقت في الشُعاب وصعدت رؤوس الجبال خوفاً على أنفسهم من جيش أبرهة. لكن الرؤى قد عاودت آمنة في صدر ليلة مقمرة من ليالي ربيع الأول وسمعت من يهتف بها من جديد، أنها توشك أن تضع سيد هذه الأمة وأمرها أن تقول حين تضعه: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم تسميه محمد ﷺ. وروي أن رسول الله ﷺ قال: "أنا ابن الذبيحين"، يعني إسماعيل وأباه عبدالله¹⁴.

مولد رسول الله ﷺ يتيماً

وجاءها المخاض في أوان السحر فجر الاثنين من شهر ربيع الأول من عام الفيل وهي وحيدة في دارها ليس عندها سوى جاريتها بركة أم أيمن، وفي رواية أن أم عثمان بن أبي العاص الثقفي كانت كذلك معها، وما كاد نور الفجر ينبثق¹⁵، حتى كانت قد وضعت وليدها كما تضع كل أنثى من البشر، فتقول أم عثمان: فما من شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم ترنو مني حتى أني لأقول: لَتَتَعَنَ عَلَيَّ، وأسند ابن سعد من عدة طرق عن آمنة قالت: رأيت كأن شهاباً خرج مني حتى أضاءت له الأرض.

قال رسول الله ﷺ: "رأت أُمِّي حين وضعتني صدع منها نورٌ أضاء قصور بصرى"¹⁶ وأسند الحافظ: لما كانت ليلة مولد رسول الله ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة

¹⁴ - ابن هشام(151/1 - 155)، رحمة للعالمين(2/89-90) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبدالله النجدي ص(23،22،12)

¹⁵ - ينبثق: أي يطلع.

¹⁶ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده(5/262) وفي مجمع الزوائد(8/224) وعزاه للطبراني وقال ورجاله ثقات، وعند ابن سعد في الطبقات(1/98)(1/104)

ساوة، ورأى الموبدان إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها،
وانبلج الصباح.

فكان أول ما فعلته الوالدة أن بعثت إلى الجد عبدالمطلب يبشرى المولد، فأقبل
مسرعاً وحمل الوليد العزيز ﷺ بين ذراعيه في رفق وانطلق خارجاً حتى أتى الكعبة وقام
يدعو الله ويشكر له أن وهبه ولداً من ابنه الفقيد الغالي.

عن حسّان بن ثابت قال: والله إني لغلام يفعة¹⁷، ابن سبع سنين أو ثمان أعقل
كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمه¹⁸ بيثرب (المدينة المنورة
على ساكنها الصلاة والسلام) يا معشر اليهود حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويك ما
لك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به¹⁹.

وبعد أن أعاد عبدالمطلب المولود العزيز إلى أمه، عاد حتى يذبح الذبائح ويطعم
أهل الحرم وسباع الطير ووحش الفلاة، وبلغ من غبطة البيت الهاشمي بالمولود العزيز أن
ثوية الأسلمية جارية عمه عبدالعزيز بن عبدالمطلب²⁰ لم تكذ توافي سيدها يبشرى
المولد حتى أعتقها، فيقال أن العباس بن عبدالمطلب رأى أحاه أبا لهب بعد موته بسنة،
فسأله عن حاله فأجاب أبوهب: أنا في النار إلا أن العذاب يخفف عني كل ليلة اثنين
بماء أمصه من بين إصبعي هاتين، وذلك أني أعتقت ثوية حين بشرتني بولادة النبي ﷺ.

رؤيا عبد المطلب

ونقل السهيلي رؤية عبدالمطلب في كتاب البستان، أنه رأى كأن سلسلة من فضة
خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض، ثم عادت كأنها شجرة على
كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصّها فُعُبرت²¹ له بمولود من
صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض.

17 - يفعة: أي قارب الحلم.

18 - أطمه: أي الحصن أو البقعة من الأرض المرتفعة.

19 - أخرجه البيهقي بإسناد صحيح في دلائل النبوة (91/1).

20 - عبدالعزيز بن عبدالمطلب هو أبوهب.

21 - فُعُبرت: أي تفسرها.

وأقبلت الأم على صغيرها ترضعه ريثما تفقد المراضع من البادية، فيذهبن به مع لُدَّاته من رضعاء قريش بعيداً عن جو مكّة الخائق، لكن لبن آمنة جفَّ بعد أيام أثر ما أصابها من حزن على زوجها، فدفعت به إلى ثوية جارية عمه عبدالعزى، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبدالمطلب بلبن ابنها مسروح، ثم لم تمض أيام معدودات حتى وفدت المراضع من بني سعد بن بكر يعرضن خدماتهن على نساء الطبقة الموسرة من قريش فَعَرَضَ عليهن محمد ﷺ فَزَهْدُنَ²² فيه يتمه، وإنه لم يكُ ذا ثراء عريض يكافئ نسبه الشريف، فلقد مات عبدالله في حياة أبيه عبدالمطلب ولم يرث مالا فكان الذي تركه عبدالله لولده وأمه، الجارية الحبشية بركة أم أيمن وخمسة أجمال أوراك وقطعة غنم²³.

حدّثت حليلة عن خبرها مع الرضيع اليتيم ﷺ فيما رُوِيَ أنها قالت: خرجت من بلدي مع زوجي وابن لي صغير أرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء وذلك في سنة شهباء لم تُبَقِّ لنا شيئاً.

فخرجت على أتان لي قمرأ أي ضعاف معنا شارف لنا أي مسنة والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلتنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، حتى قدمنا مكّة وما ممّا إلا وعُرِضَ عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم وذلك أنا كنّا نرجو المعروف من أب الصبي، فكنا نقول: يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده؟

فما بقيت امرأة قدّمت معي إلا وأخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذاك اليتيم فلاأخذنه قال: لاعليك أن تفعلي هذا عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

فذهبتُ إليه فأخذته وما حملني على أخذه سوى إني لم أجد غيره، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فَشَرِبَ حتى رُوِيَ وشَرِبَ معه أخوه حتى

22 - فزهدن: أي أعرضوا عنه بسبب اليتيم.

23 - مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبدالله النجدي ص(12)، تلقيح فهوم أهل الأثر ص(14)، صحيح مسلم(96/2).

رُويًا ثم ناما، وما كُنَّا ننام معه من قبل، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل فحلب منها وشرب وشربت معه حتى انتهينا رياءً وشبعاً فبتنا بخير ليلة.

يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة، فقلت: والله إني لأرجو الله، ثم خرجنا وركبت أتانِي وحملت محمداً ﷺ عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُرهم.

حتى إنَّ صواحي ليقلن لي: يا بنة أبي ذؤيب ويحك أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول لهنّ: بلى والله إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأنًا، ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً فنحلب ونشرب وما يجلب إنسان غيرنا قطرة لبن، وأصبح الحاضرون يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياً وتروح أغنامي شباعاً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته.

حادثة شق الصدر

وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً²⁵، قالت: ثم قدمنا به إلى أمه ونحن أحرص على مكثه فينا لِمَا كُنَّا نرى من بركته، فكلّمنا أمه وقلنا لها: لو تركت بُني عندي حتى يغلظ فيني أخاف عليه وباء مكّة، قالت: فلم أزل بما حتى ردّته معنا قالت: فرجعنا به فوالله بعد مقدمنا بأشهر وإنه مع أخيه لفي بهم²⁶ لنا خلف بيوتنا إذا أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: ذاك القرشي أخي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعا فشقا بطنه، فهما يسوطانه²⁷، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً منتقماً²⁸ وجهه، قالت: فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له:

24 - تروح: أي ترجع.

25 - غلاماً جفراً: أي غليظاً شديداً.

26 - بهم: أي صغار الغنم.

27 - يسوطانه: ضربت بعضها ببعض.

28 - منتقماً: متغير.

مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضحجعا بي وشقاً بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو قالت: فرجعنا إلى خبائنا، وقال لي أبوه: يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.
قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت آمنة: ما أقدمك يا ظئر²⁹ وقد كنت حريصة عليه وعلى مكنته عندك؟ فقلت: نعم قد قضيت الذي علي، وتحوّفت الأحداث عليه، فأديته عليك كما تحبين قالت: ما هذا شأنك فأصدقيني خبرك قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها قالت: أفتحوّفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لئبي شأناً، لقد رأيت حين حملت به إنه خرج مني نورٌ أضاء لي به قصور بصرى من أرض الشام، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أحفّ ولا أيسر منه، وحين ولدته إنه لواضع يده بالأرض رافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقني راشدة.

عن بعض أهل العلم أن نقرأ سأل رسول الله ﷺ قالوا: أخبرنا عن نفسك قال ﷺ: نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي إنه خرج نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة تلجاً ثم أخذاني فشقاً بطني واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزني بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بمائة من أمته فوزني بهم فوزنتهم ثم قال: زنه بألف من أمته فوزني بهم فوزنتهم فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنتها³⁰.
قال أنس بن مالك: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره، وكان الرسول ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب في كلاءة الله وحفظه ينبتة الله نباتاً حسناً في مكة المكرمة .

²⁹ - ظئر: الناقة التي تعطف على ولد غيرها.

³⁰ - حديث صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه(2/600) وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وقال رجاله ثقات، وأصله عند مسلم في صحيحه(147-261).

وفاة أم النبي ﷺ آمنة بنت وهب

وأثمرت عناية الأم آمنة برسول الله ﷺ، فبدت على محمد ﷺ بوادر النضج المبكر ورأت فيه عندما بلغ السادسة من عمره مخايل الرجل العظيم، عندئذ أدركت أن الآوان قد آن لكي تحقق رغبة طال عليها الانتظار.

فحدّثت ابنها محمد ﷺ عن رحلة يقومان بها إلى يثرب (المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام) كي يزورا قبر الحبيب الناوي هناك، ويزورا إخوانه بني عدي بن النجار.

وفعلاً بدأت آمنة تنهياً لرحلة طويلة شاقة تجتاز بها الأميال المائتين التي تفصلها عن يثرب حيث يرقد في ثراها عبدالله الذي ودعها نحو سبع سنين، وشغلت أياماً بتجهيز راحلتها وإعداد مؤونة الطريق ثم زودت ناقتها بمهوج من أغصان مجدولة ذي مظلة تحجب الشمس عن الابن العزيز اليتيم ﷺ .

فلما أذنت بالرحيل صمّمت إليها ولدها ﷺ وركبت راحلتها تصحبها الجارية الوفية بركة أم أيمن وألقت آمنة نظرة وداع على دارعرسها التي جمعتها فترة بعد الله (ولا تعلم بأنها لن ترجع إليها أبداً، ولا تعلم بأنها سوف تموت أمام ابنها اليتيم ﷺ) ووضعت فيها من بعده ولدهما الوحيد ﷺ، ثم عرجت على الحرم فطافت به داعية، وتحركت القافلة شمالاً باتجاه يثرب، ولا أحد يعلم كيف كانت الرحلة وشارفت الرحلة منتهاها، وهناك أخذت آمنة تحدث ابنها الوحيد ﷺ أن يتطلع معها إلى المدينة المنورة التي بدأت تتكشف من وراء جبل أحد، حيث ينبسط السهل وتحنو عليه ظلال النخل، وأناخ الركب رواحله في يثرب (أي وصلت القافلة المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام) إلا أن آمنة أخذت بيد ابنها ومضت تطوف بالبيت الذي مرض فيه أباه، وتزور القبر الذي حوى رفاته.

هناك أخذت آمنة تناجي قبر زوجها حيناً وتبكيه أحياناً، ثم طاب لها العيش شهراً كاملاً بصحبة رفاقه من بني الخال، والآن انتهت الزيارة ولا يدري أحد كيف

أمضت آمنة ليلتها الأخيرة قبل أن تشد رحالها عائدة إلى مكة المكرمة، فركبت راحلتها وركب معها ابنها ﷺ وجاريتها بركة أم أيمن فعرجت تزور قبر عبدالله للمرة الأخيرة مودعة ومضت في رحلتها.

وعندما كانوا في الطريق فيما يُروى هبَّت عاصفة عاتية هوجاء أخذت تسفع المسافرين بريحها المحرقة، تثير الرمال كأنه الشرر الملتهب، فتأخرت الرحلة أياماً حتى هدأت العاصفة وقد شعرت آمنة بضعفٍ طارئٍ مكَّن له من جسمها، فلم يجزع محمد ﷺ أول الأمر لما بدا على أمه من إعياء، لكن الأم آمنة أحست إنه الأجل المحتوم، فعانقت ولدها وقد انهمرت الدموع من عينيها فأخذ يمسح دموع أمه بيديه حتى يشعر بلذة الحنان الفيض فلم يبق له في الدنيا سواها، ويروى أنها قالت:

بارك فيك الله من غلام يابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام

وفجأة، تراخت ذراعيها، فتركت هذا الصبي اليتيم على أديم الصحراء وكلها أماً وحنناً عليه فلم يرى والده وأنا أمه أموت أمام عينيهِ وبين يديه، فحدَّق أي نظر فيها فراعهُ أن بريق عينيها يوشك أن ينطفئ وأن صوتها يخفت رويداً رويداً، فلما التقطت أنفاسها قالت بصوت مؤلم كله حزن: كل حي ميت، وكل جديد بالٍ وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باقٍ، فقد تركت خيراً وولدت طُهرًا.

ثم ذاب صوتها في سكون الفلاة، ونامت على الرمال وقد شَخَّصَ بصرها إلى السماء، تَضَرَّعَ محمد عليه الصلاة والسلام إليها أن تنظر إليه وأن تكلمه تضرع وتضرع، فما تكلمت الأم آمنة بعدها أبداً، لقد ماتت آمنة وآن لهذا الجسد أن يستريح ويعفى من مشاهدة المدينة المنورة كيف اهتزت حُزناً وألماً وبكاءً عندما شاهدت جنازة ابنها الوحيد محمد صلى الله عليه وسلم.

محمد ﷺ يبكي على أمه

وانحنى محمد ﷺ على حنّة أمه في العراء وحيداً يبكي ويتزود منها قبل الرحيل فلا تلبي نداء، والقوم ينظرون إليه مندهشين متألّمين، حيث كان المشهد يمزق القلوب تمزيقاً، على حين أخذت الجارية بركة أم أيمن تلف الجسد الراقد، وحملوها إلى قرية الأبواء، حيث إذا أوشك الثرى أن يُعَيَّبها، اندفع وحيدها اليتيم نحوها فتشبّث بها صارخاً باكياً يريد أن يستبقها أو يبقى معها محاولاً أن ينزل وينام معها في قبرها، هناك عملاً بكاء القوم في إشفاق وتأثر ثم خلّوا بينه وبين أمه ساعة أو بعض ساعة ثم أزاحوه عنها وهو عاجز الخيلة باكياً فأضجعوها في لحدها وهالوا عليها الرمال.

هناك وجمت أرض مكّة وهي تشهد هذا الصبي الحزين الذي غادرها منذ شهر يعود إليها اليوم وحيداً مُضاعف اليتيم، حيث رأى مشهد الموت في أعز من له.

عن عبدالله بن مسعود قال: خرج النبي ﷺ يوماً وخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر فجلس إليه فناجاه طويلاً ثم ارتفع صوته ينتحب باكياً فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ، ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب فقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله ﷺ فقد أبكنا وأفزعنا؟ فأخذ بيد عمر ثم أومأ إلينا فأتيناه فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله ﷺ، فقال ذلك مرتين أو ثلاث ثم قال: إن القبر الذي رأيتموني أناجيه، قبر آمنة بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه³¹.

حديث أبي هريرة من طريقين قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت³².

³¹ - الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم (260/2).

³² - الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم (976).

بكاها وعمره وقتئذ فارق الأربعين، وهذه مكة التي حَزِنْتَ على هذا الصبي اليتيم الذي شاهد الموت يحطف أمه أمام عينيه وبين يديه تُعْلِنُ الحرب المدنية والعسكرية عليه حتى تقتله.

لكنه يخرج منها تاركاً بناته(أم كلثوم وفاطمة) وحيدات في بيته بأمرٍ من الله، وفي عام الفتح ستذكر مكة المكرمة بأنه سيدخلها ظافراً منتصراً خلفه كتائب الإسلام وجنود الرحمن عشرة الآف مقاتل ليحطم الأصنام التي شوهدت جلال الحرم ويهتف من أعلى البيت الحرام الله أكبر.

إلى هنا تنتهي حياة السيدة آمنة بنت وهب مع ابنها اليتيم محمد صلى الله عليه وسلم. لكن محمد ﷺ لم ينس تلك الأيام الخوالي، كما لم ينس الدار التي شهدت مولده وقد أغلقت أبوابها بعد موت أمه وتركت خلاء، ولم ينس الأحداث وذكريات حضانه أمه ومشاهد رحلته الأولى معها إلى يثرب بل تشبث بها، فعندما هاجر إلى المدينة، حدّثوا أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى حي بني عدي بن النجار قال: ههنا نزلت بي أمي، وفي هذه الدار قبر أبي عبدالله³³، فتستشير فيه أعمق عواطف البر والرحمة، فكان يصل³⁴ ثوبية مرضعته مولاة أبي لب وهو في مكة، كما كانت السيدة خديجة تُكرمها، فلما هاجر إلى المدينة ظل يبعث إليها بصلة وكسوة إلى أن جاء خبر وفاتها عند مرجعه من خيبر، فلما دخل مكة المكرمة ظافراً منتصراً بالتكبير بعد ذلك بعام سأل عليه الصلاة والسلام ماذا فعل ابنها مسروح³⁵، فقيل له: مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد.

وكذلك فعل مع بركة أم أيمن حاضنته فعاش يناديها يا أمة وحين يراها يرقُّ قلبه لذكرى الراحلة ويقول: (هي أمي بعد أمي)³⁶.

³³ - الطبقات الكبرى(77/1) ونهاية الأرب(88/16).

³⁴ - يصل: أي الزيارة المستمرة.

³⁵ - مسروح هو ابن ثوبية.

³⁶ - ابن سعد من طريق الواقدي(108/1) الروض الأنف(9/2) وترجمتها رضي الله عنها في الإصابه كنى النساء رقم(1139).

ولخليفة السعدية حين تقبل وتدنو منه يبسط لها رداءه³⁷، فتجلس عليه فقيل: مَنْ هي؟ فقالوا: هذه أمه التي أرضعته، ولم يدرِ أحدٌ ممن شهدوا موت آمنة بنت وهب في مضجعها الأخير بالأبواء أن سوف يأتي حيناً من الدهر تبعث فيه ذكرى الراقدة ثم لا يموت لها ذكر بعد ذلك أبداً.

تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء
فهنيئاً به لآمنة الفضل
الذي شرفت فيه حواء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخر ما لم تنله النساء
وداعاً يا آمنة وداعاً يا أم النبي ﷺ المصطفى المبعوث خاتماً للرسل والأنبياء عليهم السلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو كنت أدركت والديَّ أو أحدهما، وأنا في صلاة العشاء وقد قرأت فاتحة الكتاب تنادي يا محمد لأجبتها لبيك³⁸.

كفالة جده عبدالمطلب

فبعد أن عاد مع القافلة وحيداً حيث المشهد يمزق القلوب، تلقاه جده عبد المطلب وضمَّه إليه مسبغاً عليه من عطفه وحنانه ما لم يسبغ مثله على ولده، فكان يقربه منه ويدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام في فراشه. وذكر الواقدي: أن عبدالمطلب كان يوضع له فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه، ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد منهم إجلالاً له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام يجلس عليه، فيريد إعمامه بأن يؤخروه عنه فينهاهم عبدالمطلب قائلاً: دعوا ابني إنه ليؤنس مُلكاً، ثم يجلسه معه ويمسح على ظهره، ولما حضرت عبدالمطلب الوفاة وعرف أنه ميت أوصى أبا طالب بـ محمد ﷺ،

³⁷ - رداءه: أي عباءته.

³⁸ - رواه البيهقي في شعب الإيمان، بسند فيه يس بن معاذ ثم قال يس بن معاذ ضعيف، وانظر السيوطي في الحاوي (2/233).

وجمع بناته الست صفية، برة، عاتكة، أم حكيم البيضاء، أميمة، وأروى، فقال هن:

ابكيت علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت، فقالت صفية: (بعض ما قالت):

أرقت لصوت نائحة بليلٍ على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي على خدي كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغلي له الفضل المبين على العبيد
فلو خلد إمرؤ لقدم مجدٍ ولكن لا سبيل إلى الخلود

وقالت برة بنت عبدالمطلب تبكي أباهما: (بعض ما قالت)

أعيني جوداً بدمع درر على طيب الخيم والمعتصر
على شبية الحمد ذى المكرمات وذي المجد والعز والمفتخر
له فضل مجد على قومه منير يلوح كضوء القمر
أنته المنايا فلم تشوهه بصرف الليالي وريب القدر

وقالت عاتكة تبكي أباهما: (بعض ما قالت):

أعيني جوداً ولا تبخلاً بدمعكما بعد نوم القيام
على الجحفل القمر في الغائبات كريم المساعي وفي الزمام
على شبية الحمد وأرى الزناد وذي مصدق بعدُ ثبت المقام

وقالت أم حكيم البيضاء تبكي أباهما: (بعض ما قالت):

ألا يا عين جودي واستهلي وبكّي ذا الندى والمكرمات
ألا يا عين وبك أسعفيني بدمع من دموع هاطلات
وبكّي خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات
فبكيه ولا تسمى بحزنٍ وبكّي ما بقيت الباقيات

وقالت أميمة تبكي أباهما: (بعض ما قالت):

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد وساقى الحجيح والمحامي عن المجد
فإني لباك ما بقيت وموجع وكان له أهلاً لما كان من وجدي
سقاك وليّ الناس في القبر ممطراً فسوف أبكيه وإن كان في اللحد

وقالت أروى تبكي أباهما: (بعض ما قالت):

بكت عيني وحق لها البكاء على سمح سجيته الحياء
على الفياض شبيهة ذي المعالي أيبك الخير ليس له كفاء
أقب الكشح أروع ذي فضول له المجد المقدم والسناء

وفي رواية ابن سعد سُئل رسول الله ﷺ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم "أنا يومئذ ابن ثماني سنين" كما رُوِيَ، قالت أم أيمن: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يبكي خلف سرير عبدالمطلب.
وهكذا ودَّعت مكة الشيخ عبدالمطلب وذاق محمد صلى الله عليه وسلم طعم اليتيم من جديد.

كفالة عمه أبي طالب

فلما هلك عبدالمطلب بن هاشم تولى زمزم والسقاية العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنناً، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده، فأقرها الرسول صلى الله عليه وسلم على ما مضى من ولايته، فهي إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم³⁹، وفيما يزعمون أن عبدالمطلب كان يوصي به عمه أبا طالب لأن عبد الله والد الرسول ﷺ وأبي طالب أخوان لأب وأم هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران ابن مخزوم، فكان أبوطالب إليه ومعه وكان هناك رجالاً من هب⁴⁰ عائفاً صادق الحدس والظن فإذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظرون إليهم ويعتاف لهم فيهم، فأتى أبوطالب بالرسول ﷺ وهو غلام فنظر إلى الرسول ﷺ ثم شغله عنه شاغل فلما فرغ قال: الغلام عليّ به، فلما رأى أبوطالب حرصه عليه غيَّبه عنه فجعل يقول: ويَلِّكم ردوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكوننَّ له شأن.

³⁹ - عند البخاري بمعناه في صحيحه (1634) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

⁴⁰ - من هب: أي من ازدشنوءة.

الراهب يشاهد خاتم النبوة

وبعدها خرج أبوطالب في ركب تاجراً إلى الشام فلما تهيأ للرحيل صبَّ⁴¹ به الرسول ﷺ فَرَقَّ له أبوطالب وقال: والله لأُخرجنَّ به معي لا يفارقني ولا أفارقه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وكان بها راهب يقال له بحيرى في صومعة له عنده علم النصرانية، فلما نزلوا قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، حيث كان قد رأى في الركب حين أقبلوا غمامة⁴² تُظَلُّ رسول الله ﷺ من بين القوم، فلما نزل القوم في ظل شجرة قريباً منه، نظر إلى الغمامة التي أظلت الشجرة تَهَصَّرَت⁴³ أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، ثم أرسل إليهم وقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم، قال له رجل منهم: والله يا بحيرى ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نَمُرُّ بك كثيراً فما شأنك؟ قال: أحببت أن أكرمكم، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة.

وقالوا له: ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلاماً وهو أحدث القوم سناً، فقال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش: واللات والعزى إن كان للؤم⁴⁴ بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبدالمطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه إلى جنبه فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه (لأن بحيرى سمعهم يخلفون باللات والعزى) فزعموا أن الرسول ﷺ قال: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً قط بُغضهما، فجعل يسأله عن حال

41 - صب به: أي رقه الشوق/اشتد ميله إليه.

42 - غمامة: أي غيمة.

43 - تهصرت: مالت وتدلت.

44 - للؤم: اللئيم.

نومه وهيئته وأموره والرسول ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، كأنه أثر المحجم⁴⁵.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب وقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال أبوطالب: ابني، فقال بحيرى: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: ما فعل أبوه؟ قال أبوطالب: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابت أخيك إلى بلدك واحذر عليه اليهود فوالله لئن عرفوا ما عرفت ليبغنه شراً⁴⁶، فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم.

وفي سيرة عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب قال ابن إسحق: بحيرى الراهب اسمه جرجيس، أخذ بيد محمد ﷺ وقال: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقيل له: وما علمك؟ قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وحرَّ ساجداً.

فخرج أبوطالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام، وشب رسول الله ﷺ والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم أخلاقاً وأكرمهم حسباً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين.

وقد حمل الحجارة في حال صغره عند بنيان الكعبة، فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس وعيлян، وسميت بذلك لأنه كان قتالاً في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعاً، وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم أخرجهم أعمامهم معهم فقال: كنت أنبل على

45 - المحجم: الآله التي يحجم بها.
46 - ليبغنه شراً: أي يقتلوه.

أعمامي⁴⁷، أي يجهز لهم النبل للرمي، قال ابن إسحق: هاجت حرب الفجار والرسول ﷺ ابن عشرين سنة، وسميت حرب الفجار لأنهم استحلوا ما فيه من المحارم. وبعد هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام حيث تداعت إليه قبائل قريش واجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان التيمي ليسينه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ.⁴⁸

خروج النبي ﷺ للتجارة وزواجه من خديجة

وبلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها. فلما بلّغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدق وأمانة وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتُعطيه أفضل ما كانت تعطي، مع غلام لها يقال له ميسرة، وخرجاً حتى قدما الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فاطّلع الراهب إلى ميسرة فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، قال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي⁴⁹، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة "فيما روي" إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة حدّث خديجة بنت خويلد عن قول الراهب وعمّا كان يرى. هناك بعثت خديجة إلى رسول الله ﷺ "فيما روي" قائلة يا بن عم إني قد رغبت فيك بوسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك وعرضت نفسها

47 - بأسانيد ضعيفه: رواه ابن سعد في طبقاته (126/1) وعند ابن كثير في البدايه والنهايه (292/2) وابن الأثير في غريب الحديث (10/5).

48 - ابن هشام (133، 135/1) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبدالله النجدي ص (30، 31).

49 - أخرجه ابن سعد في طبقاته (129/1) بإسناد ضعيف.

على رسول الله ﷺ، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً.

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، فلما قالت ذلك، ذكّر ذلك الرسول ﷺ إلى أعمامه فخرج معه حمزة بن عبدالمطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة.

رسول الله ﷺ يودّع ويبكي ابنه القاسم وعبدالله

فولدت له خديجة في "تاريخ الطبري" ثمانية وقول ابن إسحق: أكبر بنيه القاسم ثم الطيب ثم الطاهر، وفي "الروض الأنف" رواية عن الزبير بن العوام بن خويلد، ولدت خديجة له القاسم وعبدالله وهو (الطيب الطاهر) وسمّي بذلك لأنه وُلِدَ بعد النبوة والبنات زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة، وأنجبت ماريا القبطية إبراهيم، فماتوا جميعهم صغاراً الأولاد (الذكور) عبدالله وُلِدَ في الإسلام ومات في الإسلام، أما القاسم فقد بلغ سنة المشي غير أن رضاعته لم تكن كملت عندما مات.

خديجة تبكي ابنها القاسم

وفي الموضع نفسه، أن خديجة دخل عليها رسول الله ﷺ بعد المبعث وهي تبكي فقالت: يا رسول الله ﷺ ذُرْتُ لبينة القاسم تصغير لبنة، تعني بما بقايا اللبن في ثديها فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعته، فقال رسول الله ﷺ: إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعته قالت: لو أعلم ذلك لهوَنَ عليّ، فقال: إن شئتَ أسمعك صوتَه في الجنة فأجابت: بل أصدق الله ورسوله⁵⁰.

⁵⁰ - رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المسلمين رقم (1382).

رسول الله ﷺ يودّع ويكي ابنه إبراهيم

أما إبراهيم فقد مرض وعندما بلغ العامين من عمره، جرعت أمه ودّعت إليها أختها سيرين وقامت ساهرتين حول فراشه تمرضاه، فحاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل صغيره من حجر أمه ووضعته في حجره، فسمع حشرجة إحتضاره وعويل الأم الثكلى والحالة المفجوعة، ولشدة ألمه وهو محزون القلب لا يملك إلا أن يقول في أسى وتسليم: إنا يا إبراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً، ثم ذرفت عيناه وهو يرى ولده الوحيد يعالج سكرات الموت، ومات إبراهيم.

فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله ﷺ فقال: يا ابن عوف إننا رحمه ثم أتبعها بأخرى، إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم محزونون⁵¹.

فأقبل الفضل بن العباس فغسل الصغير وصلى عليه أبوه وكبر أربع، وأضحجه بيده في قبره ثم سوى عليه التراب ونذاه بالماء (دفن بالبقيع).

توفي عليه السلام لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة عشرين الهجرة على الأرحح وبعدها بسنة، فما أهل ربيع الأول من السنة التالية حتى شكاً⁵² محمد عليه الصلاة والسلام واهتزت المدينة المنورة بحجر وفاته عليه الصلاة والسلام.

وبقيت ماري القبطية في عزلة عن الناس لا تكاد تلقى غير أختها سيرين، ولا تكاد تخرج إلا لكي تزور قبر الحبيب زوجها بالمسجد وقبر ابنها بالبقيع، فلما ماتت سنة ستة عشرين الهجرة أخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحشد الناس لجنائزها ثم صلى عليها ودفنها بالبقيع.

وسوف أذكر الأحداث التي حصلت مع بنات النبي صلى الله عليه وسلم، بعد مفعج خديجة بنت خويلد أثناء الشرح حول عام الحزن.

⁵¹ - الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم (1303).

⁵² - شكاً: مرض.

حادثة بنيان الكعبة

وبلغ الرسول ﷺ خمساً وثلاثين سنة، حيث إن قريشاً اجتمعت لبنيان الكعبة وكانوا يهيمون ليستقفونها ويهابون هدمها وإنما كانت رضماً فوق القامة⁵³، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى شاطئ جدة، وهناك نجار قبضي فتهيأ لهم في أنفسهم بعض إصلاحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة فتشرق⁵⁴ على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون ذلك حيث لا يدنو منها أحد إلا إحزأت⁵⁵ وكشَّت⁵⁶ وفتحت فاهها.

فبينما هي ذات يوم تشرق على جدار الكعبة بعث الله إليها طائراً فاختطفها، فذهب بما فقالت قريش: إنا لندرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال: يا معشر قريش لا تُدْجِلُوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس⁵⁷، ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة لكنهم هابوا هدمها فقال الوليد ابن المغيرة: أنا أبدوكم في هدمها فأخذ المعول⁵⁸، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لا تُرْع، اللهم لا نريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر فإن أصيب ابن المغيرة لم نخدم منها شيئاً، ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا.

فأصبح الوليد غادياً إلى عمله فهدم وهدم الناس معه، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى حجارة خضر كالأسمنة⁵⁹، فقام أحد رجال قريش فأدخل عتله⁶⁰ بين حجرين منها ليقلع بما أحدهما، فلما تحرك الحجر

53 - رضماً فوق القامة: الحجارة بعضها على بعض.

54 - فتشرق: أي تبرز للشمس.

55 - إحزأت: رفعت رأسها.

56 - كشَّت: صوتت باحتكاك بعض جلدتها ببعض.

57 - إسناده صحيح: أخرجه البيهقي في الدلائل (61/2) والطبري في تاريخه (525/1).

58 - المعول: الفأس.

59 - كالأسمنة: حجارة دخل بعضها ببعض.

60 - عتله: أي فأسه.

تنقضت⁶¹ مكة بأسرها، فانتهاوا إلى ذلك الأساس، لكنهم وجدوا بالركن كتابة بالسريانية لم يعرفوا ما هي حتى قرأها رجل من يهود، فإذا هي: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك خنفاء، لا تزول حتى يزول أحشائها⁶²، مبارك لأهلها في الماء واللبن⁶³، واختلفت قريش في وضع الحجر الأسود بعد بناء الكعبة وأعدوا للقتال ثم قالوا: اجعلوا بينكم أول مَنْ يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، فكان أول مَنْ دخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين فقال: هلمَّ إليَّ ثوباً فأخذ الركن فوضع فيه يده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعه جميعاً⁶⁴.

أهل الحُمس

وابتدعت قريش رأي الحُمس فقالوا: نحن أهل الحرم وبنو إبراهيم عليه السلام وولادة البيت وقطان مكة وسكانها، فليس للعرب مثل حَقْنَا فتركوا الوقوف بعرفة، والإفاضة منها ولا يجوز للعرب أن يأكلوا من طعام جاؤوا به إلى الحرم، ولا يطوفوا بالبيت إلا بثياب الحُمس، فإن لم يجدوا طافوا عُراءً.

اقتراب موعد النبوة

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطل ما ابتدعه الحُمس قبل نزول القرآن، وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهَّان من العرب، قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ لما تقارب من زمانه، أما الأحبار والرهبان فمن خلال كتبهم، وأما الكهَّان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق السمع، قال عمر بن

61 - تنقضت : أي اهتزت مكة بأكملها.

62 - أحشائها : أي جبالها.

63 - عند مسلم في صحيحه (520).

64 - صحيح : أخرجه الحاكم في مستدركه (458/1) وقال : هذا حديث صحيح على شرط

مسلم، ووافقه الذهبي وعبدالرزاق في مصنفه (59103) و ابو داود الطيالسي في مسنده (113).

الخطاب: إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلًا، فنحن ننتظر قسمة ليقسم لنا منه، إذ سمعت من جوف العجل صوتًا ما سمعت صوتًا قط أفند منه وذلك قبل الإسلام بشهراً وسبعة، يقول: يا ذريح، أمرٌ نجيح رجل يصيح يقول: لا إله إلا الله.

قصة إسلام سلمان الفارسي

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان، واجتهدت في الجوسية حتى كنت قطن⁶⁵ النار، وكانت لأبي ضيعة فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى وسمعت أصواتهم وهم يصلون فقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ثم قلت لهم: أين أهل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، وقد رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي فأخبرته، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته فبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني، فقدم عليهم ركب من الشام فأخبروني فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم حتى الشام، وقلت من أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فحتمته وقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك فأتعلم وأصلي معك، وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويكنزها لنفسه ثم مات.

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، يقول سلمان: أقمت معه حتى حضرته الوفاة وقلت له: إني أحبيتك وقد حضرك ما ترى فإلى من توصي بي؟ فقال: رجلاً في الموصل وهو على ما كنت عليه فالحق به، فلما مات لحقت بصاحب الموصل فقلت: يا فلان إن فلاناً أوصاني عندك وأخبرني إنك على أمره فقال: أقم عندي فوجدته خير رجل فلم يلبث، وحضرته الوفاة فقلت: يا فلان فإلى من توصي بي؟ قال: يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين، وهو فلان فالحق به، فلما مات لحقت

⁶⁵ - قطن: خام.

بنصيبين وقلت له: ما أمرني صاحباي فقال: أقم عندي فوجدته على أمر صاحبيه وهو خير رجل ثم حضرته الوفاة فقلت: إلى مَنْ توصيني؟ فقال: رجلاً بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه، فلحققت بصاحب عمورية فأقمت عند خير رجل واكتسبت⁶⁶ حتى كانت لي بقرات وغنيمة، ثم نزل به أمر الله فقلت له: إلى مَنْ توصي بي؟ قال: والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كننا عليه من الناس أمرك به أن تأتيه، ولكنه أظل زمان نبي ﷺ وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين⁶⁷ بينهما نخل به علامات لا تحصى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات.

ومكنت في عمورية ما شاء الله، ثم مرَّ بي نفرٌ من كلب تجار فقلت لهم: إحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي، وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني وباعوني لرجل يهودي عبداً فكنت عنده، ورأيت النخل فرجوت أن يكون هذا البلد الذي وصف لي صاحبي، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة المنورة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة المنورة.

فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتُها فأقمت بها، وبعث رسول الله ﷺ وهاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق⁶⁸ لسيدي أعمل له فيها وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له فقال: يا فلان: قاتل الله بني قيله والله إنهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قديم عليهم من مكة المكرمة اليوم يزعمون إنه نبي ﷺ قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العرواء⁶⁹ حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكنني لكمة شديدة وقال: مالك ولهذا؟ قلت: لا

66 - اكتسبت: اشتغلت، عملت.

67 - حرتين: أرض ذات حجارة سود.

68 - رأس عذق: النخلة.

69 - العرواء: الانتفاضة، الرعدة من البرد.

شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال، وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقاء.

فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني إنك رجل صالح ومعك أصحاب غرباء ذوو حاجة وهذا شيء قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، وقريته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كُلُوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي: هذه واحدة قال: وانصرف عنه ثم جمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا، فقلت في نفسي: هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله ﷺ وقد تبع جنازة أحد أصحابه، ثم هو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته ألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبت عليه أقبله وأبكي، فجلست بين يديه وحدثته بما كان.

وشغل سلمان الرق⁷⁰ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كاتب يا سلمان، فكاتبتي صاحبي (اليهودي) على ثلاثمئة نخلة أحبيها له بالفقير وأربعين وقيّة (أي نزرع لليهودي) (300) نخلة ونعطيّه (40) وقيّة مقابل عتق سلمان، فكان رسول الله ﷺ يزرع مع سلمان والصحابة النخل.

يقول سلمان: جعلنا نقرب الودي⁷¹ للرسول ﷺ وهو يزرع فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت واحدة⁷²، وَعُتِقَ سلمان وَشَهِدَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق حُرّاً.

70 - الرق: العبودية.

71 - الودي: النخل.

72 - الراوي: سلمان الفارسي، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم (335/9).

الله يُكرم محمداً ﷺ بالرسالة

ذكرنا حادثة بنيان الكعبة حيث كان عُمر رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة ثم أهل الخمس ثم اقترب موعد النبوة، وبلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة.

قالت عائشة: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصباح قالت: وحبَّب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده⁷³، ثم إذا خرج لقضاء حاجته أبعد وتحسر⁷⁴ عن البيوت فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر أو شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ﷺ ويلتفت حوله يميناً وشمالاً فلا يرى إلا الحجر والشجر.

وفي شهر رمضان أكرمه الله بالرسالة حيث خرج رسول الله ﷺ إلى غار حراء كما كان يخرج فجاهه جبريل عليه السلام بأمر الله.

قال عليه الصلاة والسلام: فجاه الملك فقال: اقرأ. قال قلت: ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ قال قلت: ما أنا بقارئ. قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: (إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)) (العلق 1-5)⁷⁵ ثم انتهى عني ثم انصرف، فخرجت من غار حراء حتى إذا كنت وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله ﷺ وأنا جبريل، ثم رجعت حتى أتيت خديجة وأخبرتها فقالت: أبشر ابن عم واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ﷺ.

⁷³ - حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (3) وعند مسلم في صحيحه (160) وفي مسند أحمد (6/153-232-233).

⁷⁴ - أبعد وتحسر: يتخلى.

⁷⁵ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم (160).

فَدَهَبْتُ خَدِيجَةَ فَأَخْبِرْتُ وَرَقَةَ بِنَ نُوْفَلٍ⁷⁶ مَا حَدَّثَ، فَقَالَ: قَدُوسٌ قَدُوسٌ، وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لِأَنَّ كُنْتُ صَدَقْتَنِي يَا خَدِيجَةَ، لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ⁷⁷ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى، وَإِنَّهُ لِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَخْبِرْتُ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَابَلَ وَرَقَةَ بِنَ نُوْفَلٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا ابْنَ أَخِي مَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتِ؟ فَأَخْبِرْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَأَنْ أَدْرَكَتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ.

وَبَدَأَ نَزُولَ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَمِنَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ⁷⁸، وَأَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَقْرَأْ خَدِيجَةَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا خَدِيجَةُ هَذَا جَبْرِيلُ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ مِنْ رَبِّكَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: اللَّهُ السَّلَامُ وَمِنْهُ السَّلَامُ وَعَلَى جَبْرِيلَ السَّلَامُ⁷⁹، ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَرَةً حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَحْزَنَهُ فَجَاءَهُ بِسُورَةِ الضُّحَى.

ثُمَّ أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَضَّأَ جَبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ كَيْفَ الطَّهُّورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّى جَبْرِيلُ بِهِ ثُمَّ انْصَرَفَ، ثُمَّ أَتَاهُ جَبْرِيلُ فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ حِينَ مَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ تَمَامًا، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، وَأَمَّنَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرَةِ أَعْوَامٍ.

76 - ابن عم خديجة رضي الله عنها.

77 - الناموس: الوحي.

78 - إسناده صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه (3820) وعند مسلم في صحيحه (1887).

79 - حديث صحيح: أورده المهيمني في مجمع الزوائد (224/9) وعزاه الى الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح.

الدعوة سرّاً

وكان رسول الله ﷺ يصلي في شِعباء مكة ومعه علي بن أبي طالب خفية، فرأهم يوماً أبوطالب فقال لابنه علي: إنه (أي رسول الله ﷺ) لم يدعك إلا لخير فالزمه، ثم أسلم زيد بن حارثة ثم أسلم أبوبكر بن أبي قحافة واسمه عتيق، وكان رجلاً محبباً لقومه، سهلاً، تاجراً، ذو خلق ومعروف فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله، فجاء بهم أبا بكر إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكّم⁸⁰ عنه حين ذكرته له وما تردد فيه⁸¹، ثم أسلم أبو عبيدة واسمه عامر بن عبدالله بن الجراح وأبوسلمة واسمه عبدالله بن الأسد والأرقم بن أبي الأرقم واسم أبي الأرقم عبد مناف وعثمان بن مظعون وقدامة وعبدالله أبناء مظعون وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب وأسماء بنت أبي بكر وعائشة وهي يومئذ صغيرة وخباب بن الأرت وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا إلى الشِعباء وكان الدين سرّاً ثلاث سنين.

الجهر بالدعوة

حتى فشاً⁸² ذكر الإسلام في مكة ثم أمرالله تعالى رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه وأن يدعو إليه قال تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر94) (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (214) (وَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) (216) (الشعراء214-216). فلما بادى الرسول ﷺ قومه بالإسلام لم يردوا عليه قومه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته.

80 - عكّم: تردد، تأخر.

81 - أخرجه البيهقي في دلائل النبوه (164/2) وأورده ابن كثير في البدايه والنهائيه (108/1) وفي التفسير (250/4).

82 - فشاً: اشتهر.

قريش تبدأ الحرب المدنية على رسول الله ﷺ

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم⁸³ من شيء ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدّب عليه⁸⁴، مشى إليه عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبوسفيان واسمه صخر وأبوالبخري العاص بن هاشم، والأسود بن المطلب، وأبو جهل⁸⁵ والوليد بن المغيرة، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك سب آلهتنا وعاب ديننا وسقّه أحلامنا وضللّ آباءنا، فإما أن تكفّه عنا وإما أن نُخلّي بيننا وبينه، فإنك على ما نحن عليه من خلافه.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه من الدعوة، ثم رجعوا مرة ثانية إلى أبي طالب فقالوا: إن لك سناً ومنزلة وشرفاً، وإنا قد استنهييناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا، إما أن تكفّه عنا أو ننازله حتى يهلك أحد الفريقين، فبعث أبوطالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ما كان، وقال أيضاً: ابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله ﷺ إنه بدا لعمه فيه بداء وإنه خاذله ومسلّمه وإنه قد ضعف عن نصرته فقال رسول الله ﷺ: يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فأقبل عليه عمه أبوطالب فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً⁸⁶.

لكن قريشاً قالت لأبي طالب خذ هذا الفتى عمارة بن الوليد، خذه لك وأسلم إلينا ابن أخيك فقال: لبئس ما تسوموني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني لتقتلوه، وأصبحت القبائل تعذب من دخل في الإسلام.

83 - يعتبهم: يرضيهم.

84 - حدّب عليه: عطف عليه.

85 - أبو جهل: أبا الحكم.

86 - إسناده ضعيف، انظر السلسلة الضعيفة للألباني (909).

أبو طالب يدافع عن رسول الله ﷺ

وأصر أبو طالب مراراً بأنه لن يُسلم رسول الله ﷺ إليهم، وانتشر أمر رسول الله ﷺ وبلغ البلدان حتى وصل حي الأوس والخزرج، وما أكثر ما تعرض إليه رسول الله ﷺ من الإيذاء والعداوة من قبل قريش، فاجتمعوا يوماً في الحجر فلما مر بهم رسول الله ﷺ غمزوه⁸⁷ ثلاث مرات ثم انصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا ومر بهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وقالوا له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ قال عليه الصلاة والسلام: "نعم أنا الذي أقول ذلك"، وقد أخذ رجل منهم بمجمع رداءه، فقام أبوبكر دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط⁸⁸، ثم صدعوا فرق رأس رسول الله ﷺ مما جبذوه بلحيته، ثم إنه خرج يوماً عليه الصلاة والسلام فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه حرّاً وعبد، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2)) (المدثر 1-2).

إسلام سيدنا حمزة

وازداد الأذى برسول الله ﷺ حتى أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه، فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبدالله بن جدعان تسمع ذلك، وما أن كان حمزة بن عبدالمطلب عائداً من قنص⁸⁹ إلا أوقفته المولاة وقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد ﷺ آنفاً من أبي الحكم، وأخبرته فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد ناظراً إلى أبي جهل وهو جالس في القوم، فرفع قوسه وضربه ضربة فشجّه شجّة منكّرة ثم قال: أتشتتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول.

وأصبح الإسلام يفتشو في مكّة في قبائل قريش في الرجال والنساء، لكن ما تزال العداوة لرسول الله ﷺ من قريش حيث اجتمعت أشراف قريش من كل قبيلة بعد غروب

87 - غمزوه: طعنوا فيه بالقول.

88 - حديث صحيح أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (275/2) وأورده الهيثمي في مجمع

الزوائد (1616) وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني بإسناد حسن.

89 - قنص: الصيد.

الشمس عند الكعبة وقالوا: ابعثوا لمحمد ﷺ حتى نكلمه، فلما جاء قالوا له: أسأل ربك أن يُسَيِّرَ هذه الجبال التي ضَيِّقت علينا، ولييسط لنا الأرض وليفجر لنا فيها أنهاراً كأَنْهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَنْ مَضَى من آبائنا ثم قالوا: سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدِّقك وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً وذهباً وفضة، ثم قال عبدالله بن أمية⁹⁰ فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك، ولو فعلت لن أصدِّقك.

أبوجهل يريد ضرب رسول الله ﷺ

فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبوجهل: إني أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً عند الكعبة، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه، فلما أصبح أبوجهل أخذ حجراً وغدا رسول الله ﷺ فلما سجد الرسول عليه الصلاة والسلام، احتمل أبوجهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً مُنتقِعاً⁹¹ لونه مرعوباً، وقد يبست يده على الحجر فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: لَمَّا دنوت منه عُرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهمَّ بي أن يأكلني. وذكر أن رسول الله ﷺ قال: ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه⁹².

قريش تسأل رسول الله ﷺ

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش مما كان يؤذي رسول الله ﷺ، فذهب هو وعقبة ابن أبي معيط إلى أحبار المدينة المنورة حتى يسألوا عن نبوة محمد ﷺ، فقالت الأحبار سلوه عن ثلاث فإن أخبركم فهو نبي مرسل ﷺ وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وعن الروح.

90 - ابن عاتكة عمه الرسول صلى الله عليه وسلم.

91 - منتقعا : متغيراً.

92 - أخرجه البيهقي في الدلائل (191/2).

ورجعوا إلى مكة فقالوا: يا معشر قريش قد جئنا بالفصل، وجاء رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الفتية وعن الرجل وما هي الروح؟ فقال رسول الله ﷺ: غداً أُجيبكم ولم يستثن⁹³، ومضى خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل فقالوا: وَعَدْنَا مُحَمَّدًا ﷺ غداً واليوم خمس عشرة ليلة فأحزن رسول الله ﷺ مُكث الوحي.

وجاءه جبريل من عند الله تعالى بسورة الكهف، فذُكر أن رسول الله ﷺ قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل حتى سُوتُ ظناً، فقال له جبريل: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)⁹⁴ (مريم 64).

فأجاب رسول الله ﷺ: الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول هم أهل الكهف، والرجل الطواف الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها هو ذو القرنين، والروح قل الروح من أمر ربي.

فلما عرفوا ما جاءهم من الحق حال الحسد منهم وتركوه، فقال أبو جهل وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر قريش يزعم محمد ﷺ أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر وأنتم أكثر منهم عدداً، فيعجز كل مائة منكم عن رجل منهم، فأنزل الله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَبِرْدَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) (المدثر 31)

⁹³ - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: موافقة الخبر الخبر، الصفحة أو الرقم: (70/2).

⁹⁴ - أصله عند البخاري في صحيحه (3218)(4731) وأورده الواحدي في أسباب النزول (252) وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني (284/8).

أول مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وكان أول مَنْ جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة المكرمة عبد الله بن مسعود وقرأ سورة الرحمن، ثم وثبت كل قبيلة على مَنْ أسلم منهم فجعلوا يجسسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة إذا اشتد الحر ومنهم بلال بن رباح الذي لم يجد كلمة تغيض الكفار إلا كلمة أحد أحد، فأنزل الله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)) (الإخلاص 1-4)، والذي كان يعذبه أمية بن خلف فمر بهم أبو بكر الصديق وأعتقه مع الست رقاب ومنهم زبيرة التي أصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فرد الله بصرها ثم أعتق النهديّة وبنتها.

وقال أبو قحافة لأبي بكر: يا بني إني أراك تعتنق رقاباً ضعافاً فلو أعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك فقال أبو بكر: يا أبت إنما أريد ما أراد الله فأنزل تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلَطَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21))⁹⁵ (الليل 5-21).

⁹⁵ - أخرجه الحاكم في مستدرکه (225/2) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ومنهم آل ياسر(صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)⁹⁶ وكان أبوجهل إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف أخزاه وإن كان تاجراً قال لنكسدن تجارتك وإن كان ضعيفاً ضربه.

الهجرة الى الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه⁹⁷. فكانت أول هجرة في الإسلام، وهاجر عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس حيث ولدت له بأرض الحبشة ابنه عبدالله.

المهاجرون من بني أسد بن خزيمه منهم: عبدالله بن جحش وأخوه عبيدالله بن جحش وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، ومن بني عبد شمس أبوحذيفة بن عتبة، أبو موسى الأشعري، ومن بني نوفل عتبة بن غزوان، ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام، الأسود بن نوفل، ومن بني عبد بن قصي طليب بن عمير، ومن بني عبدالدار بن قصي، مصعب بن عمير، سويط بن سعد جهم بن قيس، فراس بن النضر، من بني زهرة بن كلاب، عبدالرحمن بن عوف، عامر بن أبي وقاص، المطلب بن أزهري، ومن هذيل عبدالله بن مسعود وأخوه عتبة، ومن براء المقداد بن عمرو بن ثعلبة(الأسود) ومن بني تيم بن مرة الحارث بن خالد، ومن مخزوم أبوسلمة بن عبدالأسد، ومن حلفائهم معتب بن عوف، ومن بني جمح عثمان بن مضعون، حاطب ابن الحارث، ومن بني سهم بن عمرو خنيس بن حذافة، هشام بن العاص ومن بن عدي من كعب عامر بن ربيعة، معمر بن عبدالله بن نضلة، ومن بن عامر بن لؤي

⁹⁶ - أخرجه الحاكم في المستدرک(388/3) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. والبيهقي في دلائل النبوة(282/2) بإسناد صحيح. وعند الهيثمي في مجمع الزوائد(293/9) وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله ثقات.
⁹⁷ - الراوي: محمد بن إسحاق، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم: (577/7).

أبوسيرة بن أبي رهم، عبدالله بن مخزومة، ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح، سهيل ابن بيضاء.

فلما رأت قريش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة بعثت رجلين إلى النجاشي ليردّهم عليهم هما عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، هناك عَلِمَ أبوطالب فبعث للنجاشي أبياتاً من الشعر يَحْضُهُ على حُسن حوارهم:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر وعمر وأعداء العدو الأقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفرًا وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب

وهناك جاور المسلمون النجاشي بخير حتى جاء عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وقد أحضروا إدمًا كثيرة للنجاشي وللبطارقة هدايا، ثم قالوا للنجاشي: إنه قد ضوى⁹⁸ إلى بلدك منّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، فقالت بطارقتة وهم حوله: صدقا أيها الملك فأسلمهم إليهم فقال النجاشي: لاها الله لا أسلمهم حتى أبعث إليهم وأسألهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني أو دين أحد؟ فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب وقال: كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً^ﷺ منا نعرفه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن الجوار ونحانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا بالصلاة والزكاة والصوم...، فَعَدَا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا ليردونا إلى عبادة الأوثان.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به الله؟ قال جعفر: نعم فقراً كهيعص (ك،هـ،ي،ع،ص) فبكى النجاشي ثم قال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من

98 - ضوى: لجأ، لصق.

مشكاة واحدة، فقال عمرو بن العاص: إنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، فقال جعفر: نقول الذي جاء به نبينا محمد ﷺ: هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

إن النجاشي عندما سمع هذا، ضرب بيده الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسى ما قلت هذا، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي من سبكم عُرم ثلاث مرات زُودوا الهدايا إلى صاحبها.

إسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة مكة أسلم عمر بن الخطاب حيث قال: كنت في الجاهلية صاحب خمر وخرجت ليلة أريد جلسائي فلم أجد منهم أحداً فقلت: لو أبي جئت فلاناً الخمار⁹⁹ لعلّي أجد عنده خمرًا، فلم أجد فقلت: لو أبي جئت الكعبة فطفئتُ بما سبعاً أو سبعين قال: فجئت المسجد أريد الطواف فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام (جعل الكعبة بينه وبين الشام حيث الركن الأسود على يمينه والركن اليماني على يساره) فقلت: والله لو أبي أسمع من محمد ﷺ ما يقول، فجئت من قبل الحجر ودخلت تحت ثيابها حتى قمت في قبلته ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة، فلما سمعت القرآن رُقّ قلبي فبكيته ودخل الإسلام قلبي، فلما انصرف رسول الله ﷺ تَبَّعْتَهُ¹⁰⁰ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حَسْبِي عرفني فظنّ أبي لحقته لأؤذيه فنهمني¹⁰¹ ثم قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة؟ قلت: جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال: نحمد الله ثم قال: "قد هداك الله يا عمر"، ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات.

99 - الخمار: بائع خمر.
100 - تَبَّعْتَهُ: لحقته.
101 - فنهمني: زجرني.

قال عبدالله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنّا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه¹⁰².

قال عمر: فلما أسلمت ذهبت إلى بيت أبي جهل حتى ضربت عليه الباب، فخرج أبوجهل فقال: مرحباً وأهلاً بابن أخي، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك إني قد آمنت بالله ورسوله محمد ﷺ، قال: فضرب الباب بوجهي، وقال قَبَّحَكَ اللهُ وَقَبَّحَ مَا جئت به¹⁰³.

قال ابن إسحق: رواية ثانية لإسلام عمر بن الخطاب، خرج عمر بن الخطاب بسيفه يريد رسول الله ورهطاً من قومه، فلقيه نعيم بن عبدالله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال عمر: أريد محمداً ﷺ هذا الصابي، قال نعيم: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم، فرجع عامداً إلى أخته فاطمة، وعندها خَبَّاب بن الأرت مع صحيفة فيها طه يُقْرؤها.

فلما سمعوا حس عمر تغيب خَبَّاب وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحتها، وقد سمع عمر القراءة فقال: ما هذه الهيمنة التي سمعت وبَطَشَ بختنة سعيد بن زيد وكان معهم، فقامت فاطمة لتكفّه عن زوجها، فضربها فشجّها، فلما فعل هذا قالت فاطمة: نعم قد أسلمنا فاصنع ما بدا لك، فلما رأى ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، وقال: أعطيني هذه الصحيفة، فقالت فاطمة: إنا نخشاك عليها قال: لا تخافي فطمعت في إسلامه وقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر.

فقام عمر فاغتسل، وأعطته الصحيفة فقرأها: (بسم الله الرحمن الرحيم) طه
(1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3) تَنْزِيلًا مِمَّنْ

¹⁰² - حديث صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه (83/3) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وابن سعد في الطبقات (270/1) وعند الهيثمي في الجمع (62/9) وعزاه الى الطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح.

¹⁰³ - ويشهد له روايات كثيرة منها ما عند البخاري في صحيحه (2684)(3865).

خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5) لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8) (طه-1-8).

فقال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع خباب خرج إليه فقال: يا عمر
والله إني لأرجو الله أن يكون قد خصّك بدعوة نبيه فيني سمعته يقول: اللهم أيد
الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب.

فقال عمر لخباب: دلّني على محمد ﷺ حتى آتية فأسلم، فقال هو في بيت عند
الصفاء معه نفر من أصحابه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ ففرض عليهم الباب فرآه رجلٌ
متوشحاً سيفه فقال: هذا ابن الخطاب متوشحاً سيفه، فقال حمزة بن عبدالمطلب: إن
كان يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال الرسول ﷺ للرجل: إنذن
له بالدخول ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فأخذ بجزته أو بمجمع رداءه ثم جبذه
جبذةً شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله
بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله ﷺ جئت لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند
الله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد
أسلم¹⁰⁴ وأصبح عددهم أربعين بإسلام عمر وهو أول جيش في الإسلام. قال الذهبي:
أسلم عمر بن الخطاب في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة.

¹⁰⁴ - إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه(59/4) وفي دلائل النبوه للبيهقي(219/2)
وعند ابن سعد في الطبقات(267/3).

الصحيفة الظالمة

فلما رأَت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلوا ببلد أصابوا فيه أمناً واستقراراً وإن عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب قد أسلما، اجتمعوا واثتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، ثم علّقوا الصحيفة في حوف الكعبة، وكان كاتب الصحيفة، منصور بن عكرمة بن عامر بن هشام، ويقال نضر بن الحارث، والصحيح أنه بغيض بن عامر بن هاشم فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده¹⁰⁵.

المقاطعة الظالمة

وهناك ذهب بنوهاشم وبنوالمطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه شعبه، فقال أبوطالب مدافعاً عن رسول الله ﷺ:

أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا تشتكي ما قد ينوب من النكب
فلسنا ورب البيت نسلم أحماً لعزاء من غضّ الزمان ولا كرب

فأقاموا في شعب أبي طالب سنتين أو ثلاث حتى جُهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً، وفي الشعب وُلد عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، وقطعت قريش عنهم الأسواق حتى كان يُسمع أصوات نسائهم وأبنائهم من وراء الشعب من الجوع، واشتدوا على كل من أسلم ولم يدخل الشعب وعظمة الفتنة وزلزلوا زلزلاً شديداً.

قال موسى بن عقبه عن ابن شهاب: كان أبوطالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، حتى أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد يحمل قمحاً يريد عمته خديجة بنت خويلد

¹⁰⁵ - زاد المعاد 46/2.

وبناتها وهي عند رسول الله ﷺ فتعلق به وقال: أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك في مكّة، واستمر هذا الحال.

تمزيق الصحيفة الظالمة

لكن هشام بن عمرو بن ربيعة وكان ذو شرف في قومه، قد ذهب إلى زهير بن أمية بن المغيرة¹⁰⁶ فقال: يا زهير قد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب، وإخوانك حيث علمت فقال زهير: ماذا أصنع إنما أنا رجل واحد قال عمرو: وأنا معك. ثم ذهب هشام إلى المطعم بن عدي فقال له: ما قال لزهير فأصبحوا ثلاثة، ثم ذهب إلى البختری بن هشام فأصبحوا أربعة، وذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فأصبحوا خمسة.

فاجتمعوا هناك وتعاقدوا القيام في الصحيفة حتى ينقضوها¹⁰⁷ وقال زهير: أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم فطاف بالبيت ثم قال: يا أهل مكّة أنا أكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكت لا يباعون ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة، قال أبو جهل: كذبت والله لا تشق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حيث كتبت، قال أبو البختری: صدق زمعة، لا نرضى ما كتبت فيها ولا نُقره، قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها.

قال ابن هشام ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم إن الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً هو الله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان، فقال أبو طالب: أرئيك أخبرك بهذا؟ قال: نعم،

106 - زهير بن أمية: أمه عاتكة بنت عبدالمطلب.

107 - ينقضوها: يمزقها.

فقال أبوطالب وهو عند الكعبة عندما أرادوا نقض¹⁰⁸ الصحيفة: يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا.

فهلّم صحيفتكم، فإن كانت كما قال ابن أخي فانتوها عن قطيعتنا وأنزلوا عما فيها، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي، فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا، فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزادهم ذلك شراً، فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا¹⁰⁹.

وقال حسّان بن ثابت يبكي المطعم بن عدي حين مات:

أيا عين فابكي سيد القوم واسفحي بدمع وإن أنزفته فاسكي الدما
وبكّي عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفاً له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده اليوم مطعما

زوجة أبي لهب تريد ضرب رسول الله ﷺ

قال ابن إسحق: إن أم جميل حمالة الحطب (زوجة أبي لهب) حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبي بكر الصديق وفي يدها فهر¹¹⁰ من الحجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني إنه يهجوني والله لو وجدته لضربتته بهذا الفهر، ثم قالت: مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا¹¹¹ ثم انصرفت.

108 - ينقض: تمزيق.

109 - صحيح: أصله عند البخاري في صحيحه (1590)(3882)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (208/1) وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (250/1) وابن كثير في البدايه والنهائه (97/3) وابن حجر في الباري (232/7).

110 - فهر: حجر مقدار كفة اليد.

111 - قلينا: أبغضنا.

فقال أبوبكر: يا رسول الله ﷺ أما تراها رأيتك؟ فقال رسول الله ﷺ: ما رأيتي لقد أخذ الله بصرها عني¹¹²، فكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذمماً، ثم يسبونونه وكان رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش، يسبونون ويهجونون مذمماً وأنا محمد¹¹³، وأمّية بن خلف كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى: (وَبَلِّغْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُحْمَةً أَلِئِذَا رَأَى رَسُوْلَ اللهِ ﷺ هَمَزَهُ وَلَمْزَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلًّا لِيُنْبِذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ (4) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ (5) نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (9)) (الهمزة 1-9) والهمز (الذي يأكل لحم أخيه علانية) واللمز (الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم).

والعاص بن وائل السهمي جاء إلى خباب بن الأرت وكان لخباب على العاص مالا فقال له: يا خباب أليس يزعم محمد ﷺ صاحبكم هذا الذي أنت على دينه في الجنة ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال: بلى قال: فأنظريني إلى يوم القيامة يا خباب فأقضيك هنالك حقلك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك آثر عند الله مني ولا أعظم حظاً، فأنزل الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَبِآيَاتِنَا فَرَدًّا (80))¹¹⁴ (مرم 77-80).

كما أن أبا جهل لقي رسول الله ﷺ فقال له: والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

¹¹² - حديث صحيح: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (195/2) والحاكم في مستدرکه (361/2) وقال صحيح الإسناد.

¹¹³ - حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (3533) وعند الإمام أحمد في

مسنده (244/2-369).

¹¹⁴ - حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (2091) وعند مسلم في صحيحه (2153).

فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بَغِيرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ
فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ¹¹⁵ (الأَنْعَامُ 108).

والنضر بن الحارث بن كلدة كان يحذر قريش ما أصاب الأمم السابقة، فحدثهم
عن رستم السنديد وعن أسفنديار وملوك فارس وذلك عندما كان رسول الله ﷺ يدعو
إلى الله ويقول: والله ما محمد ﷺ بأحسن مني حديثاً، فأنزل الله تعالى: (وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ
أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8)) (الجنائفة 7-8)، الأفاك¹¹⁶.

وكان الوليد بن المغيرة يقول: أنزل القرآن على محمد ﷺ وأترك أنا كبير قريش
وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف! فنحن عظيمي القريتين.
فأنزل الله تعالى: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ
عَظِيمٍ) (الزحرف 31)، واعترض رسول الله ﷺ زعماء قريش وهو يطوف بالكعبة فقالوا: هلم
يا محمد ﷺ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وإياك بالأمر، فإن كان الذي
تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد
أخذت بحظك، فأنزل الله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ
(5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)) (الكافرون 1-6) ثم أن أبا جهل قال: يا معشر قريش،
هل تدرون ما شجر الرقوم التي يخوفكم بها محمد ﷺ؟ قالوا: لا قال: عجوة يثرب بالزبد،
والله لئن استمكننا¹¹⁷ منها لنتزقمتها تزقما¹¹⁸ فأنزل الله تعالى: (إِنَّ شَجَرَةَ الرُّقُومِ
(43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ
(46)) (الدخان 43-46) والمهل: هو كل شيء أذيته من نحاس أو رصاص.

¹¹⁵ - إسناده منقطع: أخرجه من طريق الوالي ابن جرير الطبري في تفسيره (207/7).

¹¹⁶ - الأفاك: الكذاب.

¹¹⁷ - استمكننا: أمسكتها.

¹¹⁸ - لنتزقمتها تزقما: نبتلعها ابتلاعاً.

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا من الحبشة إلى مكة لما بلغهم، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم إنه ما تحدثوا به هو باطل، فدخلوا مكة خفية أو بجوار¹¹⁹.

قصة الطُّفَيْل بن عمرو

وكان قد قدم مكة الطُّفَيْل بن عمرو الدوسي وكان لبيباً وشاعراً، فمشى إليه رجال من قريش وقالوا: يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل فرَّق جماعتنا وقوله سحر يفرِّق بين الأب وابنه، وأنا نخشى عليك وعلى قومك فإن رأيتَه فلا تكلمه ولا تسمع إليه، قال الطُّفَيْل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً حتى حشوت في أذنيّ كرسفاً¹²⁰ وبعدها قلت في نفسي: فما يعني من أن أسمع من هذا الرجل؟ فإن كان الذي جاء به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

وجلست إلى رسول الله ﷺ وقلت له: ما كان، فعرض عليّ الإسلام وتلا عليّ القرآن فأسلمت وقلت: يا رسول الله ﷺ إني إمرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادعوا الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم، فقال رسول الله ﷺ: "اللهم اجعل له آية" فوقع نور بين عينيّ مثل المصباح، قلت: اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثله وقعت في وجهي لفراق دينهم، فتحول فوقع في رأس سوطي، فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً ودعوته فأسلم ثم صاحبتني فأسلمت ثم دعوت دوساً فأبظروا عليّ، ثم جئت رسول الله ﷺ وقلت: قد غلبني على دوس الرنا وفي نسخة (الزنا) فادع الله عليهم فقال: "اللهم أهدِ دوساً"، ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم.

ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقدمت بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخير، وكانوا سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ولحقنا برسول الله ﷺ حتى افتتح الله عليه

119 - بجوار: الدخالة العامية.

120 - كرسفا: القطن.

مكة وقلت: يا رسول الله ﷺ ابعثنى إلى ذي الكفين (صنم عمرو ابن حممة) حتى أحرقه
وجعل الطُّفَيْل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ وكان معه، ومات محمد ﷺ بالمدينة فارتدت العرب،
وخرج مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطُّفَيْل ومات شهيداً باليمامة، وابنه
عمرو بن الطُّفَيْل مات شهيداً باليرموك في زمن عمر بن الخطاب¹²¹.

قصة الأعشى بني قيس

قال ابن هشام عن أهل العلم: إن أعشى بني قيس بن ثعلبة خرج إلى رسول
الله ﷺ يريد الإسلام وقد مدح الرسول ﷺ بالشعر، فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه
بعض المشركين من قريش وسألوه فأخبرهم فقالوا له: يا أبا بصير، إنه يحرم الزنا فقال
الأعشى: والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب، ثم قالوا: إنه يحرم الخمر قال: أما هذه
فوالله إن في النفس منها لعلات، لكنني منصرف فأرتوي منها عامي هذا، ثم آتية
فأسلم، فانصرف فمات في عامه ذلك.

¹²¹ - أصله عند مسلم في صحيحه (1957) وأخرجه بنحوه ابن سعد في الطبقات (175/4)
وابن الأثير في أسد الغابة (78/3).

من إساءات مشركي قريش للرسول ﷺ

وكانوا يقولون: إن هذا الغلام يقال له جبر، وهو عبد لابن الحضرمي، وهو نصراني وهو الذي يعلم محمدًا ﷺ، وكان العاص بن وائل السهمي إذا ذُكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه فإنما هو رجل أبتّر لا عقب¹²² له، لو قد مات لانتقطع ذكره واسترحتم منه¹²³، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)) (الكوثر 1-3) والكوثر خيرٌ من الدنيا وَمَنْ فِيهَا وَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجَزْرِ، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذِهِ لِنَاعِمَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَكَلْتَهَا أَنْعَمَ مِنْهَا¹²⁴، وَقَدْ سَمِعْنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا"¹²⁵، وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ حِينَمَا يَرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْخُذُهُ الرَّعْبَ.

قصة رجل من أراش

قال ابن إسحاق: قدم رجل من أراش إلى مكة ثم وقف على ناس من قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، وقال: يا معشر قريش مَنْ يُؤَدِّينِي¹²⁶ على أبي الحكم ابن هشام، حيث إن هذا الرجل له ذين على أبي جهل ثمن الإبل، فقالوا له: أتري ذلك الرجل؟ وهم يهزؤون اذهب إليه.

فأقبل الأراشي وقال: يا عبدالله خذ لي حقي من أبي جهل يرحمك الله، فانطلق رسول الله ﷺ ومعه الأراشي على دار أبي جهل، وقد قالوا لرجل منهم: اتبعه وانظر ماذا

¹²² - عقب: أولاد.

¹²³ - إسناده ضعيف: أخرجه الواحدي في أسباب النزول (404) وأورده الشوكاني في

القدير (733/5) وعند الهيثمي في مجمع الزوائد (143/7) وعزاه إلى الطبراني وضعفه.

¹²⁴ - الراوي: أنس بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: (2542).

¹²⁵ - الراوي: ثوبان مولى رسول الله ﷺ، المحدث: البزار، المصدر: البحر الزخار، الصفحة أو

الرقم: (103/10).

¹²⁶ - يؤديني: يسترجع حقي.

يصنع؟ فضرب رسول الله ﷺ باب أبي جهل، فقال أبو جهل: مَنْ هذا؟ قال: محمد ﷺ. فخرج إليّ، فخرج وما في وجهه من رائحة¹²⁷ وقد انتقع¹²⁸ لونه فقال: أعط هذا الرجل حقَّه فقال، أبو جهل: نعم، فدخل فخرج بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ. هناك رجع أبو جهل إلى القوم فقالوا له: ويلك مالك؟ قال: ويحكم! والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت منه رعباً، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته¹²⁹ ولا أنباهه لفحل قط، والله لو أبيت لأكلي.

قصة زكّانة

ومع هذا ما تزال صنديد قريش الذين ماتوا كفار يكذبون ويتهجمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا زكّانة ابن عبد يزيد بن هاشم كان أشدّ قريش، فخلاً¹³⁰ برسول الله ﷺ يوماً بشعاب مكّة، فقال له رسول الله ﷺ: يا زكّانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك؟ قال: لو أني أعلم الذي تقوله الحق لاتبعتك، فقال رسول الله ﷺ: أفأريت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم، فقام ليصارع رسول الله ﷺ فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، ثم قال: يا محمد ﷺ عُد فعاد فصرعه، قال: والله إن هذا للعجب أتصرعني؟ قال رسول الله ﷺ: فأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله، وأتبع أمري.

قال ما هو: قال رسول الله ﷺ: أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأينني، قال ادعها: فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، قال فقال لها: ارجعي مكانك قال: فرجعت إلى مكانها قال: فذهب زكّانة إلى قومه فقال: يا عبد مناف

127 - رائحة: أي قطرة دم.

128 - انتقع لونه: تغير لونه.

129 - قصرته: عنقه.

130 - فخلاً: انفرد.

ساحروا¹³¹ بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحرمه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع¹³²، لكن فيما بعد أسلم زكّانة وحسّن إسلامه.

ثم جاء وفد نصارى من الحبشة وأسلموا بين يدي رسول الله ﷺ، فاعترضهم أبوجهل ومعه نفر وقال لهم: خيبتكم الله من ركب فلا تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال!

الإسراء والمعراج

ونتيجة ما تعرض له رسول الله ﷺ من بلاء وتمحيص جاء الإسراء والمعراج هدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدّق، وكان من أمر الله على يقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست ولم أر شيئاً، فعدت إلى مضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلست فأخذ بعضدي فقامت معه، فخرج إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذيّة جناحان يحفز بهما رجله، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته¹³³.

وحَدَّث رسول الله ﷺ: لما دنوت منه لأركبه شمّس¹³⁴ فوضع جبريل يده على معرفته¹³⁵، ثم قال: ألا تستحي يا براق مما تصنع: فوالله يا براق ما ركبك عبد الله قبل محمد ﷺ أكرم على الله منه قال: فاستحا حتى ارفض عرقاً، ثم قرّ حتى ركبته¹³⁶.

131 - ساحروا: اغلبوه.

132 - أخرجه أبو داود في سننه (4078) بإسناد صحيح، ومن طريق أبي داود أخرجه البيهقي في سننه (18/10) وفي الدلائل (250/6) مرسلاً.

133 - أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (3/15) باختصار، وأورده ابن كثير في التفسير (28/5)، وفي الخصائص الكبرى للسيوطي (268/1).

134 - شمّس: نقر.

135 - معرفته: اللحم الذي يثبت عليه شعر العرف.

136 - رواه متصلاً بإسناد صحيح أحمد في مسنده (164/3) والترمذي في سننه (3331) والبيهقي في دلائل النبوة (362/2) وابن جرير الطبري في تفسيره (12/15).

فمضى رسول الله ﷺ ومعه جبريل حتى انتهى به إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأتمهم رسول الله ﷺ وصلى فيهم، ثم أتى بثلاثة آنية إناء فيه لبن وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء فشرب من إناء اللبن، فقال جبريل: هديت للبطرة، وهديت أمتك يا محمد ﷺ وحرمت عليكم الخمر.

ثم أوتي بالمعراج: يقول رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام: لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتيت بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه وهو الذي يمدُّ إليه ميتكم عينيه إذا حضر، فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له: باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له: إسماعيل، تحت يديه اثنا عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك (....) وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (المدثر 31) فلما دخل بي قال إسماعيل: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: محمد ﷺ قال: أَوْقَدْ بُعِثَ؟ قال: نعم، قال: فدعا لي بخير¹³⁷.

قال رسول الله ﷺ: تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقي ملك إلا ضاحكاً مستبشراً، يقول خير ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة فقال: مثل ما قالوا ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك، ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره، فقلت لجبريل: يا جبريل مَنْ هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك؟ قال: أما إنه لو كان ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك، هذا مالك خازن النار فقال رسول الله ﷺ: ألا تأمره أن يُريني النار؟ فقال: بلى، قال: يا مالك أر محمد ﷺ النار، قال: فكشف عنها غطاءها ففارت وارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى، قال: فقلت لجبريل: يا جبريل مُرْهُ فليردها إلى مكانها، قال: فأمره جبريل فقال لها: أحيي¹³⁸، فرجعت إلى مكانها

¹³⁷ - إسناده ضعيف: أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (10/5) من طريق ابن إسحاق، وابن الأثير في الكامل (79/5) وعند البيهقي في الدلائل (390/2).

¹³⁸ - أحيي: خبت النار، تحبو: أي سكن لهيها.

الذي خرجت منه، فما شبّهت رجوعها إلى وقوع الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها¹³⁹.

قال رسول الله ﷺ: ورأيت رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه: خيراً روح طيبة خرجت من جسد طيب، ويقول لبعضها: أفٍ ويعبس بوجهه روح خبيثة خرجت من جسد خبيث، قلت: مَنْ هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، ثم رأيت رجلاً لهم مشافر كمشافر الإبل¹⁴⁰ في أيديهم قطع من نار كالأفهار¹⁴¹ يقذفونها في أفواههم فتخرج من أديبارهم، فقلت مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً.

ثم رأيت رجلاً لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة¹⁴² حين يعرضون على النار يطؤونهم لا يقدرّون على أن يتحولوا من مكائهم ذلك، قلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: أكلة الربا، ثم رأيت رجلاً بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث¹⁴³ منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب، قلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن، ثم رأيت نساء معلقات بثديهن، فقلت مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس أولادهم (الزانيات) ثم قال رسول الله ﷺ: ثم أضعدي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابن الخالة عيسى ويحيى، ثم أضعدي إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر، قلت مَنْ هذا قال: أخوك يوسف بن يعقوب، ثم أضعدي إلى السماء الرابعة فإذا فيها إدريس، ثم أضعدي إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العُثنون¹⁴⁴، لم أر كهلاً أجمل منه قلت: مَنْ هذا؟ قال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمران، ثم أضعدي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى بن عمران،

¹³⁹ - عند مسلم في صحيحه (156-157) من حديث أبي هريرة ولم يكن ذلك في السماء الدنيا

... والحديث هنا بإسناد منقطع.

¹⁴⁰ - كمشافر الإبل: وهو جمع مشفر وهولبعير، والشفة للإنسان، والحفلة للفرس.

¹⁴¹ - كالأفهار: الحجارة.

¹⁴² - المهيومة: العاطشة، والهيام هو داء يصيب الإبل في أجوافها فلا تروى من الماء.

¹⁴³ - غث: الضعيف المهزول.

¹⁴⁴ - العثنون: عظيم اللحية.

ثم أصدني إلى السماء السابعة فإذا فيها كهلاً جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، قلت مَنْ هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، ثم دخل بي إلى الجنة فرأيت فيها جارية لعساء¹⁴⁵، فسألته لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيته فقالت: لزيد بن حارثة، فبشّر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة.

ثم انتهى به عليه الصلاة والسلام إلى ربه، فعرض عليه خمسين صلاة كل يوم، قال رسول الله ﷺ: فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصحاب كان لكم، سألتني كم فرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم، فقال: إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فأسأله أن يخفف عنك وعن أمتك، فرجعت فسألته ربّي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً، ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألته ربّي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً، ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لي مثل ذلك، فرجعت فسألته ربّي، فوضع عني عشراً، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه، قال: فارجع فاسأل ربك حتى انتهيت إلى أن ذلك عني، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة، ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت قد راجعت ربّي وسألته حتى استحيت منه، فَمَنْ أَدَاهُنْ مِنْكُمْ إِيْمَانًا بِهِنْ، وَاحْتِسَابًا لَهُنْ، كَانَ لَهُ مِنْ أَجْرِ خَمْسِينَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً¹⁴⁶.

وفي حديث الحسن: أنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (الإسراء 60) قال رسول الله ﷺ: (تنام عيناى وقلبي يقظان)¹⁴⁷.

¹⁴⁵ - لعساء: التي في شفتها حمرة تضرب إلى السواد.

¹⁴⁶ - عند مسلم في صحيحه (145/1) (259) مفصلة، من حديث أنس بن مالك وهي رواية طويلة.

¹⁴⁷ - صحيح: بنحوه ويشهد له ما عند البخاري في صحيحه (1147-7281) وعند مسلم في صحيحه (509) وفي سنن الترمذي (2861) وفي سنن الدارمي (12/1).

قريش تُكذّب رسول الله ﷺ

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا على قريش فأحبرهم الخبر، فقال أكثر الناس: هذا والله الأمر البين¹⁴⁸ والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدينة وشهر مقبلة، أفيزهد محمد ﷺ في ليلة واحدة ويرجع؟ فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر وقالوا له: يزعم صاحبك أنه قد جاء بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة، فقال أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، قالوا ذاك المسجد إنه يحدث به الناس، فقال أبو بكر: لئن قالها لصدق فما يعجبكم من ذلك فوالله أنه ليخبرني أن الخبر يأتيه (من الله) من السماء إلى الأرض في ساعة ليل أو نهار فأصدقه، وهذا أبعد مما تعجبون، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله ﷺ أحدثت القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة، قال: نعم، قال أبو بكر: فصمّ لي يا نبي الله ﷺ فإني قد جئتته.

قال رسول الله ﷺ: (فَرَفَعَ لِي حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ) فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك لرسول الله ﷺ حتى انتهى، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: أنت الصديق فيومئذ سمّاه الصديق¹⁴⁹.

وحدث أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها واسمها هند قالت: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو نائم في بيتي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة، ثم نام وغمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا¹⁵⁰ رسول الله ﷺ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين.

دليل صدق رسول الله ﷺ

ثم قام ليخرج فأخذت بطرف رداؤه فتكشفت عن بطنه، وقلت يا نبي الله لا تُحدّث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك، قال والله لأحدثنهم، وقالت لجارية حبشية: ويحك اتبعي محمداً ﷺ فلما خرج رسول الله ﷺ أخبر الناس فعجبوا وقالوا: ما

148 - البين: الشنيع، العجيب.

149 - ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري في صحيحه (4716) والترمذي في سننه (3134) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وعند أحمد في مسنده (221/1) والحاكم في مستدركه (362/2).

150 - أهبنا: أيقظنا.

آية ذلك؟ قال: مررت بعير فلان بني فلان بوادي كذا كذا فأنفرهم حسد الدابة، فَنَدَّ¹⁵¹ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه إلى الشام.
ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان¹⁵² مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه شيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان.

وآية ذلك أن عيرهم تصوّب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورك¹⁵³ عليه غارزتان إحداهما سوداء والأخرى بقاء¹⁵⁴ قالت: فابتدر القوم الثنية، فلم يلقهم أول جمل إلا وكما وُصِفَ لهم، وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوء ماءً ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء، وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا: صدقَ والله لقد أنفرنا في الوادي ذلك الذي ذكر، ونَدَّ لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه¹⁵⁵.

موت المستهزين برسول الله ﷺ

وكان من عظماء المستهزين خمسة نفر الأسود بن المطلب بن أسد، وقد دعا عليه رسول الله ﷺ قال: "اللهم أعم بصره وأنكله ولده"¹⁵⁶ الأسود بن عبد يغوث، الوليد بن المغيرة، العاص بن وائل بن هشام، الحارث بن الطلائعة، فلما تبادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء نزل فيهم (فأصدغ بما تؤمر وأعرض عن المشركين (94) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96)) (الحجر 94-96) فأتى جبريل رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت (الخمس) فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنب جبريل، فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه

151 - فند: شرد، نفر.

152 - بضجنان: مكان بين ضجنان ومكة، خمسة وعشرون ميلاً.

153 - أورك: لونه بين السواد والغيرة.

154 - بقاء: ذات الوان مختلفة.

155 - إسناده ضعيف: أخرجه ابن جرير الطبري.

156 - هكذا من طريق ابن إسحاق بغير إسناد، أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (48/14)

وأورده ابن كثير في التفسير (470/4) وفي البداية والنهاية (105/3).

بورقة خضرَاءِ فَعْمِي، ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه جناً¹⁵⁷، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجر سبله¹⁵⁸ وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يرش نبلاً له فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتفض به فقتله، ومر بالعاص بن وائل فأشار إلى أخص رجله فخرج على حمار يريد الطائف فربص به على شبرقة¹⁵⁹ فدخلت في أخص رجله شوكة فقتلته، ومر به الحارث ابن الطلائفة فأشار إلى رأسه فامتخص قيحاً فقتله¹⁶⁰.

كما إنه كان هناك نفر كانوا يؤذون رسول الله ﷺ في بيته فمنهم: أبولهب، والحكم بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاه وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له، فكان رسول الله ﷺ يخرج ويقول: (يا بني عبد مناف، أي جوار هذا) ثم يلقيه في الطريق¹⁶¹.

واقترب عام الحزن

لَمْ تَنْجَلِ مَحَنَةَ الْحِصَارِ إِلَّا لِتُسَلِّمَ إِلَى لَيْلٍ طَوِيلٍ لَا يَبْدُو لَهُ آخِرٌ:

مات أبوطالب عم النبي ﷺ بعد ستة أشهر من تمزيق الصحيفة وبعده بثلاثة أيام ماتت خديجة أم المؤمنين الأولى وربة بيت النبي وأم عياله وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلك أبوطالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، ولما نثر أحد سفهاء قريش التراب على رأس رسول الله ﷺ دخل بيته

157 - جناً: داء في البطن ينتفخ، يعظم.

158 - سبله: فضول الثياب.

159 - شبرقة: نبات ذو شوكة.

160 - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (48/14) وأورده ابن كثير في تفسيره (470/4).

161 - له شاهد صحيح: عند البخاري في صحيحه (416) وعند مسلم في صحيحه (1419) وبأسانيد ضعيفة، رواها ابن جرير الطبري في تاريخه (553/1) وابن سعد في الطبقات (201/1).

والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله ﷺ يقول: "لا تبكي يا بنتي فإن الله مانع أباك" ويقول: "ما نالت مني قريشاً شيئاً أكرهه حتى مات أبي طالب" ¹⁶².

وفي رواية البخاري عن عروة قال: سألت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ﷺ؟

قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر الصديق حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ.

وعن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرأئي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض.

فانطلق منطلق ¹⁶³ إلى فاطمة فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ رفع صوته ودعا عليهم، وكان إذا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال: اللهم عليك بقريش ثم سمي، اللهم عليك بعمرو بن هشام (أبوجهل) وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد، كما روي .

قال عبدالله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر قد غيرتهم الشمس في يوم حار، ثم سحبوا إلى القليب ¹⁶⁴، قليب بدر، ثم قال: وأتبع أصحاب القليب لعنة. ومنها ما ذكر أن عقبة بن أبي معيط وطىء على رقبته الشريفة وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان.

¹⁶² - مرسلًا: أخرجه الطبري في تاريخه (553/1) وأورده ابن حجر في فتح الباري (234/7) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (122/3).

¹⁶³ - منطلق: أي ذهب رجل.

¹⁶⁴ - القليب: البئر.

موت أبي طالب

ولما اشتكى¹⁶⁵ أبوطالب وبلغ قريش ثقله قالت قريش: لبعضها إن عمر وحمزة أسلما وقد فشا أمر محمد ﷺ في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، والله ما نأمن أن ييترونا¹⁶⁶ أمرنا.

فمشوا إلى أبي طالب فكلموه، وهم أشرف قومه عتبة وشيبة وأبي جهل وأمّية وأبي سفيان في رجال من أشرفهم فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين أخيك فادعه فخذ له منا، وخذ لنا منه، وليكف عنا، ونكف عنه، وليدعنا وديننا وندعه ودينه.

فبعث إليه أبوطالب، فجاءه فقال: يا بن أخي هؤلاء أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: "نعم، كلمة واحدة تعطونها تمكّلون بها العرب وتدين لكم بها العجم".

فقال أبوجهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، قال رسول الله ﷺ: "تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه"، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجب! ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا¹⁶⁷.

فقال أبوطالب لرسول الله ﷺ: والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً¹⁶⁸، فلما قالها أبوطالب، طمع رسول الله ﷺ في إسلامه فجعل يقول له: "يا عم قل لا إله إلا الله أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة"¹⁶⁹.

165 - اشتكى: مرض.

166 - ييترونا أمرنا: يسلبوننا إياه.

167 - الحديث صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه (432/2) من حديث ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي، وفي سنن الترمذي (3232) وعند أحمد في مسنده (2008-3419) بإسناد صحيح

168 - شططاً: تجاوز القدر.

169 - الراوي: العباس بن عبدالمطلب، المحدث: البيهقي، المصدر: دلائل النبوة، الصفحة أو الرقم: (346/2).

وفي كتاب عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب إنه عليه الصلاة والسلام قال: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقالوا المشركون له: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ وأبى أن يقول، فلما رأى حرص رسول الله ﷺ عليه قال: يا بن أخي والله لولا مخافة السببة عليك وعليّ وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أبي إنما قتلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأشرك بها.

فلما تقارب من أبي طالب الموت نظرالعباس إليه يحرك شفثيه فأصغى إليه بإذنه فقال: يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ: "لم أسمع"¹⁷⁰.

وأُنزل الله بالرهط الذين كانوا اجتمعوا إليه(ص) وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثُّ مَتَّاسٍ (3) وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (5) وَأَنْطَلِقَ الْأَمْلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) (ص 1-7).

وهلك أبوطالب فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فأُنزل الله(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)(التوبة 113) وأُنزل في أبي طالب(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(القصص 56) وفي الصحيح عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أباطالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: "نعم، وجدته في غمرات من النار، فأخرجته في ضحضاح، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه"، وفي رواية: "هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"¹⁷¹، وكان موته في رمضان بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح.

¹⁷⁰ - الراوي: العباس بن عبدالمطلب، المحدث: البيهقي، المصدر: دلائل النبوة، الصفحة أو الرقم: (346/2).

¹⁷¹ - أخرجه البخاري(3885)و(6564) ومسلم (210) من حديث أبي سعيد الخدري.

وبكى محمد ﷺ

وبعد موت أبي طالب بثلاثة أيام جاء الموت ليأخذ مَنْ وقفت إلى جانبه عليه الصلاة والسلام.

مضجع خديجة بنت خويلد

وسنوضح هنا مَنْ هي خديجة والأحداث الأليمة التي مرت بها وبيناتها الأربع: في السنة الخامسة والعشرين من عام الفيل السنة الخامسة عشرة قبل المبعث، تزوج زين شباب قريش شرفاً وأمانة وخلقاً بالسيدة خديجة بنت خويلد بن أسد سيدة نساء قريش وأعظمن شرفاً وأكثرهن مالاً، والتي حاولت ما وسعها الجهد أن تحوطه بالرعاية والهدوء ما أقام في البيت.

فإذا انطلق إلى غار حراء ظلت عينها عليه من بعيد وربما أرسلت وراءه مَنْ يحرسه ويرعاه، وهي التي ضمته إلى صدرها، وقد أثار أعرق عواطف الأمومة في قلبها وهتفت: الله يرعانا يا أبا القاسم ابشر يا بن العم واثبت، فالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ... وهي التي أنجبت لرسول الله ﷺ البنين والبنات القاسم، عبدالله، زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة (إبراهيم من ماري القبطية).

وعاشت مع رسول الله ﷺ خمسة وعشرين عاماً بألفة واستقرار، وذاقا في تلك الفترة لوعة الثكل في الولدين العزيزين.

فكان لهم الصبر والوثام ما أعانتهما على تجرع الكأس الذي يدور على الناس جميعاً، فلا يعنى من شربه أحد، وما كان ولداهما إلا ودیعة، ولا بد يوماً أن تُستردّ الودائع.

وفرحت بزواج ابنتها زينب من ابن أختها هالة أبو العاص بن الربيع، وأهدتها فلادتها وهي التي لم تتردد في دخول الشعب أي شعب أبي طالب أي الحصار مع رسول الله ﷺ ومعها بنتيها أم كلثوم وفاطمة (رقية في المحرة) وزينب مع زوجها أبي العاص).

وذات ليلة خرج رسول الله ﷺ إلى قريب من فم الشعب يستقبل البعير المحمل طعاماً، كيما يشرف على توزيعه في ذوي العيال ممن معه، وأم كلثوم تسهر عند فراش أمها التي علَّ بها السن وأتمكتها الأحداث وأحست دنو أجلها، وإن بدا أنها تقاوم الضعف والمرض من أجل زوجها وبنيتها أم كلثوم وفاطمة.

فقالت خديجة تناجي ابنتها: ليت الأجل يمهلني حتى تنجلي الحنة فأموت قريرة العين راضية، وحسي من آخرتي أني المؤمنة الأولى، وإني أم المؤمنين، اللهم إني لا أحصي ثناء عليك، اللهم إني لا أكره لقاءك، ولكن أطمع في مزيد من الجهاد لأكون أهلاً لما أنعمت عليّ.

ثم جاء نبأ نقض الصحيفة التي علّقت في جوف الكعبة عن طريق العم أبي طالب، فلم تنجل محنة الحصار المؤلم إلا لتسلم إلى ليل مظلم طويل لا يبدو له آخر، ففي بيت النبي ﷺ بمكة رقدت السيدة خديجة في فراشها تنهياً للقائه ربحاً بعد أن اطمأنت على زوجها، ثم ما لبثت روحها أن فاضت، والنبي صلى الله عليه وسلم إلى جانبها يهون عليها سكرات الموت، ويشرها بما أعد الله لها من نعيم، وبناتها الثلاث زينب وأم كلثوم وفاطمة يحطن بفراشها ويتزودن منها قبل الرحيل.

رسول الله ﷺ يدفن زوجته خديجة

وفي اليوم العاشر من شهر رمضان سنة عشر من المبعث حُمِلَتْ (خديجة) إلى الحجون، وهناك أضجعها زوجها ﷺ بيديه في حفرتها، ثم ودّعها وآب إلى بيته محزوناً فضم إليه ابنتيه أم كلثوم وفاطمة وأحس من تلك اللحظة أن مكانه بمكة قد نُسيّ به، فلم يعد له فيها بعد رحيل خديجة مقام.

وبعد حين ... عاد المهاجرون من الحبشة يتقدمهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وابنها عبدالله، وآبت رقية إلى بيت أبيها مسرعة مشوقة مجهدة، فحقت أختها أم كلثوم وفاطمة للقائهما، وتشبثتا بما معانقتين، وأفلتت من عناقهما وسألت مسترّية أين أبي؟ أين أمي؟ أجابتا: أبوك بخير، وقد خرج للقائه العائدين معك من الحبشة.

وعادت رقية تسأل وقد أوجس قلبها خيفة وأمي أين هي؟ فأطرت أم كلثوم صامته لا تجيب، وأما فاطمة فغادرت الغرفة وهي تنشج باكياً.
هناك كَفَّت رقية وسارت مترنحة نحو مخدع أمها الراحلة حيث تماكنت على فراشها(أمي أمي... يا أمي) إلى أن جاء أبوها عليه الصلاة والسلام فأذاب ذلك الجمود بحرارة لقائه، وأزاح بجنوه ما ران على قلب ابنته من أثر الصدمة، وأسعفها الدمع ما شاء لها، ثم أوت إلى الصدر الكريم الرحب، وثابت إلى السكينة والصبر، وقد سمّي هذا العام عام الحزن.

سلام على خديجة أم المؤمنين

زوجة محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقني إذ كذبتني الناس، وواستني بما لها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء¹⁷²).

لذلك عندما دخل المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة، ضُرِبَتْ له قبة هناك، قريباً من متوى خديجة، وصحبتة إليها ابنته الزهراء وقد أنساها الفرح الأكبر كل ما ألمَّ بها من شجن، ولكن أبيها لم ينس، وكادت الجبال تتصدع خشية ورهبة وهي تصغى إلى هتاف عشرة آلاف مقاتل من المسلمين بصوتٍ واحد:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله وحده نصرعبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله والله أكبر.

¹⁷² - من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: أخرجه الإمام أحمد في مسندها مرفوعاً، وابن عبد البر في ترجمتها بالإستيعاب.

نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام وبناته الأربع

(زينب، رقية، أم كلثوم، فاطمة)

وفي الصحيحين والنقل من البخاري، أن السيدة عائشة قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمر واحدة، أخذتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته بأمرها فقال: (مَنْ بلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كَنَّْ له سترًا من النار) وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه) وفي سنن أبي داود عن ابن عباس قال: قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كانت له أنثى فلم يعدها ولم يُهنِّها ولم يؤثر ولده عليها "يعني الذكور" أدخله الله الجنة).

منزل رسول الله ﷺ

منزل¹⁷³ محمد صلى الله عليه وسلم دار ارتفع عنها الطريق فينزل إليها بعدد من الدرجات، توصل إلى ممر قامت على يساره شبه مصطبة مرتفعة عن الأرض بنحو قدم وطولها عشرة أمتار، وأما عرضها فأربعة، وعلى اليمين باب صغير يصعد إليه بدرجتين، يؤدي إلى طرقة ضيقة عرضها نحو مترين، وفيها ثلاثة أبواب: يفتح أولها من الجانب الأيسر على غرفة صغيرة مساحتها نحو ستة أمتار حيث كانت للنبي ﷺ محراباً ومعبدًا، ويؤدي الباب الأمامي إلى بهو متسع طوله ستة أمتار وعرضه أربعة وقد جعل مخدع للزوجين، وأما الباب الثالث فعلى يمين الداخل وهو يفتح في غرفة مستطيلة طولها سبعة أمتار وعرضها أربعة، وقد جعلت لبنات محمد عليه الصلاة والسلام.

وعلى طول هذا المسكن من ناحية الشمال فضاء واسع مساحته ستة عشر متراً في سبعة أمتار ويرتفع عن الأرض بنحو متراً، فهذه الدار التي استقبلت محمداً عليه الصلاة والسلام، وفيه خرجت القابلة سلمى مولاة صفية بنت عبدالمطلب من مخدع

¹⁷³ - منزل: بيت.

خديجة تحمل إلى الأب طفلته الأولى فتلقاها بين ذراعيه فرحاً وسماها زينب، ولم يطل بها المقام في البيت حتى استقبل أختها رقية، ثم جاءت من بعدها أم كلثوم، وكان الظن أن يضيق الأبوان بمولد أنثى ثالثة، في بيئة مفتونة بالبنين، ولكنهما أدركا أن الأمر في هذا لله وحده، وأقبل العام العاشر لزواج محمد ﷺ فولدت له البنت الرابعة فاطمة.

فهن خرجن إلى الدنيا في أكرم بيت ونبات في سلالة قرشية عريقة، واستقبلهم البيت الكريم وكانت طفولتهن سعيدة وناعمة، والتمست لهن واحدة بعد الأخرى خير المراضع بعيداً عن حر مكة الخانق، حتى أدركن سن الفطام وعدن إلى حضانة الأم التي كانت لهن خير مربية، حتى إذا شبت كبراهن زينب عن الطوق بادرت أمها بتمرينها على المشاركة في العبء الكبير، فكانت زينب لشقيقتها الصغرى فاطمة أمماً صغيرة ترعى شؤونها، وقرب هذا الوضع ما بين زينب وفاطمة، كما أوجد تقارب السن ألفة بين الأختين رقية وأم كلثوم فكانتا رفيقتين يجمعهما الملعب المشترك والفرش الواحد والطباع المتشابهة.

وسارت الحياة بالشقيقات رحية هانئة... حتى تزوجت زينب فافتقدتها أخواتها وشعرن بالوحشة لغياهما، وكانت أصغرهن فاطمة بحكم طفولتها أجهلن لحكمة الزواج وأشدهن ضيقاً منه فما أرضاها قط أن يبعدوا عنها أمها الصغيرة.

وما مضى على زواج زينب إلا قليل، حتى حُطبت أختها رقية وأم كلثوم لأبناء العم أبي لهب وبقيت فاطمة وحيدة في بيت أبيها، وستبدأ صفحات قادمة نرى فيهن كل واحدة منهن قد واجهت دنياها الجديدة واستقبلت بجياتها الخاصة الأحداث المؤلمة الجسام.

زينب الكبرى

لم تكن جاوزت العاشرة من عمرها حين رُثَّ إليها عيون الهاشميين وتنافسست بيوت قلة للظفر بها عروساً، وكان أبو العاص يراها كلما ألمَّ ببيت خالته خديجة حيث كان يجعل بيت محمد ﷺ قبلته بعد الكعبة.

وكانت زينب ترتاح إلى محضره، وبعدها وافقت خديجة على أن يتقدم ابن أختها أبي العاص إلى زينب خاطباً، فكان جواب رسول الله ﷺ نعم الصهرالكفاء، فكان أبو العاص ذا أصل عريق طيب كريم الخصال نبيل الشخصية حتى لُقِّبَ قومه بالأمين، كما لُقِّبوا رسول الله ﷺ، وهناك وبعد الزواج أظلت زينب وزوجها أبا العاص سعادة خالصة، ثم من الله عليهما بوليدهما "علي بن أبي العاص وأمامة".

وذاث يوم سعت زينب إلى بيت أبيها بعد مغادرة زوجها مع القوافل من أجل التجارة، فرأت أمها قد جاءت من زيارة لابن عمها ورقة بن نوفل حيث تحدثت مع زينب حديثاً عجباً عن نزول الوحي على أبيها ﷺ وقالت لها فاطمة: أوما يسرك يا أختي أنك بنت نبي هذه الأمة؟ هو ما قالت أمي لأبي ﷺ.

وبعد حين ... عاد ابن الربيع من رحلته لأنه كان يعمل بالتجارة، وقد سمع شائعات من الركبان في القوافل عن ظهور محمد بن عبدالله ﷺ بدين جديد، فلما وصل بيته تحدثت إليه زينب بالنبا اليقين وسألته ما بك يا ابن الخالة؟ قال: إني خائف، فقالت زينب: إني قد أسلمت، وكذلك أمي وأخواتي وعلي ابن أبي طالب وأبي بكر ومن قومك عثمان بن عفان وابن خالك الزبير ابن العوام، قال أبو العاص: فهل فكرت يا زينب حين تبعت دين أبيك فيما يحدث لو أني بقيت على دين آبائي؟ قالت: بل رجوت أن تسبق إلى الإسلام، ثم خرج إلى دار الندوة، ثم آب¹⁷⁴ إليها في غسق الدجى واجماً، فقال لها: لقيت أباك ﷺ عند الكعبة يا زينب ودعاني إلى الإسلام ثم لم يزد، والله ما أبوك ﷺ عندي بمتهم، لكني أكره أن يقال: إن زوجك خذل قومه وكفر

¹⁷⁴ - آب: رجع.

بدين آبائه مرضاة لامرأة وقد تمثل بموقف أبي طالب بقيّ على دين قومه وأن محمداً ﷺ أحب إليه من ولده.

وهذه قريش قد لجّت عداوتها للرسول ﷺ ومنّ أسلم وأخرجتهم من ديارهم، فكانت المقاطعة الرهيبة التي سجلت في صحيفة غُلقت بجوف الكعبة، ولم تكن زينب فيمن خرج إلى الشعب لكن أبناء مَنْ فيه كانت تأتيها وهي بدار زوجها، فتروّعها بالذي يكابده أهلها هناك، حيث كانت هناك أمها خديجة وأختها أم كلثوم وفاطمة، أما رقية فكانت بالهجرة مع زوجها.

لم تنجل محنة الحصار إلا لتسلم إلى ليل طويل لا يبدو له آخر، مات العم أبوطالب بعد تمزيق الصحيفة بستة أشهر، وبعد وفاته بثلاثة أيام ماتت خديجة أم المؤمنين الأولى، وعادت معركة الاضطهاد إلى أشد مما كانت عليه تأججاً وسعيّاً .

فبدأ المسلمون بالهجرة إلى يثرب تبعاً فراراً بدينهم من الفتنة والأذى، حتى لم يبق بمكة إلا محمداً ﷺ وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، وبلغت هذه المرحلة من المعركة ذروتها حيث سمعت زينب أن المشركين أئتمروا بمحمد ﷺ ليقتلوه ويستريحوا منه، فأوحس في قلبها خيفة حتى جاءها الخبر أن أباه (رسول الله ﷺ) قد هاجر ومعه أبي بكر إلى يثرب تاركاً أختها في بيت أبيها.

وبقيت زينب في دار زوجها إذ لم يكن الإسلام فرّق بينهما بعد، وسمعت قريش بأن محمداً ﷺ قد وجد في يثرب أنصاراً وداراً ومقاماً، وأصحابه هناك يتربصون بهم ليقطعوا الطريق الحيوي بين مكة والشام، وقد نجحت جماعة من المسلمين في الظفر بغير تحمل تجارة لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، فعاد المسلمون إلى يثرب بالعبير وأثنين من الأسرى وتركوا ابن الحضرمي صريعاً بسهم على أديم الصحراء.

وظل أهل مكة بين مصدق ومكذب حتى روعوا بعودة ضمضم بن عمرو الغفاري وكان مسافراً في تجارة للشام مع أبي سفيان، فلما بلغ مكة وقف على بعبيره وحول رحله وشق قميصه وصاح مستنرفاً: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة¹⁷⁵ أموالكم مع أبي سفيان قد عرّض لها محمداً ﷺ لا أرى لكم أن تدركوها الغوث الغوث.

¹⁷⁵ - اللطيمة: الإبل المحملة بالطيب.

زينب تحزن على أبيها رسول الله ﷺ

فجاءت الأصوات من كل جانب في مكة: أئظن محمد ﷺ وأصحابه أن تكون غير أبي سفيان كغير ابن الحضرمي؟ كلا والله ليعلمن غير ذلك.

وصل الصوت سمع زينب فأدرت أنها الحرب بين قريش والمسلمين (زوجي وابني وبنتي ووالدي) فجهزت قريشاً ألف مقاتل كاملي العدة شاكي السلاح ومشى الجيش باتجاه يثرب، فعلمت زينب الخبر وسألت: كم عدد الجيش مع رسول الله ﷺ؟ فقالوا لها: مائة أو مائتان أو ثلاثمائة، فقالت في نفسها: معركة غير متكافئة.

وانتنت إلى مهد صغيريها (علي وأمامة) فرئت إليهما بعين دامعة، وهمست لن تطلع علينا الشمس في مثل يومنا هذا إلا وأنتما يتيمان أو أنا، واستسلمت لقضاء الله، ولم تحاول أن تتابع أحوال القتال أو تلتمس ما يصل إلى مكة من أخباره، فأيا ما كانت النتيجة تكون.

وبعد حين ... جاء الخبر جاءتها عاتكة بنت عبدالمطلب وفاجأها قائلة: أوما بلغك الخبر العجيب؟ انتصر محمد ﷺ في قلة من صحابته على قريش في كثرتها وعدتها، فانتفضت زينب هاتفة: انتصر أبي وفرحتاه ثم تذكرت بغتة زوجها أبا العاص، فضمت طفليهما إلى صدرها وبكت وقبل أن تسأل، فقالت العمه عاتكة: لم يقتل زوجك وإنما أسر... وأذيع أسماء الأسرى في مكة المكرمة، فبعث ذووهم في الفداء، وكان أبو العاص ذا مال لكن زينب آثرت أن تفديه بما هو أغلى من المال.

وفي يثرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالأسارى خيراً"¹⁷⁶ وبقي أبوالعاص عند رسول الله ﷺ حتى جاءت رسل قريش في فداء أسراها، وغالوا في الفداء حتى أن المرأة لتسأل عن أغلى ما فدى به فرشي فيقال لها: أربعة آلاف درهم فتبعث بمثلها في فداء ابنها.

¹⁷⁶ - الراوي: أبو عزيز بن عمير، المحدث: الألباني، المصدر: ضعيف الجامع، الصفحة أو الرقم: (832).

وتقدم عمرو بن الربيع أخو أبي العاص فقال للنبي ﷺ: بعثني زينب بنت محمد ﷺ بهذا في فداء زوجها أخي أبي العاص بن الربيع¹⁷⁷، وأخرج من ثيابه صُرَّة قدمها إلى المصطفى ﷺ... فإذا هي قلادة لم يكدها يراها رسول الله ﷺ حتى رُقَّ لها رُقَّةً شديدة. لقد كانت قلادة خديجة التي أهدتها إلى بنتها زينب يوم عرسها، وأطرق الصحابة خُشْعاً وقد أخذوا بجلال الموقف، قلادة الحبيبة تبعث بها بنت النبي ﷺ إلى أبيها في فداء زوجها.

فقال الأب ﷺ في حنان: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ما لها فافعلوا¹⁷⁸، قالوا: نعم يا رسول الله ﷺ، فاطلقوه وردُّوا عليها الذي لها، ورجع أبو العاص إلى مكَّة المكرمة مع أخيه، وعندما وصل بيته وثب قلب زوجته إليه فرحة بنجاته فقال لها: جئتكم مودعاً يا زينب لست راحلاً ولكنك أنت الراحلة هذه المرة، إن أباك ﷺ هو الذي طلب أن أردُّك إليه لأن الإسلام فرَّق بيننا وقد وعدته أن أدعك تسيرين إليه وما كنت لأنكثُ عهدي.

قريش تظلمُ زينب بنت رسول الله ﷺ

تجهزي أنت والأطفال وسيأتي أخوك زيد بن حارثة ومعه صاحب من أنصار أبيك حتى يبلغا "بطن ياجج" على بعد ثمانية أميال من مكَّة فينتظرهناك، وفعلاً خرجت زينب حزينة متألِّمة وفي أحشائها بضعة منه (جنين لم يستكمل الشهر الرابع) وانطلق كنانة يقود بعيرها نهاراً هناك سمعت قريش بخروجها، فخرج رجال منهم في أثرها حتى أدركوها بذى طوى.

فكان أسبقهم إليها هَبَّار بن الأسود الأسدي الذي روعها بالرمح وقد جنَّ حزنه على إخوة ثلاثة له صرعوا يوم بدر بأيدي أصحاب رسول الله ﷺ¹⁷⁹، فنخس البعير فألقى براكبته (زينب والأطفال) على صخرة هناك، وإذ ذاك برك كنانة دونها ونثر كنانته

¹⁷⁷ - مسند أحمد (276/6) والسيرة (317/2) والإستيعاب والإصابة: ترجمة أبي العاص.
¹⁷⁸ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: إرواء الغليل، الصفحة أو الرقم: (43/5)، إسناده حسن.
¹⁷⁹ - السيرة (266/2) الروض (124/3) العيون (85/1).

وهو يزأر: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتراجع المطاردون الجبناء ووقف أبوسفیان بعيداً يقول لكنانة: كفّ عنا نبلك حتى نكلمك فكفّ.

وتقدم أبوسفیان حتى دنا منه وقال: إنك لم تُصب يابن الربيع وقد خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد ﷺ فيظن الناس أن ذلك عن ذل أصابنا، وأن ذلك منا ضعف ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، لكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها، فسألها سرّاً فألحقها بأبيها¹⁸⁰ فاستعظم كنانة أن يردها ليعود فيتسلل بها سرّاً.

لولا أنه سمع توجّعها فالتفت إليها فراعته أن رآها تنزف دماً، لقد طرحت جنينها على أديم الصحراء أمام طفليها علي وأمامة وعاد بها إلى مكّة، حيث بقي أبو العاص إلى جانبها أياماً يرهاها، فلما تماكنت بعض قواها خرج بها كنانة حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وما تزال تنزف دماً.

¹⁸⁰ - السيرة (309/2) وتاريخ الطبري (292/2).

رسول الله ﷺ يتألم على ابنته زينب

وبعد حين ... استقبلت يثرب بنت النبي ﷺ، وأخبروا رسول الله ﷺ بما حدث، قال أبوهريرة: بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها فقال لنا: إن ظفرتم بـبَار بن الأسود والرجل الآخر سماه ابن إسحق هو نافع بن عبد قيس فحرقوهما بالنار. فلما كان الغد بعث إلينا فقال: إني قد أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوها¹⁸¹.

ومضت ست سنوات حافلة بجليل الأحداث وزينب في جمى أبيها بالمدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) حتى كانت ليلة من ليالي جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة، ودنا الفجر وإذ بالباب يُطرق على حُجرة زينب... وإذ أبي العاص بن الربيع وقد شحب وجهه وبان عليه القلق والإجهاد، فقالت: أبا العاص؟ قال: نعم، قد أَلقت به المقادير.

لم آتِ مسلماً وإنما خرجت تاجراً إلى الشام في أموال لي وأخرى لقريش، فلما فرغت من تجارتي وأقبلت قافلاً راجعاً إلى مكة، لقيتني سرية لأبيك ﷺ فيها زيد بن حارثة ومعه مائة وسبعون رجلاً فأصابوا كل ما معي وأعجزتهم هارباً حتى إذا جنَّ الظلام جئتك متخفياً مستجيراً فصاحت زينب بأعلى صوتها: أيها الناس إني أجرت أبا العاص بن الربيع¹⁸².

وحمل نسيم الفجر صوتها إلى مَنْ في المسجد، فلما سلّم الرسول ﷺ (أنهى الصلاة - صلاة الفجر) أقبل على مَنْ معه فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم يا رسول الله ﷺ قال: إنه يُجبر على المسلمين أذناهم وقد أجرنا مَنْ أجات¹⁸³، ثم انصرف رسول الله ﷺ ودخل على ابنته وعندها ابن الخالة.

181 - ابن إسحاق في السيرة (312/2) بإسناده عن أبي هريرة.

182 - الطبقات الكبرى لابن سعد (63/2) والسيرة (312/2) والإستيعاب (702/4).

183 - السيرة: (313/2) والإستيعاب (1702/4) وطبقات ابن سعد (63/2) وتاريخ الطبري (292/2).

فما كادت تراه حتى قالت ضارعة: يا رسول الله ﷺ إن أبا العاص إن قُرب وإن بُعد فأبو ولد وإني قد أجزته، فقال رسول الله ﷺ: أي بنيّة، أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له¹⁸⁴.

وفي الصبح بعث النبي ﷺ مَنْ يَصْحَبُ أبا العاص إلى المسجد حيث كان يجلس في جمع من صحابته، بينهم رجال السرية وقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً فإن تُحسِنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نُحِبُّ ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به، فأجابوا بصوت واحد: يا رسول الله ﷺ بل نرده عليه، وأسرعوا يفعلون حتى إن أحدهم ليأتي بالدلو والإناء الصغير وبالسقاء البالي ... إلى أن ردوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيء، وحين موعد رحيله فقال رسول الله ﷺ وهو يودعه: حَدَّثَنِي فُصْدَقِي، ووعدني فأوفى لي¹⁸⁵.

ومضى أبو العاص حتى بلغ مكّة وفرحت قريش إذ رأته يعود بتجارته راجحة، لكنه استمهّل القوم حتى أدى إلى كل ذي مال منهم ماله.

ثم وقف بحيث يُسمع وصاح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وُفياً كريماً.

فقال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعي من الإسلام إلا إنني تَخَوَّفْتُ أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت (لأن المسلمين عرضوا عليه الإسلام وهو في المدينة وقالوا له: خذ هذه الأموال وأسلم فإنها للمشركين فقال: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي) وانطلق مستقبلاً دار الهجرة.

استمهّل المحرم من سنة سبع، وقد عاد الرسول ﷺ وصحبه من صلح الحديبية وفي هذا الشهر محرم من سنة سبع للهجرة توجه أبو العاص فور مقدمه إلى المسجد النبوي،

¹⁸⁴ - أخرجه ابن حجر في ترجمة أبي العاص من طريق الحاكم أبي أحمد في الكنى، ومن طريق البيهقي (119/7).

¹⁸⁵ - الراوي: علي بن الحسين بن علي، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (2449).

فهلّل المسلمون وكبروا حين رأوه يبائع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الرسول ﷺ: الإسلام يجب ما قبله¹⁸⁶ ودعا إليه ابنته زينب فردّها على أبي العاص (قيل ردّها على الأول وقيل بنكاح جديد) ومضى عام واحد ثم كان الفراق الذي لا لقاء بعده.

رسول الله ﷺ يوّدع ويبكي ابنته زينب

توفيت زينب في مستهل السنة الثامنة للهجرة، متأثرة بعلتها التي لزمته منذ طرحت جنينها على أديم الصحراء وهي خارجة من مكّة، وُرّيع أبو العاص للمصاب الفادح فأكب على جثة الحبيبة يناجها حتى أبكى من حوله، ولم يجرؤ أحد منهم على إبعاده عن فراش الراقدة، حتى جاء أبوها ﷺ محزوناً فاستودعها ثم قال: اغسلنها وتراً: ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً¹⁸⁷.

ورجع أبو العاص إلى بيته حيث ابنه علي وابنته أمّامة، وكذلك وجد الرسول ﷺ في أمّامة ما يخفف حزنه على زينب.

وفي الصحيحين: أنه عليه الصلاة والسلام كان يحملها (أمّامة) على عاتقه ويصلي بها، فإذا سجد وضعها حتى يقضي صلاته ثم يعود فيحملها.

وعن السيدة عائشة: أن الرسول ﷺ أهديت إليه هدية فيها قلادة من جرز فقال: لأدفعنها إلى أحب أهلي اليّ فقالت النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة (أي عائشة) لكن رسول الله ﷺ دعا أمّامة بنت زينب فأعلقها في عنقها¹⁸⁸.

ولحق أبو العاص بن الربيع بزَيْنب أيام أبي بكر في ذي الحجة من السنة الثانية عشرة للهجرة¹⁸⁹، حيث أوصى بابنته أمّامة إلى الزبير ابن خاله العوام بن خويلد بن

¹⁸⁶ - الراوي: عمرو بن العاص، المحدث: الألباني، المصدر: إرواء الغليل، الصفحة أو الرقم:

(1280).

¹⁸⁷ - أخرجه مسلم في صحيحه، ك الجنائز من حديث أم عطية الأنصارية من عدة طرق، وعنه في

الإصابة (92/8).

¹⁸⁸ - أسنده ابن سعد في الطبقات من رواية الليث بن سعد وعنه في الإصابة (14/8).

¹⁸⁹ - طبقات ابن سعد، والاستيعاب والإصابة.

أسد وقد زوجها من علي بن أبي طالب بعد وفاة خالتها الزهراء، وظلت معه حتى قتل فكان مشهدها وهي تطوف به إذ هو مسحى على فراشه يمزق القلوب، ثم تزوجها المغيرة المطلبى الهاشمي، وأقامت معه دون خلف حتى ماتت، وكذلك أخوها علي مات مراهقاً وموتها انقطع عقب زينب الكبرى بنت رسول الله ﷺ، سلام على زينب بنت محمد صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

رقية بنت رسول الله ﷺ

بعد زواج زينب بوقتٍ قصير قال أبوطالب: إنك يا بن أخي قد زوجت زينب أبا العاص بن الربيع وإنه لنعم الصهر، غير أن بني عمك يرون لهم عليك مثل ما لابن أخت خديجة وليسوا دونه شرفاً ونسباً؟ أجابه محمد ﷺ "صدقت يا عم"، ثم قال: وقد جنناك نخطب ابنتينا رقية وأم كلثوم لعتبة وعتيبة ابني العم عبدالعزيز (أبو لهب). وكانت خديجة لا تستريح إلى أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد شمس، ففيها قسوة القلب وشراسة الطباع وحدة اللسان .. وقد أشفقت السيدة خديجة على ابنتها من معاشره هذه المرأة، تزوجت رقية عتبه بن عبدالعزيز بن عبدالمطلب الهاشمي وتزوجت أختها أم كلثوم أخاه عتيبة، لم يكذب السيدة خديجة ظنها، فما كاد محمد ﷺ يتلقى رسالة ربه ويدعو إلى الدين الحق حتى أُخْرِجَتْ رقية وأم كلثوم من بيت أبي لهب وُرِدَتَا إلى بيت أبيهما، وكانت قريش قد ائتمرت بسيدنا محمد ﷺ في بناته قائلة: إنكم قد فرغتم محمد ﷺ من همم، فردوا عليه بناته فأشغلوه بهن، ومشوا إلى أصهار الرسول ﷺ الثلاثة فقالوا لهم واحداً بعد الآخر فارق صاحبك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، فأما أبو العاص فأبى مؤثراً زينب على نساء قريش جميعاً، وفي الحق أن ابني أبي لهب لم يكونا في حاجة إلى سعي من قريش لطلاق رقية وأم كلثوم، فلقد تكفلت به أم جميل بنت حرب (زوجة أبي لهب) من قبل حين أقسمت ألا يظنها وبنتي محمد ﷺ سقف واحد، وما زالت بزوجها أبي لهب حتى قال لأبناءه: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد ﷺ (هذا أبو لهب الذي ابتهج بمولد محمد ﷺ وأعتق جاريته ثوية عندما بشرته بولادة محمد ﷺ).

وردت إليه عليه الصلاة والسلام ابنتيه طالقين، ومع كل ذلك البلاء طاب لرقية وأم كلثوم أن تشاطرا أبايهما ما يلقيان في سبيل الله.

وخاب ظن المشركين وحمالة الحطب فقد نجّاهن الله من محنة العيش مع ابني حمالة الحطب أم هلب، ثم أبدلهن الله خيراً منها زوجاً صالحاً كريماً من النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ذلك هو عثمان بن عفان بن أبي طالب بن أمية بن عبد شمس، حيث تقدم عثمان إلى رسول الله ﷺ يسأله شرف المصاهرة فزوجة رقية، وهاجر عثمان ورقية التي لم تسيطر على دموعها وهي تطوف بمغاني صباها مودعة، وتعانق أباهما وأموها وأخواتها الثلاث إلى الحبشة.

ولعل السيدة رقية كانت من أشد المهاجرين حنيناً إلى مكة، ولعلها ما افتقدت أبايهما وأخواتها من قبل مثلما افتقدتهم آنذاك، فلقد أثرت الأحداث الشدائد التي مرت بها في صحتها، فأسقطت جنينها الأول حتى خيف عليها من فرط الضعف والإعياء.

وعندما كانت في الحبشة وصلت الشائعات أن قريشاً ثابت إلى رشداه، ومالت فئة منها إلى الإسلام، فهتفت قلوبهم بالعودة إلى الوطن، وانطلق الركب من الحبشة إلى مكة المكرمة يتقدمهم عثمان ورقية وابنهما عبدالله رضيعاً حتى آبت إلى بيت أبيها مشوّقة مجهدة فحفت أختاها أم كلثوم وفاطمة للقاءها معانقتين، ثم سألت أين أبي وأمي؟ أجابتا: أبونا بخير، وقد خرج للقاء العائدين معك من مهاجرة الحبشة، وأمي أين هي؟ فأطرقت أم كلثوم صامتة لا تجيب، وأما فاطمة فغادرت الغرفة وهي تنشج باكياً.

هناك كفت رقية عن أسئلتها، وسارت مترنحة نحو مخدع أمها الراحلة حيث تمالكت على فراشها جامدة العين زائغة البصر مثلجة الأطراف ترتجف (أمي أمي يا أمي...) فأسعفتها الدموع ما شاء لها حزناً على أمها الراحلة، إلى أن جاء أبوها ﷺ فأزاح بحرارة لقاءه وحنانه أثر الصدمة، فتابت رقية إلى السكينة والصبر.

رقية تودّع وتبكي ابنها الوحيد (عبدالله)

لم يطل بها المقام بمكة بعد ذلك فقد هاجر أبوها إلى يثرب، كذلك هاجرت هي في صحبة زوجها وابنها... مات ابنها(عبدالله) صبياً في السادسة من عمره بنقرة من ديك فترنحت رقية تحت وطأة الشكل المرير المضاعف، صريعة الحمى قيل: إنها الحصبة وأقام عثمان إلى جانبها يمرضها ويرعاها، حتى إذا تناهى إلى سمعه صوت داعي النبي يؤذّن أن حيّ على الجهاد فتجهز المهاجرون والأنصار لبيك لبيك يا رسول الله ﷺ للقاء عدوهم في بدر وُدَّ¹⁹⁰ عثمان لو يليي الداعي الكريم، لكن قلبه لم يطاوعه على فراق رقية التي كانت تعالج ما يشبه سكرات الموت.

رسول الله ﷺ يودّع ويبكي ابنته رقية

فتخلف عثمان عن شهود موقعة بدر بأمر النبي ﷺ وراح يشهد معركة الموت في أعز من له، ثم قسا الصراع وطال، وعيناها على زوجها وهو يسمع حشجة الموت وغابت عن الوجود(الفراق الذي لا لقاء بعده) لقد ماتت رقية، فانتفى عليها باكياً يتزود منها قبل الرحيل، وفي مسمعه صدى أصوات جيوش المسلمين بانتصار رسول الله ﷺ في بدر الله أكبر الله أكبر.

وجاء الأب الثاكل فدنا من ابنته الراقدة ثم انثنى في رفق نحو ابنته فاطمة التي أكبت على مضجع أختها تبكي فجعل يمسح دموعها بطرف ثوبه¹⁹¹، ولم تتمالك النساء أنفسهن فانسحن من حضرته مجهشات بالبكاء.

وقد تخلى عنهن ما كن يصطنعن في حضرة النبي ﷺ من تحمل وصبر، وهاج نحيهن فغضب عمر بن الخطاب فزجرهن في عنف وقسوة محاولاً أن يأخذن بما يجب لمثل هذا المكان من سكينه ووقار، لكن المصطفى الرحيم ﷺ كفه عنهن قائلاً: دعهن يا عمر وإياكن ونعيق الشيطان مهما يكن من العين ومن القلب فمن الله والرحمة،

¹⁹⁰ - وُدَّ: كم نعى.
¹⁹¹ - الإصابة(83/8).

ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان¹⁹² ، وصلى الأب ﷺ على ابنته رقية ذات الهجرتين وضرب أبوها لصهره عثمان بسهمه وأجره مما أفاء الله على المسلمين في بدر. سلام على رقية بنت محمد صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله وموتها انتهى عقب رقية بنت محمد صلى الله عليه وسلم.

أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ

أراد الله بها خيراً فطلقها عتبية بن أبي لهب عدو الله، ونجت بذلك من نكد العيش مع جمالة الخطب، كما نجت أختها العزيزة رقية، وبقيت أم كلثوم مع أختها الصغرى فاطمة في بيت أبيها تستقبله إذ يعود كل يوم إلى بيته وعلى كاهله العبء الثقيل وعلى ثيابه الطاهرة آثار ما كان يلقي من أذى قريش.

هكذا عاشت أم كلثوم مع أهلها في صميم معركة الاضطهاد الأولى، لكن قريشاً لم تكنفي بهذه الحرب المدنية بل سجلوا مقاطعتهم في وثيقة علقوها في جوف الكعبة، فخرج محمد ﷺ وأهله ومن تبعه إلى شعب أبي طالب.

فكانت أم كلثوم مع اللواتي خرجن مع محمد ﷺ هي وأختها فاطمة وأمها خديجة وبقيت هناك تسهر مع أمها خديجة التي تقدم بها السن وأهككتها الأحداث وأحست دنو أجلها، ثم جاءهم أبوطالب بخبر نقض الصحيفة، فكبر المسلمون الله أكبر وأصبحوا ساعين إلى الكعبة فطافوا بها، ثم أبوا إلى بيوتهم في مكة.

وفي بيت النبي ﷺ رقدت السيدة خديجة في فراشها للقاء رها، والنبي ﷺ إلى جانبها يهون عليها سكرات الموت ويشرها بما أعد الله لها من نعيم وبناتها الثلاث، زينب وأم كلثوم وفاطمة يُحطن بفراشها ويتزودن منها قبل الرحيل، ثم ما لبثت روحها أن فاضت، فبكى رسول الله ﷺ وبكت بناته الثلاث.

وفي اليوم العاشر من شهر رمضان سنة عشر من المبعث حملت خديجة إلى الحجون وهناك أضجعها زوجها بيديه في حفرتها، وعاد إلى بيته محزوناً، فضم بناته لكي

192 - أسنده ابن سعد عن ابن عباس، الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الذهبي، المصدر: ميزان الإعتدال، الصفحة أو الرقم (128/3).

يهوّن عليهن هذا المصاب، فأحس محمد ﷺ من تلك اللحظة إنه ليس له بمكة مقام، فودّع بناته لأن أوان الهجرة قد آن ثم ذهب إلى أبي بكر الصديق، وانتظر لحظة قبل أن يفصل عن مكة فأشرف من هناك أي من منطقة فيها ارتفاع على مبعث النور ثم قال: إنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت¹⁹³ ومضى مع صاحبه الصديق، وترك ابنتيه أم كلثوم وفاطمة وحيدتين في البيت، وجاءت البشرية بوصول النبي ﷺ سالماً إلى يثرب ثم ما لبث زيد بن حارثة أن أقبل من المدينة (على ساكنها الصلاة والسلام) إلى مكة ليصحب أم كلثوم وفاطمة وآل أبي بكر إلى دار الهجرة.

وهناك أمضت أم كلثوم وفاطمة يومهما الأخير في مكة مع أختيها زينب، وأمست أم كلثوم بيد أختها الصغرى فاطمة، ومضت بها إلى حيث كان زيد ينتظرها متهيئاً للرحيل، وألقنا نظرة وداع على مغابي مكة وما تدريان أتكون إليها عودة، ثم اندمجنا في الركب المهاجرة حتى وصلنا إلى منزل أبيهم الكريم من الأنصار، ومضى على الهجرة عامان حافلان بجليل الأحداث وشهدت أم كلثوم عودة أبيها منتصراً من بدر كما شهدت موت شقيقتها رقية يوم النصر، وأهلّ العام الثالث.

فكانت أم كلثوم تلمح عثمان بن عفان في هذه الفترة وهو يلزم أباهما ويلتمس لديه العزاء عن فقيدته الغالية، إلى أن كان يوم من أيام شهر ربيع وقد آوى الرسول ﷺ إلى بيته ليستريح، فإذا عمر بن الخطاب يسعى إليه مستثار الغضب ليشكو إليه صاحبيه أبا بكر وعثمان بن عفان... لقد عرض عمر بن الخطاب على أحدهما بعد الآخر أن يتزوج من بنته حفصة، بعد أن مات عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمي، فسكت أبو بكر وأجاب عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم.

¹⁹³ - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البزار، المصدر: البحر الزخار، الصفحة أو الرقم: (17/11).

وسمعت أم كلثوم أن أباهما قال لعمر بن الخطاب: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة¹⁹⁴.
وعجبت أم كلثوم لأن أباهما لم يحدثها في هذا الأمر، وقد عهدته لا يزوج واحدة من بناته دون أن يعرف رأياها.

وهناك دخلت عليها أم عياش خادم النبي ﷺ تدعوها للقاء أبيها، وفي شهر ربيع الأول سنة ثلاث للهجرة، تم عقد زواجها من عثمان بن عفان ذي النورين (على مثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها) وعاشت أم كلثوم ست سنوات رأت فيها الإسلام يبلغ أوج انتصاره، وشاهدت أباهما المصطفى ﷺ يخرج من غزوة إلى غزوة مؤيداً مظفراً، وزوجها ذو النورين معه صاحباً ومجاهداً بماله ونفسه، وفتحت مكة بعد عامين من صلح الحديبية، وأدركت أم كلثوم هذا الفتح كما أدركته أختها فاطمة، وأدرت كذلك مسيرة الرسول ﷺ إلى تبوك في شهر رجب سنة تسع، ثم رحلت أم كلثوم.

رسول الله ﷺ يودع ويكي ابنته أم كلثوم

ماتت في بيت عثمان في شهر شعبان سنة تسع عن غير ولد¹⁹⁵، ووسدوها ثرى يثرب إلى جانب أختها، ووقف أبوها ﷺ على قبرها دافع العينين مثقل القلب بألم الشكل المتتابع.

رحم الله أم كلثوم فأعفاها من محنتي اليتيم والترمل، فلم تشهد رحيل أبيها عن الدنيا بعد عام واحد عندما اهتزت المدينة المنورة ألماً وحزناً وبكاءً على أبيها، ولا المصراع الفاجع لزوجها يوم الدار.

سلام على أم كلثوم بنت محمد صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

¹⁹⁴ - الراوي - المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: الإصابة، الصفحة أو الرقم: (273/4)

¹⁹⁵ - غير ولد: أي لم تنجب.

فاطمة الزهراء أم أبيها عليهما السلام

كانت رابعة البنات (رضوان الله عليهن) ومولدها في السنة الخامسة قبل المبعث وأمضت طفولتها سعيدة، فلم تتجاوز الخامسة من عمرها لتواجه الرجّة العنيفة وتقف في مهبط الإعصار الذي أثارته الوثنية العاتية، في وجه الدين الحق فوّدت لو يسلم بنو هاشم جميعاً فهم آل أبيها وعشيرته الأقربون.

وكان صغر سنّها يتيح لها أن تخرج من البيت وتتبع أباهما ﷺ إذ يسعى إلى أنديّة قريش، فكانت قريبة منه يوم أقبل يمشي إلى الكعبة حتى استلم الركن فما لمح المشركون حتى وثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأمسكت فاطمة أنفاسها وهي ترى رجلاً منهم يأخذ بمجمع رداء أبيها وقد صدّعوا رأسه، فثقل الذعر والخوف والذهول حركتها وما تحركت، فغادر أبوها ﷺ الكعبة ومشى في الطريق وفاطمة تتبعه عن كثب فلم يلقه أحد من الناس لا حرّاً ولا عبداً إلا كذّبه وآذاه.

وكانت تقف غير بعيد من أبيها ﷺ وتحوم بعينيها وقلبها حوله، إذ هو ساجد في الحرم جاءه عقبه بن أبي معيط بسلي جزور¹⁹⁶ فقذفه على ظهره فلم يرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه حتى تقدمت ابنته فاطمة فأخذت السلي ودعت على من فعل ذلك، وإذ ذاك رفع النبي ﷺ رأسه وقال: اللهم عليك المأى من قريش... اللهم عليك بأبي جهل ابن هشام، وعنتة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبه بن أبي معيط، وأبي بن خلف¹⁹⁷ وانتهى من صلاته وانصرف إلى بيته تصحبه ابنته فاطمة، ولن تمضي غير أعوام معدودات لترى فاطمة هؤلاء المأى الذين دعت عليهم ودعا عليهم رسول الله ﷺ صرعى مجندين حول ماء بدر، وفي صحيح الحديث: "إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني من آذاها، ويريني من رأيها".

¹⁹⁶ - سلي جزور: ما تخرجه الإبل بعد الولادة.

¹⁹⁷ - الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (3854).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير نساء العالمين أربع: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى لرضاك ويغضب لغضبك"، قال ابن جريج: "قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي وأحبهن إليه" 198.

فاطمة تعيش الأحداث المؤلمة

ثم إن فاطمة صحبت أبويها إلى شعب أبي طالب، حيث عاشت هناك بين أسوار الحصار المنهك سنين عددا، ثم عادت إلى مكة بعد انهيار الحصار، وقد وضعت الأم خديجة يدها على جبين ابنتها الطفلة وهمست برفق - ماذا ستلاقين من بعدي يا صغيرتي؟!.. لقد نلت حظي من الدنيا، فأنا هنا اليوم أو غداً، وأنت سوف تستقبلين الحياة حافلة بالمتاعب مليئة بمزيد من الحزن والآلام والمحن.

وبدأ الحزن والألم... شهدت فاطمة موت أمها خديجة، ثم هجرة أبيها ﷺ إلى يثرب وعلى أثره هاجر علي بن أبي طالب، وكان قد تمهل ثلاثة أيام في مكة ريثما أدى عن النبي ﷺ المهاجر الودائع التي كانت عنده للناس.

رسول الله ﷺ يتألم على ابنته فاطمة

وبقيت فاطمة وأختها أم كلثوم في مكة حتى جاء رسول من أبيها النبي ﷺ، فصحبها إلى يثرب وأغلقت دار المصطفى ﷺ في مكة، لكن لم تمر الرحلة بسلام، فما كادت تودعان أم القرى وينفصل بهما الركب شمالاً حتى طاردها اللئام من مشركي قريش، وباء الحويرث بن نقيذ بن عبد بن قصي وكان مما يؤدي أباه النبي ﷺ بمكة، بإثم اللحاق بهما حتى نَحَسَ بغيرها فرمى بهما إلى الأرض، وكانت فاطمة يؤمئذ ضعيفة نحيلة الجسم، قد أنهكتها الأحداث الجسام، وترك الحصار المنهك أثره في صحتها، فلما رمى بهما إلى الأرض سارت بقية الطريق متعبة... إلى أن بلغت المدينة المنورة، وما تكاد ساقاها تنهضان بما.

198 - من كتاب المناقب في صحيح البخاري، وكتاب الفضائل في صحيح مسلم مع ترجمتها رضي الله عنها في طبقات ابن سعد (15/8) والإستيعاب (1893/4) والإصابة (157/8).

وهناك(أي في مدينة رسول الله ﷺ) لم يبق أحد إلا ولعن الحويرث القرشي، وسوف تمر السنوات والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الحويرث يوم الفتح الأكبر ويسميه مع نفر الذين عهدَ إلى أمرائه أن يقتلوهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة، وكان حقاً لعلي بن أبي طالب أن يقتله وقد فعل.

ودخلت بيت أبيها في المدينة المنورة(على ساكنها الصلاة والسلام) لم يكن قصراً فحماً ولا صرحاً مشيداً، بل كان حُجرات بدوية مفتوحة على فناء المسجد النبوي بعضها من حجارة مرصوفة، وبعضها من جريد يمسه الطين وكانت جميعاً مسقوفة بالجريد، وأما ارتفاعها يقول الحسن سبط النبي ﷺ: كنت أدخل بيوت النبي ﷺ وأنا غلام مراهق، فأنال السقف بيدي والباب كان يقرع بالأظافر¹⁹⁹، وكان سرير النبي ﷺ خشبات مشدودة بالليف، إلى هذا المنزل الجديد المتواضع جاءت فاطمة وقاربت وقتئذ عامها الثامن عشر، وما تزال منصرفة عن الزواج زاهدة فيه مؤثرة مكانها إلى جانب أبيها الحبيب، فمنذ ماتت خديجة وهي ترى نفسها ربة البيت التي تحمل عبء إدارته وخليفة الأم الراحلة في الوقوف إلى جانب المصطفى ﷺ المجاهد ثمَّيء له راحة وسكناً، وقد أبلت في ذلك المجال مما جعلها تظفر بأجل كُنية(أم أبيها).

ودخلت عائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة للنبي ﷺ وربة بيته فأحست فاطمة أن قد آن لها أن تنتقل من بيت أبيها راضية أو كارهة، وزواج النبي ﷺ من عائشة لم يكن مفاجأة لابنته ولا لأحد من قومه فقد خطبها قبل هجرته من مكة.

¹⁹⁹ - بالأظافر: أي لا حلق له.

زواج علي من فاطمة

فلا عجب أن لم يمضِ على دخول عائشة بيت النبي ﷺ أربعة أشهر حتى كانت فاطمة في طريقها إلى بيت علي بن أبي طالب.

والواقع أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب قد طلبا يد فاطمة فردَّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في رفق بالغ، وشعر أصحاب علي بن أبي طالب بما يهمله (يريد الزواج من فاطمة) فشجَّعوه وذكروا له قرابته من أبيها ومكانته عنده، ومكانة أبويه من قبله.

وقالوا: قد كفله أبوك ورعته أمك، ثم نشأت في كنفه وربيت في بيته وكنت أسبق فتي إلى الإسلام، فتشجع علي وأخذ طريقه إلى ابن عمه فحياً بتحية الإسلام فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله بلطف: ما حاجة ابن أبي طالب؟

أجاب: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "مرحباً وأهلاً" وفي رواية: "هي لك يا علي"²⁰⁰ ثم أمسك الرسول ﷺ لا يزيد.. وأصحاب علي ينتظرون فخرج علي بن أبي طالب من عند الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم، فقال لهم: قال لي رسول الله ﷺ: "مرحباً وأهلاً" فهتفوا جميعاً بكيفيك من رسول الله ﷺ إحداهما، ثم خطبها فقال الرسول ﷺ: هل عندك شيء؟ قال علي: لا يا رسول الله ﷺ، لكن الرسول ﷺ ذكر أن علياً أصاب درعاً من مغنم بدر فعاد يسأله: فأين درعك التي أعطيتك يوم كذا؟ أجاب علي: هي عندي يا رسول الله ﷺ قال الرسول ﷺ: فأعطها إياها²⁰¹.

فانطلق علي مسرعاً وجاء بالدرع، فأمره الرسول ﷺ أن يبيعه ليجهز العروس بثمنه²⁰² وتقدم عثمان بن عفان فاشتري الدرع بأربعمائة وسبعين درهماً، حملها علي

200 - طبقات ابن سعد (21/8)(19/8).

201 - طبقات ابن سعد (20/8) من طريق ابن عيينة، وغيره.

202 - صحيح البخاري: كتاب البيوع، ومسند أحمد (142/1).

ووضعها أمام الرسول ﷺ، فتناولها بيده الكريمة ثم دفعها إلى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً، ثم يدفع الباقي إلى أم سلمة لتشتري جهاز العروس²⁰³.

وَدَعَا المصطفى ﷺ صحابته فأشهدهم إنه زوج ابنته فاطمة من علي بن أبي طالب على أربعمائة مثقال من فضة على السنة القائمة والفريضة الواجبة، ثم دعا لهما بالذرية الصالحة وقَدَّم إلى الضيوف وعاءً فيه تمر²⁰⁴.

وفي شهر رجب من مقدمهم إلى المدينة أذَّن بلال لصلاة العشاء فصلى النبي ﷺ بالمسلمين، ثم مشى إلى دار علي حيث دعا بماء فقرأ عليه، ثم أمر العروسين أن يشربا منه، وتوضأ بالباقي ونثره على رأسيهما²⁰⁵، وهم بالانصراف وهو يقول: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما²⁰⁶ وعمرها ثماني عشرة سنة.

وقد دخلت فاطمة بيت زوجها بخميلة، ووسادة آدم حشوها ليف، ورحائين، وسقائين، وجرتين، وشئ من العطر والطيب، ثم إنهما صحبت أباهما إلى ميادين القتال، كما حدث في موقعة أحد إذ رُئيت هناك تضمد الجراح وتسقى المحتضرين من الشهداء.

وكانت هينة ولينة ولطيفة، لكن لم يكن علي بهذه الصفات، بل كانت فيه شدة، أقرب إلى أن تكون صرامة، وحشونة توشك أن تكون بالغلظة، وحزماً يكاد يكون صلابة.

وقيل إن مرة ضاقت فاطمة بما تجد من شدة زوجها وصلابته فقالت: والله لأشكوئك إلى رسول الله ﷺ وخرجت وعلي في إثرها حتى جاءت أباهما فشكت إليه، فتلطف الأب النبيل في ترزيتها وحملها على الرفق بعلي، قال علي: والله لا آتي شيئاً تكريهينه أبداً.

203 - مسند أحمد (108-104-93/1) و سنن النسائي: كتاب النكاح باب (81).

204 - الإصابة (158/8).

205 - طبقات ابن سعد (15/8) والإستيعاب والإصابة.

206 - الراوي: بريدة بن الحصيب الأسلمي، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: الإصابة، الصفحة أو الرقم: (378/4).

علي يريد الزواج من بنت أبي جهل

وهمَّ علي بالزواج وفي حسابه أنه لا حرج عليه من حلال مباح شرعاً، لكن الأمر جرى على غير ما توقع، فلم يكذب بيدي علي رغبته في خطبة بنت عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي (أبوجهل) حتى غضبت فاطمة وغضب لها أبوها صلى الله عليه وسلم. فالنبي ﷺ يعلم حق الزواج ولو كان علي بنت محمد ﷺ، لكنه خرج إلى المسجد مغضباً حتى بلغ المنبر فخطب الناس فقال: إن بني هشام بن المغيرة استأذوني أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يرييني ما رابها، ويؤذييني ما آذاها²⁰⁷.

ألا فلتكن بنت أبي جهل من حظ غيره، وأما هو فليس بالذي يجبط جهاده المشهود فيستبدل بالنبي أبا جهل بن هشام صهراً له، وليس هو الذي يؤذي نبيه وأباه وابن عمه، في أحب بناته إليه وبكت فاطمة، وهناك همس علي بن أبي طالب معتذراً: هبيني أخطأت بحقك يا فاطمة فمهلك أهل للعفو والمغفرة، فأجابت: غفر الله لك يا ابن العم، ثم شاء الله أن يُقر عين فاطمة الزهراء وعيون آل البيت فوضعت بكرها الحسن بن علي في السنة الثالثة من الهجرة²⁰⁸، وتصدَّق جده الرسول ﷺ على الفقراء بزنة شعره فضة.

فلما بلغ الحسن من العمر عاماً وبعض عام أردفته أمه الزهراء بشقيقه الحسين في شهر شعبان سنة أربعة من الهجرة، وتفتح قلب النبي ﷺ لهذين الحفيدين الغاليين، قال النبي ﷺ: هذان أبنائي وابن ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما²⁰⁹ وهما سبطيه الغاليين وتوالى الثمر المبارك، ولدت الزهراء طفلتها الأولى في العام الخامس من

207 - الراوي: المسور بن مخرمة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (2449).

208 - طبقات ابن سعد والإستيعاب والإصابة، ترجمتا الحسن والحسين وانظرهما في كتاب المناقب من صحيح البخاري والفضائل من صحيح مسلم.

209 - وانظر مناقبهما في اللؤلؤ والمرجان، ك الفضائل ح (1568-1569).

الهجرة، فسماها جدها ﷺ زينب تحية لذكرى خالتها زينب الكبرى التي لم ينسها أبوها ولا نسيها فاطمة قط، ثم وضعت الزهراء بعد عامين من مولد زينب طفلة ثانية اختار لها الرسول ﷺ اسم ابنته أم كلثوم، وبذلك قُدِّر للزهراء أن تحيي بابنتيها ذكرى أختيها زينب وأم كلثوم بنتي النبي، كما شاء لها الله أن يكون منها ولدا رسول الله ﷺ الحسن والحسين حين عز الولد.

فاطمة تشهد الفتح الأكبر

وبمضي الزمن لتشهد الزهراء أباهما وهو يتأهب لفتح مكة، وخرجت الزهراء لتشهد العودة الظاهرة والنصر المبين، فدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من أواخر حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له قبة هناك قريباً من مثنى خديجة وصحبتة إليها ابنته الزهراء، وقد أنساها الفرح الأكبر ما ألمَّ بها من شجن، وهتاف عشرة آلاف مقاتل مسلم الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، وحده نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، والله أكبر، وكانت فاطمة غير بعيدة من أبيها الفاتح ترقد ساهرة في فراشها ساهرة لا تنام وكم رقَّ قلبها لذكرى طفولتها الباكرة في البيت السعيد، حتى سمعت صوت بلال يؤذن لصلاة الصبح من فوق الحرم الأقدس، وتتحرك الجيوش المسلمة للمرة الأولى في تاريخ الإسلام ليقوموا فريضة الصبح في البيت العتيق المطهر من الأوثان، وأصبحت تتمنى أن ترجع إلى دار مولدها ومرتع صباها لكن هذه الدار كانت قد انتقلت على أثر الهجرة إلى مُلك عقيل بن أبي طالب وتساءلت الزهراء: ترى أي دار يختار أبي لتكون لنا في مكة منزلاً؟

فاطمة تودّع بيت أبيها محمد ﷺ وقبر أمها

لقد جهّز النبي ﷺ نفسه يوشك أن ينصرف راجعاً إلى دار الهجرة التي اختارها منزلاً ومقاماً، فبكى أهل مكّة وراحت الزهراء تودّع دار الصبا وتزور قبر أمها خديجة قبل أن يحين الرحيل.

لم يجاوز مقامها بمكّة غير شهرين وبعض شهرها، كما في رمضان من العام الثامن وغادرتها مع أبيها في أخريات ذي القعدة من العام نفسه بعد قضاء العمرة.

فاطمة وأطفالها يشاهدون المصيبة الكبرى (وفاة محمد ﷺ)

وفي السنة التاسعة للهجرة شيعت دار الهجرة ثلاثة بنات النبي ﷺ أم كلثوم ثم شيعت بعدها بسنة إبراهيم بن محمد ﷺ (من ماريا القبطية) وتجلدت فاطمة للمصاب ولم يبق لأبيها من الولد سواها، ثم كانت المصيبة الكبرى.

شكا أبو الزهراء من مرض ألمّ به في آخر ليالي صفر في السنة الحادية عشر للهجرة، ولم تكد فاطمة تتلقى دعوة أبيها حتى أجفلت مرتاعة أشبه أحد به سمياً وهدياً، على ما وصفتها السيدة عائشة (أي خرجت من بيتها باكية مذهولة) فلما وصلت إلى منزل أبيها ﷺ، هسّ للقاتها قائلاً: مرحباً بابنتي، ثم قبّلها وأجلسها إلى يمينه وأسر إليها أنه قد حان أجله فبكت فاطمة وهوّن عليها بقوله: وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي²¹⁰، ثم أضاف: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة²¹¹ فسرها أن سمعت بذلك.

وأقامت فاطمة (أم أبيها) إلى جانبه تخدمه وتسهر عليه تتكلف الصبر ولا تكف عن الدعاء والابتهاال حتى رآته اشتد به الوجع وأخذ الماء بيده ويجعله على رأسه،

²¹⁰ - صحيح البخاري: باب مرضه صلى الله عليه وسلم، ووفاته، مع فتح الباري (8/105) وطبقات ابن سعد (2/2) ومسنّد أحمد (3/141).

²¹¹ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (2450).

فحنقتها العبرة وقالت بصوت يفيض حزناً ولوعة: وا كربى لكربك يا أبتاه! فرد عليها:
لا كرب على أبيك بعد اليوم²¹² ثم حمّ القضاء ولحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى.

اليتيمة الوحيدة فاطمة

وترك الزهراء من بعده يتيمة حزينة لا تجد إلى العزاء سبيلاً، وجمعت كيانها الممزق
وتحاملت تسعى إلى قبر الحبيب، حتى إذا بلغته أخذت قبضة من تراب القبر فأدنتها
من عينيها اللتين قرّحهما البكاء، ثم راحت تشمها وهي تقول:

ماذا عليّ من شمّ تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليها
صُبّت عليّ مصائبٌ لو أنّها صُبّت على الأيام عدن لياليها

وبكى الناس لبكائها، وتقطعت قلوبهم وهم يرونها تفلت التراب من بين أناملها،
ومضت الأيام وهي (فاطمة أم أبيها) في عزلة عن الناس وعزّ العزاء وغلب الصبر، ولم
يبق لها من رجاء إلا أن تلحق بأبيها كما بشرها.

فاطمة ترحل بسلام وتلحق بأبيها محمد ﷺ وأخواتها

وما أسرع ما لحقت به، أصبح يوم الاثنين الثاني من شهر رمضان سنة إحدى
عشرة فعانقت أهلها وزوجها وأطفالها ومألت عينيها منهم - إنهما ساعة الفراق - ثم
دعت إليها أم رافع مولاة أبيها فقالت: يا أمة اسكي لي غسلًا، واغتسلت كأحسن ما
كانت تغتسل، ثم لبست ثياباً لها جددًا ثم قالت لأم رافع: اجعلي فراشي في وسط
البيت، فلما فعلت اضطجعت عليه واستقبلت الكعبة تنهياً للقاء ربها، ولقاء أبيها
الحبيب، ثم أغمضت عينيها ونامت، فكانت هي آخر نومة لفاطمة، لقد آن لهذا
الجسد أن يستريح وتم الفراق الذي لا لقاء بعده، فقام علي بن أبي طالب فاحتملها
باكياً ودفنها ليلاً ثم ودّعها وعاد محزوناً إلى صغاره، وبات المسلمون محزونين بعد أن
شيعوا إلى القبر آخر بنات النبي ﷺ ولم تمض على وفاته ستة أشهر.

212 - الراوي: خارجة بنت عقفان، المحدث: ابن عبد البر، المصدر: الإستيعاب، الصفحة
أوالرقم: (6/2).

وعاد الشمل فالتأم من جديد ولكن في غير هذا العالم، فقد ضمّ ثرى طيبة
جثمان فاطمة كما ضمّ جثمان أبيها وأخواتها الثلاث زينب ورقية وأم كلثوم، رضوان
الله عليهن أجمعين.

سلام ورضوان ورحمة عليك يا فاطمة وعلى أخواتك بنات سيدي محمد صلى الله
عليه وسلم.

الزيادة في الإيذاء على رسول الله ﷺ

ذكرنا عام الحزن، ولما هلك أبوطالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه، حتى خرج النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فخرج وحده، فما كان منهم إلا أن أغروا به سفاؤهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة.

فَعَمَدٌ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ²¹³ مِنْ عَنبٍ فَجَلَسَ فِيهِ وَدَعَا: اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ إِلَى بَعِيدٍ يَتَّجِهَمَنِي أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَّحَ عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ بِي غَضَبِكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى²¹⁴ حَتَّى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ²¹⁵.

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إليه فقل له: أن يأكل، ففعل عدّاس ثم قال للرسول ﷺ: كُلْ، فقال الرسول ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ أَكَلَ، نَظَرَ إِلَيْهِ عَدَّاسٌ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: وَمَنْ أَهْلُ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ عَدَّاسٌ: أَنَا نَصْرَانِيٌّ وَمِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، قَالَ عَدَّاسٌ: وَمَا يَدْرِيكَ مَا يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: ذَلِكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقْبِلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمِيهِ²¹⁶،

213 - ظل حبله: قضبان من الكرم.

214 - العتبى: الرضا.

215 - إسناده صحيح هنا: صححه الألباني في فقه السيرة (134) مرسلاً وبنحوه أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (80/1) وعند الهيثمي في مجمع الزوائد (35/6).

216 - الراوي: محمد بن كعب القرظي، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أو الرقم: (126).

فقال ابن ربيعة لأخيه: لقد أفسد غلامك عليك، وبعدها انصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، وقومه أشد ما عليه من خلافه وفراق دينه.

فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت قبائل العرب يدعوهم إلى الله، وأبوهب خلفه يقول: إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم.

فعرض رسول الله ﷺ نفسه على كنده فلم يقبلوا منه، وعرض نفسه على بني عبد الله بطن من كلب فلم يقبلوا منه، ثم على بني حنيفة فلم يكن أحد من العرب أقيح عليه منهم، ثم على بني عامر صعصعه، فقالوا: لا حاجة لنا بأمرك، ثم على قوم من بني عبد الأشهل.

بيعة العقبة

ثم عرض رسول الله ﷺ نفسه على نفر من الأنصار ولقي رهطاً من الخزرج فآمنوا به وصدقوه وكانوا عند العقبة، فلما رجعوا إلى المدينة وإلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ، فأرسل رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة ليقرأ عليهم القرآن ويعلمهم الإسلام، وكان يسمى مصعب في المدينة المقرئ، فذهب إلى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) وبعدها رجع مصعب إلى مكة ومعه نفر من الأنصار وقومهم على الشرك، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق وهناك أسلموا.

وأصبح أهل المدينة يتوافدون إلى مكة، وهناك تكلم رسول الله ﷺ وتلا القرآن ودعا إلى الله ثم قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم²¹⁷ فقال البراء بن معرور وأخذ بيده: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك ما تمنع منه أزرنا²¹⁸، ثم

217 - الراوي: كعب بن مالك، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم: (149).

218 - أزرنا: نساءنا.

اجتمع رسول الله ﷺ مع الخزرج وبياعوه وكذلك الأوس، وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يُؤذَن له بالحرب، ولم تحل له الدماء، فلما عنت قريش على الله وكذبوا نبيه وعذبوا ونفوا رسول الله ﷺ، أذن الله لرسوله وللمسلمين في القتال لأنهم ظلموا وحتى لا يفتن مؤمن عن دينه.

فكانت أول آية أنزلت في أذنه للحرب: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظِلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ كُلُّ نَفْسٍ بِالَّذِي أَلْمَزْتُمْ لِهَا وَاللَّهُ لَعَلِيمٌ (40) الَّذِينَ إِذَا مَا كَانُوا فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)) (الحج 39-41).

البدء بالهجرة

فلما أُذِنَ للرسول ﷺ في الحرب أمر رسول الله ﷺ المهاجرين من قومه ومن معه بمكة بالخروج إلى المدينة واللحوق بإخوانهم الأنصار وقال: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها²¹⁹، فخرجوا إرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة.

قصة أبي سلمة

فكان أول مَنْ هاجر إلى المدينة من بني مخزوم (أبوسلمة بن عبد الأسد) واسمه عبدالله حيث جهز بعيه وحمل زوجته أم سلمة وابنه سلمة، فلما رآته رجال بني المغيرة قالوا: لن نتركك تسير، فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوا زوجته وابنه، هناك غضب رهط بني الأسد فأخذوا يتجاذبوا الابن سلمة بين رجال المغيرة وبني الأسد حتى خلعوا يده.

²¹⁹ - ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (267/7) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (169/3).

فانطلق بنوالأسد وقد حبس بنوالمغيرة أم سلمة عندهم، وهناك ترك أبو سلمة زوجته وابنه وانطلق إلى المدينة المنورة(على ساكنها الصلاة والسلام) ففرّقوا بين الأب والأم والابن المصاب فكانت أم سلمة تبكي من الصباح إلى المساء، حتى مرّ بها رجل من بني أعمامها من بني المغيرة فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون من هذه المسكنة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

فقالوا: إلحقي بزوجك إن شئت ثم ردّ بنوالأسد عليها ابنها، فأخذته ووضعته في حجرها وانطلقت باتجاه المدينة المنورة وما معها أحد من خلق الله، حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة أخو بني عبدالدار فقال: إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت: أريد زوجي، قال: وما معك أحد؟ قالت: لا والله إلا ابني هذا، فقال: والله مالك من منزل²²⁰، فأخذ بخطام البعير وانطلق يقوده يمشي ويمشي ثم يستريح فإن استراح يبعد عنها وعن ولدها حتى تقضي حاجتها وحاجة ابنها، ثم ينطلق وهكذا حتى وصل إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء فقال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة، فكانت تقول(والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة²²¹) ثم خرج المهاجرون إرسالاً ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة المخزومي. كما خرج زيد بن الخطاب وصهيب الذي قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً فقيراً فكثّر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك.

قال: أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب، ربح صهيب²²²، وهاجر حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة وصحابة رسول الله ﷺ، فلما رأيت قريش أن رسول الله ﷺ

220 - مالك من منزل: أي لن أتركك.

221 - وإسناد القصة حسن: انظر التاريخ الكبير للبخاري(80/4) والإصابة لابن حجر(240/8).

222 - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه(398/3) وسكت عنه الذهبي، وابن سعد في طبقاته(227/3) وأبو نعيم في الحلية(151/1) من طرق.

أصبح له شيعاً²²³ من غيرهم وبغير بلدتهم وأوا خروج المهاجرين إليهم عرفوا أن محمداً ﷺ قد أجمع للحرب فاجتمعوا في دار الندوة²²⁴ في يوم سمي يوم الرحمة، وهم يريدون منع رسول الله ﷺ من الهجرة أو قتله، حيث بقي في مكة الرسول ﷺ وأبي بكر وعلي بن أبي طالب فقط.

مؤامرة قريش لقتل رسول الله ﷺ

وجاءهم إبليس على هيئة رجل كأنه من نجد، فتشاوروا أن يغلقوا الباب على محمداً ﷺ ويجسوه فقال الرجل²²⁵: لا والله ما هذا برأي، لأن خبره سيصل إلى أصحابه ثم يأتون ويأخذونه من بين أيديكم.

لكن أبا جهل قال: إن لي فيه لرأيا، نأخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نُعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بما ضربه رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنوعبدمناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل²²⁶، فعقلناه لهم.

قال الرجل²²⁷: هذا الرأي²²⁸، فأتى جبريل على رسول الله ﷺ فقال: لا تَبْت²²⁹ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كانت عتمة من الليل قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسحج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم²³⁰.

واجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، ومعهم أبوجهل وهو يقول لهم: إن محمداً ﷺ يزعم إنكم إذا تبعته على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد

223 - شيعاً: أصحاب.

224 - دار الندوة: وهي دار قضي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها.

225 - الرجل: إبليس.

226 - بالعقل: الدية.

227 - الرجل: إبليس لعنه الله.

228 - الرأي: أي هذه أفضل خطة لقتله.

229 - لا تبت: لا تنام.

230 - حديث حسن: روي من طرق، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة(2/468) وأورده ابن كثير في

البداية والنهاية(176/3).

موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأرض، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون بها.

فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب وهو يقول: نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم، وينثر على رؤوسهم التراب، فأخذ الله تعالى على أبصارهم فلا يرونه وهو يقرأ (يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9)) (يس 1-9).

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمد ﷺ، قال خبيكم الله قد خرج ولم يترك منكم رجلاً إلا وضع التراب على رأسه، أما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه التراب.

وأنزل الله قوله: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتِلُواكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال 30) وقال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا السَّمُونَ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31)) (الطور 30-31).

هجرة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة

وأذن الله لنبيه بالهجرة، وعن عائشة أم المؤمنين قالت: أتانا رسول الله ﷺ في ساعة كان لا يأتي بها، فلما رآه أبوبكر قال: ما جاء بك هذه الساعة يا رسول الله ﷺ إلا حدث؟ فقال الرسول ﷺ: أخرج عني من عندك²³¹ فقال أبوبكر: إنما هما ابتائي وما ذاك فذاك أبي وأمي، فقال رسول الله ﷺ: إن الله أذن لي في الخروج والهجرة²³²، فقال أبوبكر: الصحبة - الصحبة، تقول عائشة أم المؤمنين: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى أبي أبابكر يبكي يؤمئذ، وقال أبوبكر: يا نبي الله إن هاتين راحلتين قد كنت أعددتكما لهذا، وترك بناته وهاجر.

ولم يبق في مكة من المسلمين إلا واحد، هو علي بن أبي طالب حيث أمره الرسول ﷺ أن يرد الودائع إلى الناس التي كانت عند رسول الله ﷺ، وانتهى رسول الله ﷺ وأبي بكر إلى غار ثور ليلاً فلمس²³³ الغار أبابكر لينظر فيه من سبع أو حية يقي رسول الله ﷺ بنفسه²³⁴.

فأقاموا فيه ثلاثة أيام، حيث جعلت قريش مائة ناقة لِمَنْ يرد محمداً ﷺ، وكان عبدالله بن أبي بكر يسمع ما تقول قريش نهاراً ويخبر الرسول ﷺ ووالده ليلاً، حتى إذا مضت الثلاثة، جاء عبدالله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة ببعيرين²³⁵ وأنتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتكما²³⁶ وتسييت أن تجعل له عصاماً²³⁷.

231 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم: (160).

232 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم:

(160).

233 - فلمس: دخل.

234 - أخرج البيهقي في دلائل النبوة، وابن كثير في البداية والنهاية (180/3).

235 - ببعيرين: جملين.

236 - بسفرتكما: طعام المسافر.

237 - عصاماً: ما يتعلق به الطعام.

فلما أراد الرحيل ذهب لتعلق السفره فإذا ليس فيها عصام، وأخذت نطاقها وجعلته عصاماً ثم علقتها به، فسَمَّيت ذات النطاق أو ذات النطاقين، أي أنها شقت نطاقها قسمين، فعَلَّقت السفره بواحد، وانتطقت بالآخر، حيث كانت قريش تبحث عن رسول الله ﷺ لتقتله، فجاء أبو جهل إلى دار أبي بكر، فخرجت أسماء بنت أبي بكر وكان معه نفر فقالوا: أين أبوك؟ قالت: لا أدري، فرفع أبو جهل يده ولطم خدها لطمه طرح قرطها ثم انصرف.

وكانت أسماء تعلم أن الذين هاجروا أربعة، الرسول ﷺ وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبدالله بن أرقط²³⁸، وقد أخذ أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم أوستة، وتقول أسماء: إن جدها أبوقحافة دخل عليها وقد ذهب بصره فقال: أتترك أبو بكر شيئاً؟ قالت أسماء: نعم يا جدي خيراً كثيراً، فأخذت حجارة فوضعتها في كوة ثم وضعت عليها ثوباً، وقالت يا أبت ضع يدك على هذا المال، فقال: لا بأس.

سراقة يلحق برسول الله ﷺ

ولحق سراقة بن مالك بن جعشم برسول الله ﷺ وكان يرجو أن يغنم بالمائة ناقة، قال: ركبت على فرسي فيبينما هو يشتد بي عثر بي فسقطت عنه قلت: ما هذا؟ ثم ركبته فإذا يشتد بي وعثر بي فسقطت عنه مرة أخرى فقلت: ما هذا؟ فأبيت إلا أن أتبعه فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي، فدَهَبَ يداه في الأرض وسقطت عنه، ثم انتزع يداه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه مُنِعَ مني.

وكان عبدالله بن أرقط دليل الرسول ﷺ وأبي بكر قد مشى بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل ثم سلك بهما أسفل أمج، ثم اجتاز قديداً²³⁹، ثم سلك الخزار²⁴⁰، ثم سلك ثنية المرة، ثم سلك لققاً²⁴¹، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج، ثم أجاز

238 - إسناده منقطع: هكذا عن ابن إسحاق، أورده ابن كثير في البداية والنهاية (179/3).

239 - قديداً: موضع فيه ماء بالحجاز بين مكة والمدينة.

240 - الخزار: وادي في المدينة وهو قرب الجحفة.

241 - لققاً: ثنية بين مكة والمدينة.

بهما الفاجّه، ثم هبط بهما العرج ولقاهم رجل مسلم اسمه أوس بن حجر فحمل رسول الله ﷺ على جملة يقال له: ابن الرداء وبعث معه غلاماً له اسمه مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبه حتى هبط بهما بطن رئم، ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحياء وكادت الشمس تعتدل²⁴².

فأقام النبي ﷺ بقاء في بني عمرو بن عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجده²⁴³.

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنوعمر بن زعمون أنه مكث فيهم أكثر والله أعلم، فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانونا.

فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة²⁴⁴، ثم جاءه عتبان بن مالك، وعبّاس بن عباد بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف فقالوا: يا رسول الله ﷺ: أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، قال: خلّو سبيلها فإنها مأموره²⁴⁵، فانطلقت الناقة حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده وهو يؤمئذ مرید²⁴⁶ لغلّامين يتيمين من بني النجار (سهل وسهيل ابني عمرو) فأمر رسول الله ﷺ أن يبني مسجداً ودأبوا فيه وارتجز المسلمون وهم بينونه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار²⁴⁷.

242 - تعتدل: تقرباً الظهر.

243 - هكذا وأخرجه البخاري في صحيحه (3932).

244 - إسناده ضعيف: أخرجه الطبري في تاريخه (7/2) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (213/3)

وعزاه إلى البيهقي.

245 - مأمورة: أي الناقة.

246 - مرید: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

247 - حديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (3906)(3932) وعند مسلم في صحيحه (1431-1432) وفي مسند أحمد (381/2) وعند ابن ماجه في سننه (472) وفي سنن أبي داود (453-454).

أول خطبة لرسول الله ﷺ

فاقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بُني له مسجده ومسакنه، وكانت أول خطبة خطبها رسول الله .

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن إنه قام فيهم فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعلمنَ والله ليصعقنَ أحدكم ثم ليدعنَ غنمه ليس لها راعٍ، ثم ليقولنَ له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه، ألم يأتك رسولي فبلغتك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك، فما قدّمت لنفسك فلينظرنَ²⁴⁸ يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرنَ قدامه²⁴⁹ فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمره فليفعل، ومن لم يجده فيكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته²⁵⁰.

المؤاخاة

ثم آخى بين المهاجرين والأنصار أخوين أخوين، قال رسول الله ﷺ: تأخوا في الله أخوين أخوين²⁵¹، وهناك اطمأن رسول الله ﷺ واستحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصوم وقامت الحدود.

الآذان

وهم رسول الله ﷺ أن يدعو للصلاة بالبوق كبوق اليهود فكرهه، ثم أمر بالناقوس ليضرب به للمسلمين للصلاة، فرأى عبدالله بن زيد بن ثعلبه بن عبدربه رؤيا فقال: يا

248 - فلينظرن: يرى.

249 - قدامه: أمامه.

250 - الراوي: أبوسلمة بن عبدالرحمن بن عوف، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية،

الصفحة أوالرقم: (212/3).

251 - الراوي: محمد بن إسحاق، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أوالرقم:

(225/3).

رسول الله ﷺ إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أحضران يحمل ناقوساً بيده قلت يا عبدالله: أتبيع هذا، قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.

قال فلما أخبرتها رسول الله ﷺ قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى²⁵² صوتاً منك، فلما أذن بلال سمعها عمر بن الخطاب فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه ويقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فله الحمد على ذلك²⁵³.

وهناك بدأت اليهود الذين بالمدينة برسول الله ﷺ العدواة والبغض، والكرهية، والحسد، وخاصة لما رأوا الأوس والخزرج أخلصوا للرسول ﷺ، فأخذوا ينافقون ويلبسون الحق بالباطل، إلا أن عبدالله بن سلام، وهو حبر عالم قال: لما سمعت برسول الله ﷺ نزل بقباء عرفته من صفته واسمه وزمانه وذلك حيث كنا نتوكف²⁵⁴، فكنت أعمل في رأس نخله فلما سمعت به كبرت، فلما سمعت عمي²⁵⁵ تكبيرني وكانت تحت النخلة قالت: خيبيك الله والله لو سمعت بموسى بن عمران ما زدت، قال: أي عمه هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، فقالت: أي بن أخي أهو النبي ﷺ الذي كُنَّا نُخبر عنه أنه سيبعث؟ قال: نعم، قالت: فذاك إذاً، فقال عبدالله بن سلام: فذهبْتُ إلى رسول الله ﷺ وأسلمت، ثم أسلم أهل بيتي وكتمتُ إسلامي وقلت لرسول الله ﷺ: يا

²⁵² - أندى: أنفذ وأبعد.

²⁵³ - صحيح: صححه ابن حجر في تلخيص الحبير (208/2) وهو عند الترمذي في سننه (189) وابن خزيمة في صحيحه (370/1) وفي مسند الإمام أحمد (43/4) والسنن الكبرى للبيهقي (391/1) وعند أبي داود في سننه (499).

²⁵⁴ - نتوكف: نترقب، نتوقع.

²⁵⁵ - عمي: خالدة بنت الحارث.

رسول الله ﷺ إن اليهود قوم بمت وأحب أن تدخلني في بيوتك وتعييني ثم تسألهم عني حتى يجبروك كيف أنا قبل أن يعلموا إسلامي فأتهم إن علموا بذلك بمتوني وعابوني.
قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بيوته، ثم جاءت اليهود فدخلوا عليه وسألهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا، قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم وقلت لهم: يا معشر اليهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ﷺ تجدوه مكتوباً عندكم بالتوراة باسمه وصفته فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي، فقلت: يا رسول الله ﷺ ألم أخبرك بأنهم قوم بُمت، وأهل غدر وكذب وفجور، ثم أظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها.

وكان أيضاً هناك منافقين من الأوس والخزرج، وهناك نفر²⁵⁶ من أحبار اليهود من بني قينقاع دخلوا الإسلام نفاقاً، منهم زيد بن اللصيت الذي قال عندما ضلّت²⁵⁷ ناقه رسول الله ﷺ: يزعم محمد ﷺ إنه يأتيه الخبر من السماء وهو لا يدري أين ناقتة.
فقال رسول الله ﷺ بعد أن جاء الخبر بما قال عدو الله: وأني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلّني الله عليها، فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ، وكما وصف²⁵⁸.
ورافع بن حريملة من يهود بني قينقاع قال فيه رسول الله ﷺ حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين²⁵⁹.

ورفاعه بن زيد بن التأبوت الذي قال فيه رسول الله ﷺ وهو قافل من غزوة بن المصطلق حين هبت رياح شديدة فأشفق²⁶⁰ منها المسلمون، فقال رسول الله ﷺ

256 - نفر: مجموعة.

257 - ضلّت: ضاعت، اختفت.

258 - مرسل: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (321/5).

259 - أورده ابن كثير في البداية والنهاية (240/3).

260 - فأشفق: أي خاف.

للمسلمين: لا تخافوا فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار²⁶¹، فلما قدم الرسول ﷺ والصحابة المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التأبوت مات ذلك اليوم الذي هبَّت فيه الريح.

وأصبح المنافقون يدخلون المسجد ويجتمعون حتى رأهم رسول الله ﷺ فأمر بإخراجهم فأخرجوا إخراجاً عنيفاً.

ثم نزلت بدايات سورة البقرة وبعدها تم تحويل القبلة عن الشام إلى الكعبة (شرَّفها الله) في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة. يقول ابن إسحق: صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة.

اليهود تثير الفتنة بين المسلمين

وأصبح الرسول ﷺ يدعو اليهود إلى الإسلام فقال بعضهم لبعض: نؤمن بما جاء به نهاراً ونكفر به ليلاً حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، لكن اختلفت أحبار اليهود ونصارى نجران فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً.

وحاول اليهود الوقيعة²⁶² بين أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا لشباب منهم اجلس معهم حينما يجتمعون واذكر يوم بُعث²⁶³ وأنشدُّهم من الشعر فقام ففعل. هناك تنازع القوم وتفاخروا حتى قام رجلان أوس بن قيطي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئت رددناها الآن جذعة²⁶⁴ فغضب الفريقان وقالوا: السلاح، السلاح.

261 - ضعيف الإسناد: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (61/4) وفي عيون الأثر لابن سيد الناس (338/1).

262 - الوقيعة: الفتنة.

263 - يوم بعث: يوم أقتلت فيه الأوس والخزرج وكان النصر للأوس.

264 - جذعة: قبيلة، عشائرية.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وجاء إليهم وقال: يا معشر المسلمين الله الله أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم²⁶⁵ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم لبعض.

عمرو بن جحاش يريد قتل رسول الله ﷺ

وأسلم عبدالله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من اليهود معهم فقالت اليهود: ما آمن بمحمد ﷺ إلا شرارنا، حيث إن اليهود كانوا يأمرون الناس بالبخل وإجحاد الحق، وعملوا الأحزاب من قريش وخطفان وبني قريظة وأخذوا ينكرون التنزيل، وأرادوا أن يلقوا صخرة على رسول الله ﷺ حتى يقتلوه.

فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا أرمي الصخرة عليه، فأتى رسول الله ﷺ الخبر فانصرف عنهم، وبعدها خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وهي أول غزواته (غزوة الأبواء، أو غزوة ودان، ودان قرية قريبة من المدينة) يريد قريش وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فوادعته فيها بنوضمرة ولم يلق كيداً²⁶⁶ فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول²⁶⁷.

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بواط في شهر ربيع الأول يريد قريشاً واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون، ولم يلق كيداً فلبث في منطقة بواط بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى وعاد إلى المدينة²⁶⁸.

265 - إسناده ضعيف: مرسل فيه مجهول، أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (16/4).

266 - كيداً: لم يخرج لقتاله أحد.

267 - إسناده حسن: أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (8/2) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (68/6).

268 - راجعه في الطبقات الكبرى لابن سعد (8/2) والبداية والنهاية لابن كثير (246/3).

غزوة العشيرة

ثم غزا قريشاً غزوة العشيرة واستعمل على المدينة أباسلمة بن عبد الأسد، ولم يقم رسول الله ﷺ حين قدم من غزوة العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة²⁶⁹، فخرج رسول الله ﷺ عليه يطلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ واديا يقال سفوان من ناحية بدر وفر كرز بن جابر الفهري ولم يدركه وهي غزوة سفوان (غزوة بدر الأولى).

غزوة بدر الكبرى

وبدأت الغزوات قائدها سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فعندما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، ندب المسلمين وقال: هذه عير قريش فيها أموالكم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها²⁷⁰، فحفَ بعضهم وثقل بعضهم أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً، وعلم أبوسفيان أن محمداً ﷺ قد استنفر أصحابه، فحَدَرَ ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة ليستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد عَرَّضَ لنا.

فتحرك ضمضم مسرعاً إلى مكة المكرمة، وعندما وصل وقف على بعيره وقد جدع²⁷¹ بعيره وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة²⁷²، أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَّضَ لها محمداً ﷺ وأصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث، فتجهز الناس سراعاً وقالوا: أیظن محمداً ﷺ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟

269 - سرح المدينة: مكان يرعى به الغنم.

270 - إسناده صحيح: أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (122/9) وابن سعد في الطبقات (11/2).

271 - جدع: قطع أنف بعيره.

272 - اللطيمة: الإبل تحمل الطيب.

كلا والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين حالتين إما خارج للقتال أو باعث مكانه أحد، ولم يتخلف من أشرف مكة يومئذ سوى أبي لهب وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة.

رسول الله ﷺ يخرج إلى الحرب

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان واستعمل عبدالله بن أم مكتوم للصلاة بالناس وأبالبابة على المدينة، وحمل لواءه مصعب بن عمير وكان أبيض، وأمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب، والأخرى مع بعض الأنصار، والإبل سبعون وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ، قال رسول الله ﷺ بعد أن جاءه الخبر بمسير قريش: أشيروا علي أيها الناس²⁷³، ويقصد هنا الأنصار، فقال سعد بن معاذ: والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله ﷺ؟ قال: أجل، قال سعد: فقد آمن بك وصدقناك وأعطيناك عهداً على السمع والطاعة فامض يا رسول الله ﷺ لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسير بنا على بركة الله، فسَرَ رسول الله ﷺ هذا الكلام ونشطه ذلك فقال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم²⁷⁴ ثم نزل قريباً من بدر.

قريش تدق طبول الحرب وتواجه رسول الله ﷺ

وفي مكة تجهزت جيوش قريش وتحركت باتجاه رسول الله ﷺ، فأقبلت فلما نزلوا الجحفة رأى جهم بن الصلت بن مخزوم بن عبدالمطلب رؤيا فقال: إني رأيت فيما يرى النائم وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس ومعه بعير حتى وقف ثم قال: قُتِل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوالحکم (أبوجهل) ابن هشام،

²⁷³ - الراوي: محمد بن إسحاق، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم: (261/3).

²⁷⁴ - الحديث صحيح: له شواهد عند البخاري في صحيحه (3952) وفي مسند الإمام أحمد (1/390-428) ومستدرک الحاكم (3/349) وصححه ووافقه الذهبي.

وأمية ابن خلف، وفلان وفلان ثم رأيت ضرب في كبة بعيره ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضخ²⁷⁵ من دم، قال: فَبَلَّغْتُ أبا جهل فقال: وهذا نبي آخر من بني عبدالمطلب، سيلعم غداً مَنْ هو المقتول .

فقال أبو سفيان: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم وأموالكم ورجالكم فقد نجَّها الله فارجعوا، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نَرُدُّ بدرًا، وبعث²⁷⁶ الله السماء فكان الوادي دهساً²⁷⁷ وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماء لبدهم²⁷⁸، وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدرُوا على أن يرتحلوا.

رسول الله ﷺ يدعو على قريش

وعندما وصل رسول الله ﷺ وأصحابه بدرًا بنوا له عريشاً فكان فيها، ثم ارتحلت قريش حين أصبحت وأقبلت فرآها رسول الله ﷺ، فقال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها²⁷⁹ وفخرها تحادك²⁸⁰ وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحتهم²⁸¹ الغداة، كما رُوي.

فلما اقترب جيش قريش أقبل نفر منهم حتى وَرَدُوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم بن حزام، فما شرب منه رجل يومئذ إلا قُتِل، إلا حكيم بن حزام لم يُقتل، ثم أسلم لاحقاً وحسن إسلامه فكان إذا اجتهد بيمينه، قال: والذي بُجَّاني من يوم بدر²⁸².

ثم وقف الجيشان أمام بعضهم البعض، فبعثت قريش عُمير بن وهب الجمحي، وقالوا: احرز²⁸³ لنا محمدًا ﷺ وأصحابه، فاستجال بفرسه حول عسكر المسلمين ثم رجع

275 - نضخ: لطح.

276 - بعث: أمطرت.

277 - دهساً: مكان لين.

278 - لبدهم: جعل تراهما لا يثور، وسهل لهم السير فيه.

279 - بخيلائها: التكبر والإعجاب بالنفس.

280 - تحادك: تعاديك وتمنع عن طاعتك.

281 - أحتهم: أهلكتهم.

282 - انظر في تاريخ الطبري (30/2) والبداية والنهاية لابن كثير (298/3).

283 - احرز: أكشف.

فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون لكن أمهلوني حتى أنظر²⁸⁴ القوم، فضرب في الوادي وأبعد، فلم ير شيئاً ثم عاد.

فقال: ما وجدت شيئاً لكني رأيت البلياً²⁸⁵ تحمل المنايا نواضح²⁸⁶، يثرب تحمل الموت الناقع²⁸⁷ قوم ليس معهم إلا سيوفهم، فإن أصابوا منكم عدداً فما خير العيش، فلما سمع حكيم بن حزام مشى في الناس وقال لعتبة بن ربيعة: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها، ارجع بالقوم.

فقال عتبة بن ربيعة: يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً ﷺ وأصحابه فإن أصبتموه فلا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النظر إليه ويقول: قتل ابن عمه، أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلُّوا بين محمداً ﷺ وبين سائر العرب.

قال حكيم بن حزام: ثم ذهبت إلى أبي جهل فوجدته قد نثل²⁸⁸ درعاً له من جرابها فهو يهئها²⁸⁹ فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذ وكذا... قال حكيم والله إن أبا جهل حين رأى محمداً ﷺ وأصحابه انتفخ سحره²⁹⁰، فقال أبوجهل: كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمداً ﷺ وما بعثه بن ربيعة إلا أن ابنه معهم فقد تخوّفكم عليه ثم قال أبوجهل: يا عامر بن الحضرمي قم فأنشد خفرتك²⁹¹ ومقتل أخيك فقام ثم صرخ: وا عمراه وا عمراه، فحميت الحرب فعندما حميت الحرب خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيء الخلق قال: أعاهد الله لأشرين من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة

284 - أنظر القوم: أي هل لهم كمين أو مدد.

285 - البلياً: دابة تربط على قبر الميت فلا تغلف ولا تسقى حتى تموت.

286 - نواضح: الإبل التي يسقى عليها الماء.

287 - الناقع: الثابت.

288 - نثل: أخرجها.

289 - يهئها: هيأها للقتال.

290 - سحره: الرئة وما حولها.

291 - خفرتك: العهد.

بن عبدالمطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن²⁹² قدمه وهو دون الحوض ثم زحف حتى اقتحم الحوض، وأتبعه حمزة فقتله داخل الحوض، ثم خرج عتبة بن ربيعة ودعا إلى المبارزة فخرج من المسلمين عوف ومعوذ ابنا الحارث وعبدالله بن رواحة. فقال: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: رهط من الأنصار، ثم قال: يا محمد ﷺ أخرجنا أكفأنا من قومنا فقال: رسول الله ﷺ قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة بن الحارث. قال عتبة: نعم أكفأ كرام.

المبارزة

فأقبل حمزة إلى عتبة فقتله وبارز علي شبيهة فقتله واختلف بين عبيدة بن الحارث والوليد ضربتان فأثنى كل واحد منهما صاحبه، ثم انقض حمزة وعلي على الوليد فقتلاه واحتملوا عبيدة بن الحارث،²⁹³ ثم تراحم الناس ودنا بعضهم من بعض وبدأت المعركة وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان وشعار صحابة رسول الله ﷺ أحد أحد.

رسول الله ﷺ يشاهد جبريل

وعدل رسول الله ﷺ صفوف المسلمين ودخل إلى عريشه ومعه أبي بكر ودعا: اللهم إني أنشدك ما وعدتني إن تملك هذه العصابة لا تُعبد²⁹⁴ فقال أبو بكر: يا نبي الله فإن الله مُنجز ما وعدك، ثم خَفَقَ رسول الله ﷺ خفقة²⁹⁵ وهو في العريش، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذاً بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع²⁹⁶.

292 - أطن: أطارها.

293 - الراوي: علي بن أبي طالب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: (2665).

294 - الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: (85/6).

295 - خفقة: نام نوماً يسيراً.

296 - إسناده حسن: حسنه الألباني في فقه السيرة (237) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (284/3)، والنقع: الغبار.

التحام الجيشين

ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش وحرّض أصحابه على القتال وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجلاً فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة²⁹⁷، ثم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها جيش قريش ثم قال: شأهت الوجوه²⁹⁸ ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه وقال: شدّوا.

وبدأت الملائكة بالنزول من السماوات العلى بأمرٍ من الله نصرهً لمحمد بن عبد الله ﷺ، وأنزل الله تعالى: (إِذْ تَسْتَعْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال: 9) وأوحى الله إلى الملائكة (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (الأنفال: 12) فقال رسول الله ﷺ: ذلك مدد من السماء الثالثة²⁹⁹ وصاح رسول الله ﷺ وهو يتلو: سيهزم الجمع ويولون الدبر³⁰⁰.

واللتحم الجيشان، جيش رسول الله ﷺ يصرخ لا إله إلا الله الله أكبر، يقابله جيش قريش صارخاً أعلى هُبل وبدأت المعركة، فرمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول شهيد من المسلمين ثم رُمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار بسهم وهو يشرب من الحوض فقتل شهيد، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يقتلوا رجلاً من بني هاشم وغيرهم لأن رسول الله ﷺ علم أنهم خرجوا مجبرين لا حاجة لهم في القتال منهم أبا البختری³⁰¹ بن هشام بن الحارث والعبّاس بن عبدالمطلب.

²⁹⁷ - صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه (1905-1906) بنحوه وفي مستدرک

الحاكم (426/3) وعند أحمد في مسنده (136/3).

²⁹⁸ - الراوي: حكيم بن حزام، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: (87/6).

²⁹⁹ - الراوي: عبدالله بن عباس وعمر بن الخطاب، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (1763).

³⁰⁰ - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (3953).

³⁰¹ - أبو البختری: كان لا يؤذي الرسول، وهو الذي مرّق الصحيفة.

وأوقدت الحرب نيرانها فأخذ حمزة بن عبدالمطلب يُقتل بالمشركين واضعاً ريشة نعامة على صدره، وشهد له أمية قبل أن يموت حين قال ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ثم رأى بلال بن رباح أمية بن خلف فقال بلال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجأ، ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، فأحاطوا به وبابنه فضرب رجل ابنه فوقع ومات فصاح أمية صيحة لم يسمع مثلها قط، ثم هبروهما³⁰² بأسيا فهم.

استمرار نزول الملائكة

وما تزال الملائكة تنزل متتالية بأمرٍ من الله تعالى، فقال رجل من بني غفار: أقبلتُ أنا وابن عم لي وصعدنا جبلاً يشرف على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة وعلى مَنْ تكون الدبره³⁰³ فنحن على الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حممة الخيل، وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم أما ابن عمي فانكشف قناع قلبه ومات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك وتماسكت³⁰⁴، وقال أبوأسيد مالك بن ربيعة: (بعد أن ذهب بصره وقد شهد بدرًا) لو كنت اليوم بيدر ومعني بصري لأريتكم الشعب³⁰⁵ الذي خرَّجتُ منه الملائكة لا أشك فيه ولا أتمارى³⁰⁶.

وقال أبو داود المازني وكان شهد بدرًا قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قد قتله غيري³⁰⁷.
وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمراً.

302 - هبروهما: أي قطعوا أمية وابنه قطعاً.

303 - الدبره: الدائرة.

304 - إسناده منقطع: أخرجه ابن جرير الطبري في التاريخ (35/2) وعند الواقدي في المغازي (76/1) والأصبهاني في المغازي (29/4).

305 - الشعب: ما انفج بين جبلين.

306 - إسناده حسن: عند البيهقي في دلائل النبوة (81/3).

307 - صحيح: أصله عند مسلم في صحيحه (1383-1385) وأخرجه أحمد في مسنده (405/5) وفي مجمع الزوائد للهيتمي (83/6).

وقال علي بن أبي طالب: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء³⁰⁸.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً لا يضربون³⁰⁹.

مقتل أبي جهل

وقال معاذ بن عمرو بن الجموح جعلت أبا جهل من شأني فصمدت نحوه³¹⁰ فضربه ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحب يدي خلفي فلما آذتني، وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بما عليها حتى طرحتها، ثم مرّ بأبي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضرب أباجهل حتى أثبته، وقاتل معوذ حتى قُتل، ثم مرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل فقال: فوجدته بأخر رمق فوضعت رجلي على عنقه وقلت: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: لقد ارتقيت مُرتقى صعباً يا رويحي الغنم، قال عبد الله: ثم احتزرت³¹¹ رأسه، وقاتل عكاشة بن محصن بن حريثان الأسدي بسيفه حتى انقطع فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب وقال: قاتل بهذا يا عكاشة، فلما أخذها عكاشة وهزّها عادت سيفاً طويلاً القامة شديد المزن أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين³¹² وكان ذلك السيف يسمى العون.

ثم قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، قال عكاشة: يا رسول الله ﷺ أَدع الله أن يجعلني منهم، قال: إنك منهم أو اللهم

308 - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (84/6) مرسلًا، صحيح الإسناد.
309 - حسن: بمجموع طرقه الضعيفة، عند ابن سيد الناس في عيون الأثر (401/1) وفي مجمع الزوائد للهيثمي (83/6).
310 - فصمدت نحوه: قصدت إليه.
311 - احتزرت: قطعت.
312 - ضعيف هكذا بدون إسناد، عند البيهقي في دلائل النبوة (98/3) ومغازي الواقدي (93/1).

اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله ﷺ أدع الله أن أكون منهم، قال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة وبردت الدعوة³¹³.

وأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يرموا القتلى في القليب³¹⁴ إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملاها فذهبوا ليحركوه فتزائل لحمه³¹⁵، فأقروه وألقوا عليه التراب والحجارة، فلما ألقى المسلمون القتلى في بئر القليب وقف رسول الله ﷺ عليهم فقال: يا أهل القليب، يا عتبة يا شيبه يا أمية يا أبا جهل فعدد من كان في القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً³¹⁶.

ولما أمر الرسول ﷺ بأن يُسحبوا إلى القليب، سُحب عتبة بن ربيعة فنظر الرسول ﷺ في وجه ابنه أبي حذيفة وقال: يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟

قال أبو حذيفة: لا والله يا رسول الله ﷺ ما شككت في مصرع أبي وكنت أرجو أن يسلم، ثم قسم رسول الله ﷺ الغنائم على المسلمين على السواء.

313 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (5705-5752-6541) وعند مسلم في صحيحه (367) وعند الترمذي في سننه (2446)، وبردت الدعوة: أي ثبتت.

314 - القليب: البئر.

315 - فتزائل لحمه: تفرقت أعضائه.

316 - صحيح: بنحوه أخرجه البخاري في صحيحه (3976) وفي صحيح مسلم (2203).

رسول الله ﷺ يبكي ابنته رقية

وأرسل مَنْ يُبشر أهل المدينة بانتصاره، لكن جاءه الخبر بوفاة ابنته رقية زوجة عثمان بن عفان الذي لم يحضر بدر حيث كان عند زوجته رقية عندما اشتد المرض عليها.

قال رسول الله ﷺ: استوصوا بالأسارى خيراً³¹⁷، ومن أشرف الأسرى، النضر بن الحارث وقتله علي بن أبي طالب كما أخبر أهل العلم، وعقبة بن أبي معيط وقتله علي بن أبي طالب كما أخبر أهل العلم.

فلما انتهت المعركة كان أول مَنْ قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله الخزاعي فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل شيبه وعتبة والوليد وأبوجهل وأمّية وابنه وزمعة بن الأسود ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبوالبختري بن هشام، فهذا الخبر الذي أذل أبا هب وبعدها أصابته العدسة أي قرحة كالتاعون، ومات بعد هذا الخبر بسبع ليال.

وكان الأسود بن المطلب قد مات ثلاثة له من ولده زمعة بن الأسود وعقيل والحارث، وكان يُحب أن يبكي على بنيه، وبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له: أنظر هل أجل النُحْب³¹⁸؟ هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة³¹⁹؟ فإن جوفي قد احترق، قال: فلما رجع إليه الغلام قال له: إنما هي امرأة تبكي على بعير قد أضلته فقال:

أتبكي أن يضل لها بعير
ويمنعها من النوم الشهود
فلا تبكي على تكبر ولكن علي بدر تقاصرت الجدود
وبكّي إن بكيت علي عقيل وبكّي حارثاً أسد الأسود

³¹⁷ - صحيح: أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (1/146) وعزاه إليه الهيثمي في مجمع الزائد (86/6).

³¹⁸ - النحْب: البكاء بصوت عالٍ.

³¹⁹ - أبي حكيمة: أي زمعة.

إسلام عُمر بن وهب

وفي مكة كان يجلس يومئذ صفوان بن أمية مع عُمر بن وهب عند الحجر وهو شيطان من شياطين قريش (قبل الإسلام) ومما كان يؤدي رسول الله ﷺ لكن الآن ابنه وهب أسير عند رسول الله ﷺ فقال صفوان بن أمية: ليس في العيش بعدهم خير، قال له عُمر: صدقت والله لولا عليّ دين وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلى محمد ﷺ حتى أقتله فإن ابني هناك فقال صفوان بن أمية: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا فافعل ذلك.

فقام عُمر حتى حد سيفه وسمّه، وانطلق باتجاه المدينة المنورة وعندما وصل المدينة دخل مسجد رسول الله ﷺ متوشحاً سيفه فرآه عمر بن الخطاب، فقال للأنصار: احذروا من هذا الخبيث على رسول الله ﷺ فإنه غير مأمون.

فأخذ عمر بن الخطاب حمالة سيف عُمر بن وهب ووضعها في عنقه، فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أرسله يا عمر أدن يا عُمر، فقال عُمر بن وهب: أنعموا صباحاً³²⁰، فقال رسول الله ﷺ: قد أبدلنا الله بتحية خيراً منها يا عُمر بالسلام تحية أهل الجنة، ما جاء بك يا عُمر؟ قال عُمر: جئت لهذا الأسير الذي عندكم فأحسنوا إليه، فقال رسول الله ﷺ: والسيوف في عنقك فما باله؟ قال عُمر: قبّحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً، وما جئت إلا لذلك.

فقال رسول الله ﷺ: بل تعدت مع صفوان بن أمية وذكرت كذا كذا، وقلت لولا الدين وكذا وكذا، فقال عُمر: أشهد أنك لرسول الله ﷺ قد كنا نكذبك بما كنت تأتينا من خبر من السماء، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان بن أمية فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: فقَّهوا أحاكم في دينه وأقرؤوه القرآن وأطلقوا له أسيره³²¹، ففعلوا.

320 - أنعموا صباحاً: تحية الجاهلية.

321 - أسيره: أي ابنه.

فقال عُمر بن وهب: يا رسول الله ﷺ إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله ورسوله ﷺ والإسلام لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم؟ فأذن له رسول الله ﷺ، وكان صفوان بن أمية حين خرج عُمر بن وهب ليقتل الرسول ﷺ يقول: يا أهل قريش أبشروا بواقعة تأتيكم من الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر.

وكان صفوان بن أمية ينتظر الخبر، حتى جاءه الخبر بإسلام عُمر بن وهب، فلما قدم عُمر مكة أقام بها يدعو إلى عبادة الله ويؤذي من خالفه أذى شديداً وأسلم على يديه كثير من الناس،³²² ثم نزلت على رسول الله ﷺ سورة الأنفال كاملة، حيث اختلف عدد من المسلمين في حكم الغنائم.

غزوة بني سليم

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة لم يُقم بها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة عرفطة الغفاري أو عبدالله ابن أم مكتوم، فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

غزوة السوق

ثم نذر أبوسفیان أن لا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزوا محمداً ﷺ فخرج في مائتي راكباً من قريش حتى وصل العريض³²³، فحرقوا أصواراً من نخيل ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين. فعلم بهم رسول الله ﷺ فخرج إليهم حتى وصل قرقرة الكدر وقد فاته أبا سفيان وأصحابه ولم يلقاهم، وسميت بذلك لأن المسلمين حصلوا على سوق كثير.

³²² - الراوي: محمد بن جعفر بن الزبير، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: (287/8).

³²³ - العريض: وادي في المدينة.

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة ثم غزا نجداً يريد غطفان واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فأقام بنجد صفرًا كله، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

غزوة الفرع من نجران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قريشاً واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم حتى بلغ نجران بالحجاز، وأقام شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

حرب بني قينقاع

ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود قينقاع بالسوق وقال لهم: يا معشر يهود احذروا من الله ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أبي نبي الله مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهدكم، كما روي.

قالوا: يا محمد لا يغررك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن إنا نحن الناس فنزل بهم (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ مِّنْهُم وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُسَّاتِرُونَ الْمُهَادَّةَ) (آل عمران 12).

وكانوا يهود بني قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، فكانت في سوقهم امرأة من العرب تبيع الإبل والغنم، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدون كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده فانكشفت سوءتها فضحكوا عليها فصاحت، فوثب رجل مسلم على الصائغ فقتله، وكان الصائغ يهودياً فقام اليهود فقتلوا المسلم، فغضب المسلمون وحاصروهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة وكان اللواء بيد حمزة بن عبدالمطلب وكان أبيض، فقذف الله في قلوبهم الرعب وأمر الرسول ﷺ بتكفيتهم، لكن عبد الله بن أبي سلول كلم رسول الله ﷺ فيهم وألحَ َ.

عليه من أجلهم فقال رسول الله ﷺ: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم، وأمر أن يجلبوا من المدينة وتركهم من القتل، كما روي.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بقتل كعب بن الأشرف الذي قال عندما سمع انتصار المسلمين على كفار قريش يوم بدر: بطن الأرض خير من ظهرها، وكان يلقي الشعر ويتغنى بالنساء المسلمات وقد قتله محمد بن مسلمة، وسلطان بن سلامة، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس، وأبو عيس ابن جبر بني حارثة.

غزوة أحد

ولما رجعت قريش من بدر إلى مكة وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَأُصِيبَ مَنْ أُصِيبَ وَرَجَعَ أَبُو سَفِيَانَ مَشَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَيْحَةَ وَعَكْرَمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ فِي رِحَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْرٌ³²⁴ فِي قُرَيْشٍ فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ وَتَرَكَمُ³²⁵ وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ فَأَعَيْنُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ فَلَعَلْنَا نُدْرِكُ ثَأْرَنَا مِنْ أَصَابِ مَنْ، ففعلوا.

فكانت ألف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم نزل قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (الأنفال: 36).

وأصبحت قريش تجتمع لحرب محمد ﷺ وأصحابه، فكتب العباس بن عبدالمطلب كتاباً يخبر به رسول الله ﷺ ماذا تريد قريش.

وبعدها قام جبير بن مطعم فدعا غلاماً له حبشياً يقال له وحشي يقذف بحرته قذف الحبشة قلما يخطئ بها، فقال له: أخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد ﷺ أنت عتيق³²⁶.

324 - عير: الإبل.
325 - وتترككم: ظلمكم، أي لكم عنده ثأر.
326 - عتيق: حر.

جيوش قريش تزحف لمواجهة رسول الله ﷺ

فتجهزت جيوش قريش وخرجت بجدها وجددها وحديدها وأحاييشها ومَنْ تابعها من بني كنانة وأهل تهمامة، وخرجت معهم النساء لئلا يفروا، فخرج أبوسفيان بن حرب وهو قائد الناس معه هند بنت عتبة وعكرمة بن أبي جهل بأمر حكيم بنت الحارث، وكانت هند بنت عتبة كلما مرَّ بها وحشي أو مرَّت به قالت: وبها³²⁷ أبا دسمة اشفٍ واشتفٍ وكان وحشي يُكئى أبا دسمة.

فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وقد نزلوا حيث نزلوا قال للمسلمين: إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرًا تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها بالمدينة³²⁸ وقال: فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتل³²⁹، ثم قال: فإن رأيتم أن تقيموا في المدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرٍ مقام، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها.

وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج، فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد وممن فاتتهم غزوة بدر: يا رسول الله ﷺ أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جُبُنَّا عنهم وضعفنا، فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: يا رسول الله ﷺ أقم بالمدينة لا تخرج إليهم فإن دخلوا علينا قاتلهم الرجال ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ من هذا الأمر³³⁰ حتى يوم الجمعة الذي مات فيه رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو أحد بني النجار فصلى عليه رسول الله ﷺ

327 - وبها: معناها التحريض.

328 - صحيح: يشهد له ما في صحيح البخاري (7035) وأخرجه أحمد في مسنده (351/3) والدارمي في سننه (158/2).

329 - صحيح لغیره: يشهد له سابقه وما شهد له، وإسناده هنا مقطوع.

330 - هذا الأمر: أي الخروج لملاقاة قريش.

وفرح من الصلاة، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس لامته³³¹ وخرج على المسلمين فقال المسلمون: قد استكرهنا رسول الله ﷺ على هذا ولم يكن لنا ذلك، وقالوا: يا رسول الله ﷺ إن شئت أقعد لا نُخْرِجُ صلي الله عليك.

رسول الله ﷺ يلبس لامه الحرب

فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل³³² وتجهز الجيش وخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس حتى إذا كان الرسول ﷺ وجيشه بالشواط³³³، قال عبدالله بن أبي ابن سلول: ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؟ فرجع من تبعه من قومه ثلث الناس.

فقال لهم عبدالله بن عمرو بن حرام: يا قوم أذكركم الله لا تُخذلوا قومكم ونييكم ﷺ عند ما حضر من عدوكم، قالوا: لا نرى أن يكون قتال، فلما انصرفوا قال: سيغني الله عنكم نبيّه.

وقالت الأنصار للرسول ﷺ: يا رسول الله ﷺ ألا نستعين بحلفائنا من اليهود فقال الرسول ﷺ: لا حاجة لنا فيهم³³⁴.

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال: لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال وتعباً رسول الله ﷺ للقتال وهو في (700) سبعمائة رجلاً.

331 - لامته: الدرع، وقد يسمى السلاح.

332 - صحيح: صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (351/13) وهو عند الحاكم في مستدرکه (129/2) وفي مسند الإمام أحمد (1/271).

333 - بالشواط: مكان بين المدينة وأحد.

334 - صحيح بشواهد: إسناده هنا ضعيف، وشواهد عند الحاكم في مستدرکه (121/2) وفي مسند الإمام أحمد (454/3).

رسول الله ﷺ يأمر الرماة بعدم ترك الجبل

وأمر علي الرماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ بشياب بيض والرماة خمسون رجلاً، فقال لهم الرسول ﷺ: انضح الخيل³³⁵ عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نُؤْتَيَنَّ من قبلك، وظاهر³³⁶ رسول الله ﷺ بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير أخا عبدالدار³³⁷.

وفي رواية قال رسول الله ﷺ للرماة: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا تُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا³³⁸ وفي رواية: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل لكم وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم³³⁹، وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة ابن جندب الفزاري ورافع بن خديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمسة عشرة عاماً، كان قد ردهما فقيل له: يا رسول الله ﷺ إن رافعاً رام³⁴⁰ فأحازه ثم قيل له: يا رسول الله ﷺ فإن سمرة رافعاً فأحازه، إلا أن رسول الله ﷺ رد من المسلمين جماعة لصغر سنهم منهم: أسامة بن زيد، عبد الله بن عمر بن الخطاب، زيد بن ثابت، البراء بن عازب، عرابة بن أوس، وجعل رسول الله ﷺ علي جانبي الجيش الزبير بن العوام، والمنذر بن عمرو وشعار المسلمين يوم أحد أمت³⁴¹.

335 - انضح الخيل: أي ردوا الخيل عنا.

336 - ظاهر: أي ليس درع فوق درع.

337 - صحيح: يشهد له ما عند البخاري في صحيحه (3039) وعند أبي داود في سننه (2662)

وأحمد في مسنده (293/4).

338 - الراوي: عبد الله بن عباس، المحدث: أحمد شاكر، المصدر: عمدة التفسير، الصفحة أوالرقم:

(424/1).

339 - الراوي: البراء بن عازب، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أوالرقم:

(2662).

340 - رام: يجيد رمي السهم.

341 - صحيح: من طرق عند الحاكم في مستدرکه (107/2) وصححه ووافقه الذهبي، وعند أحمد

في مسنده (46/4).

فقال الرسول ﷺ: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبودجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقه يا رسول الله ﷺ؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني.
قال أنا أخذه يا رسول الله ﷺ بحقه، فأعطاه إياه³⁴² وكان أبودجانة شجاعاً يختال عند الحرب لا يهاب.

المعركة تبدأ

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجلاً ومعهم مئتا فرس قد جنبوها³⁴³، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وقائدها أبوسفیان بن حرب، فلما التقى الجيشان ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضرنَ بما خلف الرجال ويحرضنهم، فصرخت هند بأعلى صوتها:

ويها بني عبدالدار ويها حماة الأديار

ضرباً بكل بئسار

إن تقبلو نعانق ونفرش النمارق " وسادة صغيرة "

أو تُدبروا نفارق فراق غير وامق " المحب "

فالتحم واقتتل الجيشان حتى حميت الحرب، وقاتل أبودجانة بعد أن أخرج عصابة له حمراء فعصّب بها رأسه (كانت تقول الأنصار أخرج أبودجانة عصابة الموت) وقاتل حتى أمعن في الأعداء وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول ﷺ

فجعل لا يلاقي أحداً إلا قتله ولا يلاقي جريحاً منهم إلا ذفّف³⁴⁴ عليه.

³⁴² - صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه (1917) والحاكم في مستدرکه (230/3) وفي مسند أحمد (123/3).

³⁴³ - جنبوها: قادوها.

³⁴⁴ - ذفف: أسرع بقتله.

قال أبودجانة: رأيت إنساناً يَحْمَشُ³⁴⁵ الناسَ حَمْشاً شديداً، فصمدت له³⁴⁶ فلما حملت عليه السيف ولول³⁴⁷ فإذا امرأة فقال: أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن اضرب به امرأة³⁴⁸.

وما تزال المعركة مشتتة، فهذا سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب أخذ يقتل ويقتل الأعداء واحداً بعد الآخر حتى قتل أرتأه بن عبد شرحبيل بن هاشم ثم قتل سباع بن عبدالعزيز الغبشاني وقاتل قتالاً شديداً، وقاتل مصعب بن عمير قتالاً شديداً حتى استشهد وكان الذي قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن إنه رسول الله ﷺ فصاح وقال: لقد قتلْتُ محمداً ﷺ، فلما قُتِل مصعب بن عمير أعطى الرسول ﷺ اللواء إلى علي بن أبي طالب وقاتل الأعداء حتى سمع أبا سعد بن أبي طلحة ينادي ويقول: يا أصحاب محمد ﷺ أنا قاصم من يبارز؟ زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار كذبتهم واللات لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إلي بعضكم، فخرج إليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فضربه علي رضي الله عنه فقتله.

وكان يحمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة فقتله حمزة رضي الله عنه وقاتل حنظلة بن أبي عامر حتى التقى بأبي سفيان فلما استعلاه حنظلة وأراد أن يقتله رآه شداد بن الأسود فضرب حنظلة فقتله.

فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم لتغسله الملائكة³⁴⁹، وأبلى المسلمون في ساحة المعركة وقاتلوا قتالاً شديداً وأبلى أبودجانة وطلحة بن عبيدالله وحمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب والنضر بن أنس وسعد بن الربيع.

وأبوظلحة كان رجلاً رامياً شديداً النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، ووقع السيف من يدي أبي طلحة مرتين أو ثلاث، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين فمضوهم

345 - يَحْمَشُ: يشجع.

346 - فصمدت له: قصدت نحوه.

347 - ولول: قال يا ويلاه.

348 - صحيح: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد(109/6) وعزاه إلى البزار وقال: رجاله ثقات أ هـ.

349 - الحديث صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه(204/3) وعند البيهقي في السنن

الكبرى(15/4) والهيثمي في مجمع الزوائد(23/3) وعزاه إلى الطبراني في الكبير وحسنه.

بالسيوف فانهم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، وهربت النساء يرفعن سوقهن قد بدت خلاخيلهن.

انسحاب الرماة

فعندما رأى الرماة انسحاب الأعداء قال أصحاب عبدالله بن جبير وهو أمير الرماة: الغنيمة الغنيمة، ظهر³⁵⁰ أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لناأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فأقبلوا إلى الغنائم وتركوا مكانهم.

فنظر خالد بن الوليد ومن معه إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكّر بالخيل ومن معه وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وقتل أميرهم عبدالله بن جبير وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو ما أصاب واختلطوا بين المشركين والتبس العسكران فلم يميزوا³⁵¹.

سيدنا حمزة يستشهد

وأصبح القتل بالمسلمين وأخذ وحشي ينظر إلى حمزة وهو يهز المشركين بسيفه ويقطع الرؤوس فهز وحشي حرته حتى إذا رضي منها، دفعها إليه فوقع في ننته، حتى خرجت من بين رجله ففي هذه اللحظة نظر سيدنا حمزة إلى وحشي، وأقبل نحوه يريد قتله لكنه غلب ووقع فأمهله وحشي حتى مات، فجاء فأخذ حرته وعاد إلى العسكر.

رسول الله ﷺ يتعرض للضرب

وصرخ صارخ ألا إن محمداً ﷺ قد قُتل، حيث سقط محمد ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبوعامر الفاسق يكيدها للمسلمين، واحتضن طلحة بن عبيدالله محمد ﷺ واستطاع العدو أن يضربوا محمد ﷺ، فدُق بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت ربايعته وشُج في وجهه وكلمت شفته السفلى.

³⁵⁰ - ظهر: انتصر.

³⁵¹ - يميزوا: دخل الجيشان بعضهم ببعض.

عن أبي سعيد الخدري: أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر ربايعته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته³⁵² فدخلت حلقتان من حلق المغفر³⁵³ في وجنته.

وفي الطبراني: أن عبدالله بن قمئة هو الذي شج رسول الله ﷺ وكسر ربايعته عندما قال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسخ الدم عن وجهه: أقمأك الله³⁵⁴ فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قَطَعَهُ قطعة قطعة، وقال رسول الله ﷺ وهو يمسخ دمه: لو وقع مني شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون³⁵⁵.

وقال عبدالله بن شهاب الزهري دَلُّوني على محمد ﷺ فلا نجوت إن نجا فقال صفوان: تعاهدنا أربعة على قتل رسول الله ﷺ فلم نخلص إلى ذلك وقال نافع بن جبير: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت ونظرت إلى النبيل تأتي من كل ناحية باتجاه رسول الله ﷺ وكل ذلك يُصرف عنه.

نزول الملائكة نُصرةً لرسول الله ﷺ

لكن قريش نَسِيَتْ بأن الله تعالى سوف يأمر الملائكة بالنزول من السماء إلى الأرض وإلى ميدان القتال نُصرةً لرسوله ﷺ وللمسلمين ونزلت الملائكة، وفي الصحيحين عن سعد قال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما بياض كأشد القتال، وما رأيتهما قبل ولا بعد، وفي رواية جبريل وميكائيل.

352 - وجنته: أعلى الحد.

353 - حلق المغفر: درع ذو حلق يجعل على الرأس.

354 - الراوي: أبو أمامة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: (120/6).

355 - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم:

(3477).

وأخذ طلحة يدافع عن رسول الله ﷺ والرسول ﷺ يقول: لسعد بن أبي وقاص ارم فذاك أبي وأمي³⁵⁶، وأبودجانة ترس ظهره ليتلقى النبل عن رسول الله ﷺ وهو لا يتحرك، وأصبحت يد طلحة شلاء رقى بما النبي ﷺ حتى مات مدافعاً عنه، وهو الذي رفع رسول الله ﷺ من الحفرة بعد أن أخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ. ومص مالك بن سنان أبوأي سعيده الخدري الدم عن وجه رسول الله ﷺ ثم ابتلعه فقال رسول الله ﷺ: من مس دمي دمه لم تصبه النار³⁵⁷، وأبوعبيدة عامر بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ فسقطت ثنيتيه، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيتيه الأخرى (فكان ساقط الثنيتين) وصرخ الشيطان: قُتل محمد ﷺ فوق ذلك في قلوب كثير من المسلمين، ومر أنس بن النضر يقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال: يا قوم ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ، فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل الناس ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، ثم استقبل المشركين وقاتل قتالاً شديداً حتى استشهد. فما عرفه أحد إلا أخته بينانه، ووجدوا فيه سبعين ضربة، ووجدوا بعبد الرحمن بن عوف نحو عشرين ضربة بعضها في رجله فخرج منها حتى مات، وأقبل رسول الله ﷺ على المسلمين وكان أول من عرفه كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ فأشار إليه رسول الله ﷺ أن اصمت.

شأن قزمان

وقاتل قزمان المشركين حتى قتل منهم ثمانية أو سبعة فقال رسول الله ﷺ: إنه لمن أهل النار³⁵⁸، وبقي على قتال المشركين حتى أصيب فقال المسلمون له: أبشر يا قزمان

³⁵⁶ - الراوي: علي بن أبي طالب، المحدث: الترمذي، المصدر: سنن الترمذي، الصفحة أو الرقم: (2829).

³⁵⁷ - صحيح بجموع طرقه: ويشهد له ما عند الحاكم في مستدرکه (563/3) وفي سنن سعيد بن منصور (2573).

³⁵⁸ - صحيح: بنحوه عند البخاري في صحيحه (4202-3203-4207) وأخرجه الواقدي في المغازي (263/1) وابن كثير في البداية والنهاية (36/4).

قال: بماذا أبشر فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي³⁵⁹ ولولا ذلك لما قاتلت، فلما اشتدت به إصابته أخذ سهماً من كنانته وقتل نفسه.

شأن عمرو بن الجموح

وقاتل عمرو بن الجموح المشركين بقوة وكان أباً لأربعة رجال كالأسود، وكان أعرج وقد قالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك وأرادوا أن يجسوه في البيت، فأتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ وقال: فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال رسول الله ﷺ لأولاده: وما عليكم أن تدعوه لعل الله عزوجل أن يرزقه الشهادة³⁶⁰، فقاتل حتى استشهد، وقاتل قتادة بن النعمان قتالاً شديداً حتى أصيب بعينه فوُقت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ مكانها بيده الشريفة فكانت أحسن من الأخرى.

رسول الله ﷺ يقتل أبي بن خلف

ولما عرف المسلمون ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وما أصابهم نهضوا به نحو الشعب ومعه أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين.

فلما وصل رسول الله ﷺ الشعب، أدركه أبي بن خلف وهو يقول: لا نجوث إن نجأ، فأراد المسلمون قتله فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة وانتفض بها انتفاضة، فقال المسلمون: تطايرنا عنه³⁶¹ ثم استقبل أبي بن خلف وطعنه في عنقه فقلّبه عن فرسه وأصبح أبي يتدحرج، فلما رجع إلى قريش وقد احتقن الدم في عنقه، احتمله أصحابه وهو يجور حوار الثور فقالوا: ما أجزعك إنما هو خدش فقال لهم: والله إن محمداً ﷺ قال لي بمكة: أنا أقتلك يا أبي،

359 - قومي: قبيلته.

360 - الراوي: رجال من بني سلمة، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم:

(262).

361 - تطايرنا عنه: ابتعدنا من هول السرعة والقوة.

فوالله لو بصق عليّ لقتلني، والذي نفسي بيده لو كان الذي بيّ بأهل ذي المجاز لماتوا جميعاً، فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة³⁶².

ودعا رسول الله ﷺ على عتبة بن أبي وقاص حين كسر ربايعته ودمى وجهه الشريف وقال: اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار³⁶³.

364 وبينما رسول الله ﷺ في الشعب ومعه صحابته إذ علت عالية من قريش الجبل قال ابن هشام: تلك كانت الخيل لخالد بن الوليد.

فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا³⁶⁵، فخرج عمر بن الخطاب لملاقاتهم ومعه المهاجرون، واشتد القتال حتى أهبطوهم من الجبل، وبعدها نهض رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها فلم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيدالله ونهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله ﷺ: أوجب طلحة³⁶⁶ أي وجبت له الجنة.

فاطمة تزيل الدم عن رأس رسول الله ﷺ

وأحضر علي بن أبي طالب الماء، فأخذ يسكب الماء على رأس رسول الله ﷺ وفاطمة ابنته تغسله فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فاستمسك الدم، ثم صلى رسول الله ﷺ الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً، وانفرد الأعداء بالشهداء في ساحة المعركة.

362 - حسن: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (259/3) وله شواهد.

363 - الراوي: مقسم مولى ابن عباس، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: فتح الباري لابن حجر، الصفحة أوالرقم: (34/12).

364 - سعدت خيل قريش أعلى الجبل.

365 - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه (269/2) وصححه، ووافقه الذهبي، وفي مسند

أحمد (288/1) وعند الهيثمي في مجمع الزوائد (111/9).

366 - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه (25/3) وصححه، ووافقه الذهبي، وفي صحيح ابن حبان (6940) وفي سنن الترمذي (3738) وعند أحمد في مسنده (1417) وصححه شاكر.

فأصبحت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يُمثلن³⁶⁷ بالشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ يجذعن³⁶⁸ الأنوف والآذان حتى اتخذت هند بنت عتبة من آذان الشهداء وأنوفهم قلائد وخلائح وأعطت هند قلائدها وقرطتها³⁶⁹ إلى وحشي غلام جبير بن مطعم.

ووصلت إلى جسد سيدنا حمزة فبقرت³⁷⁰ بطنه وأخرجت كبده فلاكنها أي مضغتها فلم تستطيع أن تسيغها أي تبلعها، فلفظتها أي طرحتها ثم علت على صخرة فصرخت بأعلى صوتها:

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سُفر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي عليّ عمري	حتى ترم أعظمي في قبري

أبوسفيان يصرخ أعلى هُبَل

ومر أبوسفيان بجانب جسد سيدنا حمزة فضربه بشدقة بزج الرمح وهو يقول: دُق عُقُق³⁷¹ فرآه رجل اسمه الخليس بن زيان وهو سيد الأحابيش فقال: يا بني كنانة انظروا هذا سيد قريش يصنع بابت عمه لهما³⁷² فقال أبوسفيان: ويحك أكتمها عني فإنها كانت زله، ثم ذهب أبوسفيان حتى أشرف على الجبل وصرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال أن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعلى هُبَل.

ثم قال: أي القوم محمد ﷺ؟ أي القوم ابن أبي قحافة؟ أي القوم ابن الخطاب؟ فلم يملك عمر نفسه حتى قال: كذبت يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء.

367 - يمثلن: التشويه.

368 - يجذع: يقطع.

369 - قرطها: حلقها.

370 - بقرت: شقت.

371 - عُقُق: يا عاق.

372 - لهما: أي لا روح فيه.

فقال أبوسفيان: يوم بيوم بدر ثم أخذ يرتجز: أعل هُبَلُ أعل هُبَلُ، فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبوه؟ قال المسلمون: يا رسول الله ﷺ ماذا نقول؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل، ثم قال أبوسفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبوه قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، وفي رواية قال عمر: قتلانا في الجنة وقتلاككم في النار، وانصرف أبوسفيان ومَنْ معه وهو ينادي: إن موعكم بداراً العام المقبل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: قل نعم هو بيننا وبينكم موعد، كما روي.

وبعد انصراف أباسفيان وجيشه من ميدان القتال بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب حتى يراقبهم فقال: أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزهم. قال علي بن أبي طالب: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة³⁷³.

سعد يودع النبي ﷺ ويترك طفله يتيمه

وانتهت المعركة وفرغ الناس لقتالهم يتفقدهم، فقال رسول الله ﷺ: "مَنْ رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات؟" فقال رجل من الأنصار: أنا أنظرُ لك يا رسول الله ﷺ ما فعل سعد بن الربيع، فنزل من الجبل إلى ساحة المعركة يبحث عنه بين الشهداء فوجده جريحاً وبه رمق، فقال له: إن رسول الله ﷺ قد أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ فقال سعد: أنا في الأموات! فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا ما جزى نبياً عن أمته وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم:

³⁷³ - إسناده ضعيف: عند الواقدي في المغازي (299/1) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (138/4) وفي تاريخ الطبري (71/2).

إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلصَ إلى نبيكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف، قال: ثم لم أبرح حتى مات، قال الرجل فجننت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره³⁷⁴.

قال أبو بكر الزبيدي: إن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق و بنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها، فقال له الرجل: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير مني سعد بن الربيع كان من الثقباء يوم العقبة وشهد بدرًا واستشهد يوم أحد.

رسول الله ﷺ يودع ويكي حمزة

ونزل المسلمون من الجبل، فذهب رسول الله ﷺ يلتمس عمه سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب فوجده (أي شاهد جثته عن بُعد) ببطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده، ومثّل به فجدع أنفه وأذناه، فلما رأى ما رأى قال: لولا أن تحزن صفة وتكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولكن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطنين لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم³⁷⁵.

وقال: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لثمتلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب، ولما وقف عليه (جثة حمزة أمام ابن أخيه الرسول ﷺ) قال عليه الصلاة والسلام: لن أصاب بمثلك أبداً ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا، ثم قال: جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبدالمطلب مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله³⁷⁶.

وكان رسول الله ﷺ وحمزه وأبو سلمة بن عبد الأسد إخوة من الرضاعة، أرضعتهم ثوية مولاة أبي لهب ونزل قوله تعالى عندما قال محمد ﷺ لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ

³⁷⁴ - حسن: مجموع طرقه عند الحاكم في مستدرکه (201/3).

³⁷⁵ - حسن: مجموع طرقه عند البيهقي في دلائل النبوة (286/3) وابن كثير في التفسير (533/4) وعزاه الهيثمي إلى الطبراني في مجمع الزوائد (120/6).

³⁷⁶ - هذه الزيادة وردت عند الواقدي في المغازي (290/1) وأوردها ابن حجر في فتح الباري (430/7).

(126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

يَمْكُرُونَ (127)) (النحل 126-127) فعفا رسول الله ﷺ وصبر، ونهى عن المثلة³⁷⁷.

ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزه بن عبدالمطلب فسحّي ببردة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة³⁷⁸، ودفن حمزة وابن أخته عبدالله بن جحش في قبر واحد، وبكى محمد ﷺ عليه.

فمن حديث ابن مسعود قال: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبدالمطلب ووضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشج من البكاء، قيل والنشج حتى بلغ به الغشي.

صفية تودّع وتبكي أخاها حمزة

وقبل أن يدفن حمزة أقبلت صفية بنت عبدالمطلب، وهو أحوها لأبيها وأمها لتتنظر إليه نظرة الوداع، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: ألقها فأرجعها لا ترى ما في أخيها، فقال لها: يا أمتي، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مُتّل بأخي حمزة وذلك في الله لأحتسب وأصبر إن شاء الله.

فلما جاء الزبير بن العوام إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال رسول الله ﷺ: خلّ سبيلها، فأتته فنظرت إليه فصَلّت عليه واستغفرت له³⁷⁹ وقالت تبكي أخاها حمزة بن عبدالمطلب:

أسائلة أصحاب أحد مخافة بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبر إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله ﷺ خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور

³⁷⁷ - صحيح: لشاهده عند الحاكم في المسترك (359/2) وصححه ووافقه الذهبي، وفي دلائل النبوة للبيهقي (286/3). والمثلة: أي التمثيل بالقتلى.

³⁷⁸ - إسناده ضعيف: عند ابن ماجه في سننه (1513) والبيهقي في السنن الكبرى (12/4).

³⁷⁹ - إسناده صحيح: عند الإمام أحمد في مسنده (165/1) وصححه أحمد شاكر، وفي مجمع الزوائد للهيتمي (118/6) وعزاه إلى البزار وأبي يعلى وأحمد.

فذلك ما كُنَّا نُرجي ونرتجي لحمزة يوم الحشر خير مصير

أقول وقد أعلى النعي عشيرتي جزى الله خيراً من أخٍ ونصير

ومثَّلَ بعبدالله بن جحش وهو ابن أميمة بنت عبدالمطلب إلا أنه لم يُقَرَّ عن كبده، وكان المسلمون قد احتمل بعض من القتلى إلى المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادفنوهم حيث صرعوا³⁸⁰ وقال: أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون دم، والريح ريح مسك³⁸¹، فكان الصحابة يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد.

فلما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش فلما لقيت الناس نُعي³⁸² إليها أخوها عبدالله بن جحش فاسترجعت³⁸³ واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبدالمطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها زوجها مصعب بن عمير، فولدت فقال رسول الله ﷺ: إن زوج المرأة منها لبمكان³⁸⁴، وعندما مرَّ رسول الله ﷺ بدور من الأنصار من بني عبدالأشهل سمع البكاء والنوائح على قتلاهم فبكى، ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له³⁸⁵ ثم قال رحم الله الأنصار، فإن المواساة منهم ما علمت لتقديمه مُروهنَ فليُنصرفن.

المرأة من بني دينار

ثم مرَّ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخاها وأباها، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا لها: خيراً يا أم فلان، قالت: أروني³⁸⁶ حتى أنظر إليه، قال:

380 - صحيح: أخرج الترمذي في سننه(1717) وأبي داود في سننه(3165) والنسائي في سننه(2004) وابن ماجه في سننه(1516).
381 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه(2803) ومسلم في صحيحه(1469) وعند أحمد في مسنده(242/2) والترمذي في سننه(1656).
382 - نُعي إليها: أي مات.
383 - فاسترجعت: قالت إنا لله وإنا إليه راجعون.
384 - إسناده ضعيف: عند ابن ماجه في سننه(1590) وفي دلائل النبوة للبيهقي(301/3) وعند الحاكم في مستدرکه(61/4).
385 - إسناده صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه(381/1)(195/3) وصححه ووافقه الذهبي، وفي سنن ابن ماجه(159أ) وعند أحمد في مسنده(84/2-92).
386 - أرونيه: أحب أن أراه.

فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جللٌ³⁸⁷ وانتهى رسول الله ﷺ إلى أهله، فنال سيفه ابنته فاطمة وقال: اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله لقد صدقني اليوم³⁸⁸، وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم، وكان سيف رسول الله ﷺ يسمى ذوالفقار.

استشهد من المسلمين سبعون رجلاً، وقُتِل من الأعداء اثنان وعشرون، ووقعت غزوة أحد يوم السبت في شوال بعد غزوة بدر بسنة.

لكن عندما رجعت قريش إلى مكة المكرمة قالت هند بعد عودتها من غزوة أحد:

رجعت وفي نفسي بلائلاً جمّةً وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصحاب بدر من قريش وغيرهم بني هاشم منهم ومن أهل يثرب
لكنني قد نلت شيئاً ولم يكن كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

يقول وحشي في مقتل سيدنا حمزة

يقول وحشي في مقتل سيدنا حمزة: كنتُ غلاماً لجبير بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد ﷺ بعمي فأنت عتيق.

قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة، فلما أخطئ بها شيئاً، فلما إلتقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهدُّ الناس بسيفه هدأً ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتحمياً له أريده وأستترُّ منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع ابن عبدالعزيز فلما رآه حمزة قال له: هلمَّ إليّ فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه³⁸⁹ وهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقع في ثنته حتى خرَّحت من بين رجله وذهب لينوء

387 - إسناده حسن: عند الطبري في تاريخه (74/2) من طريق ابن إسحاق هنا. وجلل: تريد تصغيرها.

388 - صحيح: بشواهد عند الحاكم في المستدرک (24/3) وصححه ووافقه الذهبي.

389 - أخطأ رأسه: قطع رأسه.

نحوي، فغُلب وتركته وأياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه ولم يكن لي غيره حاجة.

وإنما قتلته حتى أعتق، فلما قدمت مكة أعتقت، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت فيها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا نعتت عليّ المذاهب فقلت: ألحق بالشام أو اليمن أوبعض البلاد فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل: ويحك إنه (أي رسول الله ﷺ) والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وتَشهد شهادة الحق، فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ في المدينة، فلم يرعه³⁹⁰ إلا بي قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق. فلما رأني قال عليه الصلاة والسلام: أوحشي؟ قلت: نعم يا رسول الله ﷺ قال: أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة، فحدثته ولما فرغت من حديثي، قال: ويحك غيب عني وجهك فلا أرينك، قال: فكنت أنتكب³⁹¹ رسول الله ﷺ حيث كان، لئلا يراني حتى قبضه الله تعالى³⁹².

وحشي يقتلُ مُسيلمة الكذاب

وخرج المسلمون إلى مُسيلمة الكذاب صاحب اليمامة، فخرجت معهم وأخذت حربتي التي قتلْتُ بها حمزة، فلما إلتقى الناس رأيت مُسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف فتهيأت له وتحمياً له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريد، فهزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوضعتها بين يديه حتى خرجت من بين كتفيه، ثم وثب عليه الرجل الأنصاري فضربه بالسيف على هامته، فربك أعلم أيُّنا قَتَلَهُ.

قال عبدالله بن عمر: قالت جارية على ظهر بيت وا أمير المؤمنين قَتَلَهُ العبد الأسود.

390 - يرعه: فجأه.

391 - أنتكب: أراقب.

392 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (4072) وعند الإمام أحمد في مسنده (501/3) وفي مسند الطيالسي (1314).

الخروج إلى حمراء الأسد

وكان يوم أحد هو يوم السبت فلما كان الغد الأحد أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو وأذّن مؤذّن أن لا يخرجنا معنا: إلا الذين حضروا بالأمس.

وكان جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام قال له والده: لا ينبغي لك أن تترك اخواتك السبع وتلحق بالجيش، لكنه خرج مع رسول الله ﷺ وكان خروج رسول الله ﷺ رهبة للعدو ولئيلغهم إنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يؤهّنهم.

وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل قد حضر غزوة أحداً مع رسول الله ﷺ قال: شهدنا أحداً مع رسول الله ﷺ أنا وأخي لي فرجعنا جريحين، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج بطلب العدو، قلت لأخي أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ وما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل؟ فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أمشي برهة ويركب أخي على الدابة برهة ثم يمشي برهة وأركب أنا برهة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

حيث أمر رسول الله ﷺ عند حمراء الأسد وهي من المدينة على بعد ثمانية أميال، وقد استعمل رسول الله ﷺ عبد الله ابن أم مكتوم على المدينة.

وهناك بحمراء الأسد (غزوة حمراء الأسد) مرّ رجل برسول الله ﷺ اسمه معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو مشرك فقال: يا محمد ﷺ لقد عزّ علينا ما أصابك أنت وأصحابك.

ثم مشى في طريقه (أي الرجل المشرك معبد بن أبي) حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومنّ معه بالروحاء حيث أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: قد أصبنا³⁹³ أصحابه وأشرفهم وقادتهم لنرجع ولنكرن على بقيتهم فلنفرعن منهم، فلما رأى أبوسفيان معبد بن أبي معبد قال: ما وراءك يا معبد؟ قال معبد: محمد ﷺ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون³⁹⁴ عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه

³⁹³ - أصبنا: قتلنا.

³⁹⁴ - يتحرقون عليكم: يتهبون من الغيظ.

مَنْ كَانَ تَخْلَفَ عَنْهُ فِي يَوْمِكُمْ وَنَدِمُوا عَلَى مَا ضَيَّعُوا، فِيهِمْ مِنَ الْحَنْقِ³⁹⁵ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: وَيَحْكُ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَرْتَحِلَ حَتَّى تَرَى نَوَاصِي الْخَيْلِ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَجْمَعْنَا الْكِرَّةَ عَلَيْهِمْ لِنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ قَالَ: فَإِنِّي أَنُحَاكَ عَنْ ذَلِكَ، وَاللَّهِ لَقَدْ حَمَلَنِي عَلَى مَا رَأَيْتَ أَنْ قَلْتَ فِيهِمْ:

كَادَتْ تُهْدُ مِنْ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَأَلْتُ الْأَرْضَ بِالْجَرْدِ الْأَبَائِلِ
فَقَلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمَتْ الْبِطْحَاءُ بِالْجَلِيلِ
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لِأَوْحَشِ قَنَابِلِهِ وَليْسَ يُوَصِّفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقَيْلِ
فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو سَفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ أَنْصَرَفَ وَرَدَ قَافِلًا إِلَى مَكَّةَ.

رسول الله ﷺ يأمر بقتل بن المغيرة والجمحي

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ معه معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وهو جد عبد الملك بن مروان أبا أمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحي، لكن قبل رجوع الرسول ﷺ قال أبو عزة الجمحي: أقلني يا رسول الله ﷺ (وهو من أسارى غزوة بدر) فقال الرسول ﷺ: لا والله اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه، ورواية أخرى كما قال ابن هشام بلغني عن سعيد بن المسيب، قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه³⁹⁶.

أما معاوية ابن المغيرة فلجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه، لكن إن وُجِدَ بعد ثلاثة أيام يُقتل، فأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد الاثنتين والثلاثاء والأربعاء، وتواری³⁹⁷ معاوية بن المغيرة، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال لهم: إنكم ستجدون معاوية بموضع كذا كذا فذهبوا فوجداه فقتلاه، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ونزلت أول ستين آية من سورة آل عمران.

³⁹⁵ - الحنق: الغيظ.

³⁹⁶ - الراوي: سعيد بن المسيب، المحدث: الألباني، المصدر: إرواء الغليل، الصفحة أو الرقم:

(41/5).

³⁹⁷ - وتواری: أي هرب.

مقتل الصحابة عند الرجيع

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ في صفر آخر السنة الثالثة نفر من عضل والقارة، فذكروا للرسول ﷺ أن فيهم إسلاماً، ورغبوا أن يبعث معهم نفر من المسلمين يفقهوهم في دينهم، فبعث رسول الله ﷺ ستة رجال من أصحابه³⁹⁸ مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت بن الأوسي، وحبیب بن عدي، وزيد بن الدثنة البياضي، وعبدالله بن طارق، وأمَرَ عليهم مرثداً، حتى إذا صاروا بالرجيع، غدروا بهم واستصرخوا عليهم هُديلاً، وقالوا إننا نريد أن نصيب بكم³⁹⁹ شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم، فأما مرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً، وقاتل عاصم وصاحبه القوم حتى قُتلوا.

فلما قُتِلَ عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه ليبيعه لسلافة بنت سعد بن شهيد وكانت قد نذرت حين مات ابنها يوم غزوة أحد، لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر، وعندما جاءت هذيل لتأخذ رأس عاصم جاء الدبر⁴⁰⁰ على عاصم فمنعتهم، ثم قالوا: دعوه يمسي حتى يذهب عنه الدبر فنأخذه، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به (وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً).

وأما زيد بن الدثنة وحبیب بن عدي وعبدالله بن طارق فلانوا ورقوا للحياة فأعطوا أيديهم وأسرهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبدالله يده وقاتل حتى قُتل، وعندما وصلوا مكة باعوا حبیب إلى عقبة بن الحارث فقتله من أجل أبيه⁴⁰¹ وأما زيد بن الدثنة فاشتره صفوان بن أمية بن خلف وقتله انتقاماً لمقتل أبيه أمية بن خلف.

398 - صحيح: بنحوه عند البخاري في صحيحه (3989)(4086) وفي سنن أبي داود (3660)

وعند أحمد في مسنده (224/2).

399 - نصيب بكم: أي نأخذكم أسرى.

400 - الدبر: جماعات من النحل.

401 - من أجل أبيه: انتقاماً لمقتل أبي عتبة.

بئر معونة

وقَدِمَ عامر بن مالك بن جعفر⁴⁰² على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد وقال: يا محمد صلى الله عليه وسلم لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فندعوهم فإني أرجو أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أخشى عليهم أهل نجد⁴⁰³، فقال أبو براء عامر: أنا لهم جارٍ.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو في أربعين من خيار أصحابه، منهم الحارث بن الصمّة، حرام بن ملحان، عروة بن أسماء، نافع بن بُديل، عامر بن فهيرة، فساروا حتى نزلوا بئر معونة (حديث بئر معونة) وهي بين أرض بني عامر وأرض حرة بني سليم.

وهناك بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطَّفِيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على حرام بن ملحان فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نخفر⁴⁰⁴ أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً، لكن عامر بن الطَّفِيل استصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عُصَيَّة ورَعْل وَذَكَوَان فأجابوه إلى ذلك وخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجوا سيوفهم وقتلوهم، لكنهم قُتِلُوا جميعاً رحمهم الله إلا كعباً بن زيد تُرِكَ وبه رمق من الحياة فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً.

غزوة بني النضير

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير، ولما شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعداً قالوا لبعضهم بعضَ مَنْ رجل

402 - مالك بن جعفر: ملاعب الأسنّة، ملاعب الرواح.

403 - الراوي: محمد بن إسحاق، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم:

(131/6).

404 - لن نخفر: أي لا ننقض عهد عامر بن مالك بن جعفر.

منا يلقي عليه صخرة نقتله ونستريح منه؟ قال عمرو بن جحّاش بن كعب: أنا لذلك، فصعد ليلقي الصخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه فيهم أبوبكر وعمر وعلي، فأتاه الخبر من السماء، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، ثم أمر بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم⁴⁰⁵ واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وسار إليهم في شهر ربيع الأول وحاصروهم ست ليالٍ ونزل تحريم الخمر⁴⁰⁶ فتحصنوا منه في الحصون، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيه وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقالوا: إن جلينا⁴⁰⁷ تكفُّ عن دماننا ولنا ما حملت الإبل إلا السلاح، فقال رسول الله ﷺ: نعم فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام لكن أشرفهم ساروا إلى خيبر، وكان خروجهم خيلاء وزهو حيث الدفوف والمزامير والجاريات المغنيات، ودان لهم أهل خيبر، ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها.

غزوة ذات الرقاع

ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام فيها شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ثم غزا نجداً (غزوة ذات الرقاع) يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبي ذر الغفاري ويقال عثمان بن عفان، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل نخلاً⁴⁰⁸ فلقى بها جمعاً عظيماً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس بعضهم بعض حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس، ورجع إلى المدينة وأقام بها جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان.

405 - إسناده صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (3004) وعند البخاري في صحيحه (4028)

مختصراً.

406 - فتح الباري: (8/128).

407 - جلينا: الرحيل، المغادرة.

408 - نخلاً: موضع بنجد.

غزوة بدر الآخرة.

واستعمل على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول الأنصاري فأقام ثمانين ليالٍ ينتظر أباسفيان، وخرج أبوسفيان في أهل مكة حتى بلغ مجنة من ناحية الظهران ويقال بلغ عسفان، ثم بدا له في الرجوع فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجعوا.

فرجع الجيش وسمّاهم أهل مكة جيش السوق، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها أشهراً وولى تلك الحجة للمشركين وهي سنة أربع من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

غزوة الخندق

وجاءت غزوة الخندق في شوال سنة خمس⁴⁰⁹ حيث اجتمع نفرٌ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبوعمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فخرجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم، أديتُنا خير أم دينُ محمد ﷺ؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فنزل فيهم قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ

⁴⁰⁹ - وفي السيرة النبوية التي كتبها عبدالله محمد بن عبد الوهاب سنة أربع.

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55) (النساء 51-55) فلما قالت اليهود ذلك لتقريش سرهم ونشطهم واجتمعوا لذلك، وخرج نفر من اليهود إلى غطفان من قيس وعيلان ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم إنهم سيكونون معهم وإن قريش أيضاً معهم.

خروج جيوش قريش لمواجهة رسول الله ﷺ

فخرجت قريش وقائدها أبوسفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حصن بن حذيفة في بني فزارة، وخرج الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، وخرج مسعر بن زُخيلة ومن تبعه من قومه من أشجع. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق حول المدينة كما أشار سلمان الفارسي، فعمل فيه الرسول ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل المسلمون.

لكن المنافقين أخذوا يتسللون إلى أهلهم بغير علم الرسول ﷺ، والمسلمون يعملون حتى إذا الرجل نائبه النائبة من الحاجة التي لا بد منها، كان يذكر ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذن في الخروج لحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان عليه من العمل، فأنزل الله قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور 62) ثم قوله تعالى في الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور 63) واشتدت على المسلمين أثناء حفر الخندق صخرة عظيمة، فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناء فيه ماء فتفل فيه، ثم دعا ما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح الماء على

الصخرة فيقول مَنْ حضرها: فولذي بعثه بالحق نبياً لانتهالت حتى عادت كالكتيب⁴¹⁰.

وأثناء العمل أحضرت عمرة بنت رواحة حفنة من تمر وقالت لبنتها: أي بنيّة اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فانطلقتُ بها فمررتُ برسول الله ﷺ فقال: تعالي يا بنيّة ما هذا الذي معك؟ قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا تمر، بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه، قال رسول الله ﷺ: هاتيه، قالت: فَصَبَبْتُهُ فِي كَفِّي رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فُبسط له، ثم وضع التمر عليه وأمرَ إنسان عنده: أصرخ في أهل الخندق أن هلموا الى الغداء، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وهو يزيد حتى صدر أهل الخندق⁴¹¹ عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب⁴¹².

وقال سلمان الفارسي إنه وهو يعمل في ناحية الخندق غَلَطَتْ عليّ صخرة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني، فلما رأني أضرب وراى شدة المكان نزل عليّ وأخذ المعول⁴¹³ من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة ثالثة، قلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله ﷺ ما هذا الذي رأيت؟ قال: أَوْقَدَ رأيت يا سلمان؟ قال: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما الأولى: فأعطيت لي مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمراء الساعة، وأما الثانية: أعطيت لي فارس والله إني لأبصر

410 - صحيح: أصله في صحيح البخاري (4101) وفي مسند الإمام أحمد (300/3) مختصراً، وعند البيهقي في دلائل النبوة (415/3)، (كالكتيب: أي كالرمل).

411 - صدر أهل الخندق عنه: أي أكلوا جميعاً.

412 - ضعيف إسناد منقطع: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (427/3) وعند السيوطي في

الخصائص (380/1).

413 - المعول: الفأس.

قصر المدائن الأبيض الآن، وأما الثالثة فأعطيت لي مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني⁴¹⁴.

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أقبلت جيوش قريش وهم في عشرة الآف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، هناك جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة ظهورهم إلى سلع في ثلاثة الآف من المسلمين، فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالأطفال والنساء فجعّلوا في الآطام⁴¹⁵.

اليهود تنقض العهد مع رسول الله ﷺ

واجتمعت جيوش قريش حول الخندق، هناك خرج من صفوف المشركين حُيي بن أخطب النضري حتى أتى باب حصن خلفه كعب بن أسد القرظي، وهو صاحب عقد⁴¹⁶ بني قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده وعاهدته، فناداه حُيي بن أخطب: ويحك يا كعب افتح لي، قال كعب: إنك امرؤ مشعوم وإني قد عاهدت محمدًا ﷺ فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً.

قال: افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: إن أغلقت الحصن دوني، فإنك تخوفت عليّ طعامك أن أكل منها معك فأحفظه⁴¹⁷، ففتح له فقال حُيي بن أخطب: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبيحر طام⁴¹⁸، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وبغطفان على قادتها وسادتها، قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يرحوا حتى نستأصل محمدًا ﷺ ومن معه، قال كعب: جئتني والله بذل الدهر، دعني وما أنا عليه،

⁴¹⁴ - الراوي: البراء بن عازب، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: فتح الباري لابن حجر، الصفحة أوالرقم: (7/458).

⁴¹⁵ - الآطام: الحصون.

⁴¹⁶ - صاحب عقد: أي عهد.

⁴¹⁷ - فأحفظه: أغضبه.

⁴¹⁸ - ببحر طام: الكثير الماء.

فلم يزل حُيِّي بكعب حتى نقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين محمد ﷺ.

فعلم رسول الله ﷺ الخبر، فبعث سعد بن معاذ⁴¹⁹ وسعد بن عباد ومعهما عبد الله بن رواحة فقال لهم: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ أي عن كعب بن أسد بن النضير، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه⁴²⁰ لأن الخوف كان عند المسلمين عظيماً، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أحبث ما بلغهم عنهم، فقالت اليهود: من رسول الله ﷺ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ﷺ ولا عقد.

ورجعوا الصحابة إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه وقالوا: عضل والقارة، أي كغدر قبائل عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين⁴²¹، وعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل الظن، ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير: كان محمد ﷺ يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقال أوس بن قيطي يا رسول الله ﷺ: إن بيوتنا عورة من العدو فأذن لنا أن نخرج إلى دارنا فإنها خارج المدينة.

البلاء يشند على رسول الله ﷺ والمسلمين

فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار، ولما اشتد على المسلمين البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمنّ معهما عنه وعن أصحابه، وجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن عباد

419 - سعد بن معاذ هو سيد الأوس، وسعد بن عباد هو سيد الخزرج.

420 - لحناً أعرفه: أي يخالف ظاهر الكلام.

421 - مرسل: صحيح الإسناد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (492/3) وفي البداية والنهاية لابن كثير (104/4).

وسعد بن معاذ وذكر ذلك لهما واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله ﷺ أمرأ تُحبه فنصنعه أم شيئاً أمركَ الله به لا بُدُّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم⁴²² من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله ﷺ قد كُنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا وهم ضيوف أو بيعاً، أفعين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا وأعزنا بك وبه نُعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: "فأنت وذلك"، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا⁴²³.

واقترح مجموعة من فوارس المشركين الخندق منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب، وكان عمرو بن عبد ود قاتل مع المشركين يوم بدر حتى أثبتته الجراح فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً⁴²⁴ ووقف هو وخيله أمام المسلمين وقال مَنْ يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب وقال له: يا عمرو إني أدعوك إلى الله ورسوله ﷺ وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، قال عمرو: لم يا بن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك؟ فقال علي: والله إني أحب أن أقتلك، فحَمِي⁴²⁵ عمرو فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاوزا حتى ثار الغبار فقتله علي بن أبي طالب وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق.

إصابة سعد بن معاذ

422 - كالبوكم: اشتدوا عليكم.

423 - مرسل: عند البيهقي في دلائل النبوة (430/3).

424 - معلماً: جعل لنفسه علامة أو شعار، أي هذا أنا.

425 - فحَمِي: غضب.

وأصيب سعد بن معاذ عندما رماه أبوسامة الجُشمي بسهم قطع عرق في ذراعه، وجاء نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فَمُرِّي بما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت فينا رجل واحد فَخَذَلْ عنا، أي أدخل بين الأعداء حتى يخذل بعضهم بعضاً ولا يستمرون على حريتنا إن استطعت فإن الحرب خدعة⁴²⁶.

فذهب فقال يا بني قريظة: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، أنتم من أهل المدينة وهم ليسوا كذلك فإن انتصروا أخذوا ما فيها، وإن انهزموا تركوكم مع محمد ﷺ وأصحابه.

ثم ذهب حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه، إن يهود بني قريظة قالوا لرسول الله ﷺ: سوف نُحْضِرُ لك رجالاً من قريش وغطفان حتى تُضْرِبَ أعناقهم وبذلك نكون معك، ثم ذهب إلى غطفان وقال لهم ما قال لقريش.

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وأراد أبوسفيان إعلان الحرب على رسول الله ﷺ بعث عكرمة بن أبي جهل وسادة قريش وسادة غطفان إلى يهود بني قريظة، أن استعدوا فقالت بني قريظة: إن اليوم هو السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمد ﷺ حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدنا ثقة لنا، فإننا نخشى إن ضرسنكم⁴²⁷ الحرب واشتد عليكم البلاء أن تنشمرنا⁴²⁸ إلى بلادكم وتتركونا مع محمد ﷺ في بلدنا وبلده ولا طاقة لنا به.

فلما سمعت سادة غطفان وعكرمة بن أبي جهل بهذا الكلام أخبروا سادة قريش فقالوا: والله إن الذي حَدَّثَكُمْ به نعيم بن مسعود حَقٌّ فأرسلوا⁴²⁹ إلى بني قريظة: إنا

⁴²⁶ - صحيح: متواتر. أخرجه البخاري في صحيحه(3030) وعند مسلم في صحيحه(1362) وفي سنن الترمذي(1675) وسنن أبي داود(2636) وسنن ابن ماجه(2833) وفي مسند الإمام أحمد(1/18-90-113)(2/312-314).

⁴²⁷ - ضرسنكم الحرب: انكسرتم، انهزمتم.

⁴²⁸ - تنشمرنا: تفروا، تهربوا.

⁴²⁹ - فأرسلوا: أي قولوا.

والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال يا بني قريظة فاحرجوا فقاتلوا وحكمكم.

فلما سمعت بني قريظة هذا الخبر قالوا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن نقاتل معهم فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم راجعين وخلّوا بينكم وبين محمد ﷺ في بلدكم ولا طاقة لنا به.

الملائكة تنزل بأمر الله وتهزم الأحزاب

ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلهم⁴³⁰، وقالت الصحابة: هل من شيء نقوله؟ فقد بلغت القلوب الحناجر. قال: قولوا اللهم أسترعورتنا وآمن روعاتنا⁴³¹، فجاء النصر من عند الله تعالى وأرسل جنداً من الرياح على المشركين، فجعلت تقلب خيامهم ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتمها، ولا طنباً إلا قلعته ولا يقز لهم قرار، وذلك في ليالٍ شديدة البرد شاتية، وحنداً من الملائكة يزلزلون بهم ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس⁴³²، وبعد ذلك أرسل رسول الله ﷺ حذيفه بن اليمان حتى يأتيه بخبرهم فوجدهم قد تمسأوا للرحيل ورجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي البخاري عن سليمان بن صرد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الله الأحزاب: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم، وانتهت المعركة.

⁴³⁰ - الراوي: عبدالله بن أبي أوفى، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (4115).

⁴³¹ - الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: البزار، المصدر: الأحكام الشرعية الكبرى، الصفحة أو الرقم: (577/3).

⁴³² - الراوي: علي بن أبي طالب وابن مسعود، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم: (5887).

الله يأمرُ محمداً ﷺ بالمسير إلى بني قريظة

فلما أصبح رسول الله ﷺ وانصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة وضع المسلمون السلاح، وعندما جاء الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ معجزاً بعمامة⁴³³ من إستبرق⁴³⁴ على بغلة عليها رحالة⁴³⁵ عليها قطيفة من ديباج، فقال: أَوْقَدِ وَضَعْتَ السلاح يا رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن إلا بطلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد ﷺ بالمسير إلى بني قريظة فإني عامدٌ إليهم فمزلزل بهم.

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس: مَنْ كَانَ سَامِعاً مَطِيعاً فَلَا يُصَلِّينَ العصر إلا في بني قريظة⁴³⁶، وسار إليهم رسول الله ﷺ وجيشه ثلاثة آلاف مقاتل والخيل ثلاثون فرساً، ذلك يوم الأربعاء واستعمل على المدينة عبدالله ابن أم مكتوم، وحمل راية رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من القوم سمع مقالة فيبحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ، وقال لا عليك يا رسول الله ﷺ أن تدنوا من هؤلاء الأخابث، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أظنك سمعت منهم لي أذى، قال: نعم يا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً⁴³⁷.

ولما دنا رسول الله ﷺ منهم ومن حصونهم قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته، قالوا: يا أبا القاسم ﷺ ما كنت جهولاً⁴³⁸، ونزل رسول الله ﷺ على

433 - معجزاً بعمامة: أن يتعمم الرجل دون أن يضع العمامة تحت لحيته.

434 - إستبرق: ضرب من الديباج غليظ.

435 - رحالة: السرج.

436 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (4117-4119) وفي صحيح مسلم (1391) وعند البيهقي في دلائل النبوة (7/4).

437 - الراوي: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أو الرقم: (313).

438 - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه (34/3) وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الطبري في التفسير (95/21).

بئر من آبارهم من ناحية أموالهم، وتلاحق به الناس⁴³⁹ فأتى رجال منهم بعد العشاء، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: لا يُصلين أحد العصر إلا ببني قريظة، وصلوا العصر بعد العشاء فما عابهم الله في كتابه ولا عَنَمَهُم به رسول الله ﷺ⁴⁴⁰، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وكان حُيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم عرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال، إما الإسلام، وإما قتل نسائهم وأبنائهم ثم القتال حتى يموتوا، وإما تبييت النبي ﷺ وأصحابه ليلة السبت فإن المسلمين قد أمنوا منهم، فأبوا كل ذلك.

فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم أبا لبابة بن عبدالمندراًحاً بني عمرو بن عوف لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ.

فلما رآوه قام إليه الرجال والنساء والصبيان ليكون في وجهه فَرَقَ لهم، وقالوا يا أبا لبابة، أترى أن نزل على حكم محمد ﷺ؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقة إنه الذبح، قال أبولبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خُنْتُ الله ورسوله ﷺ ثم انطلق أبولبابة على وجهه ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ حتى ربط نفسه في عمود من أعمدة المسجد، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خُنْتُ الله ورسوله ﷺ فيه أبداً، ونزل قوله تعالى فيه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الأَنْفَالُ 27).

439 - وتلاحق به الناس: أي ما يزال الجيش يتوافد.

440 - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدرکه (34/3) وصححه ووافقه الذهبي، وعند البيهقي في دلائل النبوة (7/4).

فلما عَلِمَ رسول الله ﷺ به قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه⁴⁴¹، وبقي أبواباً مرتباً بالعمود⁴⁴² ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتخلُّه للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجدع، وبعد حين... جاء الفرج على أبي لبابة.

فقلت أم سلمة رضي الله عنها: قام رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، فقلت له: مما تضحك يا رسول الله ﷺ؟ قال: تيبَّ على أبي لبابة،⁴⁴³ قلت: أفلا أُبشِّرُهُ (وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب) قال: بلى إن شئت، فُقمْتُ على باب حُجْرَتِي وَقُلْتُ: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فَتَارَ المسلمون لِيُطْلِقُوهُ، فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده، فلما مرَّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه⁴⁴⁴ ونزل بتوبته قوله تعالى: (وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة 102).

سعد بن معاذ يحكم في بني قريظة

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، أي سيحكم رسول الله ﷺ في بني قريظة، فجاءت الأوس وقالوا: يا رسول الله ﷺ إنهم كانوا موالينا، فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك إلى سعد بن معاذ⁴⁴⁵ (سيد الأوس وكان أصابه سهم في غزوة الخندق) فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وضعوا له وسادة عليه من آدم،

441 - إسناده حسن: أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (97/21) والواحد في أسباب النزول (193).

442 - بالعمود: الجدع.

443 - الراوي: أم سلمة هند بنت أبي أمية، المحدث: السيوطي، المصدر: لباب النقول، الصفحة أوالرقم: (161).

444 - مرسل: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (17/4).

445 - لا بأس به: من طريق ابن إسحاق أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (97/21).

وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله ﷺ إنما وُلاكَ ذلك لثحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

فرجع بعض مَنْ كان معه إلى دار بني عبد الأشهل فَنَعُوا لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، فلما انتهوا إلى رسول الله ﷺ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى سيدكم⁴⁴⁶، فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ بهذه الأنصار، وأما الأنصار فيقولون: قد عمم بها رسول الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ قد وُلاكَ أمر مواليك لتحكم فيهم، قال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى مَنْ ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال وتُقسم الأموال وتُسبي الذراري والنساء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة⁴⁴⁷.

فَحَبَسَهُم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، وخرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، وهو سوقها إلى هذا اليوم فخذق بها خنادق، وأخرج المسلمون بني قريظة إرسالاً⁴⁴⁸ إلى الخنادق، ثم تُضرب أعناقهم في تلك الخنادق وهم ستمائة أو سبعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ إرسالاً: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال: أي كل موطن لا تعقلون، ألا ترون أنه مَنْ ذهب به منكم لا يرجع، هو والله القتل.

وهناك أوتى جُبي بن أخطب مضمومة يدها إلى عنقه، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لُمتُ نفسي في عداوتك، ولكنه مَنْ يَخْذِل الله يُخْذَل، ثم جلس

⁴⁴⁶ - الراوي: أبو سعيد الخدري، المحدث: السيوطي، المصدر: الجامع الصغير، الصفحة أوالرقم: (6164).

⁴⁴⁷ - صحيح الإسناد: مرسل هذا عند ابن إسحاق. وأصله في صحيح البخاري (3043) وفي صحيح مسلم (1388).

⁴⁴⁸ - إرسالاً: أي طائفة بعد طائفة، مجموعة.

فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَاءِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الَّتِي طَرَحَتْ الرِّحَا عَلَى خِلَادِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ فَقَتَلْتَهُ فَضْرِبَ عُنُقَهَا.

وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَهُمْ، قَسَمَ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سَهْمَانَ لِلخَيْلِ وَسَهْمَانَ لِلرِّجَالِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمْسَ، فَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ، لِلْفَرَسِ سَهْمَانٌ وَلِفَارِسِهِ سَهْمٌ، وَلِلرَّاجِلِ مَنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ بِسَبَايَا مِنْ سَبَايَا بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى نَجْدٍ فَابْتِئَاعَ لَهُمْ بِهَا خَيْلًا وَسِلَاحًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رِيحَانَةَ بِنْتَ عَمْرٍو بْنِ جَنَافَةَ⁴⁴⁹.

وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ تَتْرِكُنِي فِي مَلِكِكَ فَهُوَ أَحْفَى عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، فَتَرَكَهَا وَقَدْ تَعَصَّتْ بِالْإِسْلَامِ وَأَبَتْ إِلَّا الْيَهُودِيَّةَ، وَعَزَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَمِعَ وَقَعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لثَعْلَبَةٌ بِنْتُ سَعِيَةَ يُبْشِرُنِي بِإِسْلَامِ رِيحَانَةَ⁴⁵⁰.

فَجَاءَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَسْلَمَتْ رِيحَانَةُ فَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَا، وَنَزَلَتْ قِصَّةُ الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ كَامِلَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الأحزاب: 9).

449 - إحدى نساء بني عمرو بن قريظة.

450 - حسن: أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (103/2) وابن سعد في الطبقات الكبرى (131/8) والبيهقي في دلائل النبوة (24/4).

موت سعد بن معاذ

ولما انقضى شأن بني قريظة، انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم.

فجاء جبريل من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق فقال: يا محمد ﷺ من
هذا الميت الذي فُتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ فقام رسول الله ﷺ سريعاً
يجرُّ ثوبه إلى سعد فوجده قد مات⁴⁵¹.

أم سعد تودّع وتبكي ابنها

وحملوا نعشه فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادناً وما حملنا من جنازة
أخف منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن له حملةً غيركم، والذي نفسي
بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش⁴⁵²، وعندما حملوا نعشه إلى
مثواه صاحت أمه كبيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة وقالت تبكيه:

ويلُ أم سعد سعداً صرامةً وحداً
وسؤدداً ومجداً
فارساً مُعداً
سُدَّ به مسداً يُقَدُّ هاماً قدماً

وعندما دُفن سعد بن معاذ سبَّح رسول الله ﷺ فسبَّح المسلمون وكبَّر رسول الله ﷺ
فكَبَّر المسلمون فقالوا: يا رسول الله ﷺ ممَّ سبَّحت؟ قال: لقد تضايقت على هذا العبد
الصالح قبره حتى فرَّجه الله عنه⁴⁵³، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للقبر
لضمة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ⁴⁵⁴.

451 - صحيح: أخرجه متصلاً الحاكم في مستدرکه(206/2) وصححه الذهبي، وأخرجه البيهقي في
دلائل النبوة(29/4) وابن كثير في البداية والنهاية(127/4).

452 - صحيح: أخرجه الحكم في مستدرکه(207/3) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه، ووافقه الذهبي. وهو عند الترمذي في سننه(3849).

453 - إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده(360/3-377) وفي مجمع الزوائد للهيتمي(46/3)
وعزاه إلى الطبراني في الكبير.

454 - صحيح: أخرجه أحمد في مسنده(55/6) وأبو نعيم في الحلية(174/3) وصححه الألباني في
سلسلته الصحيحة(1675).

ولما انتهى أمر الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم⁴⁵⁵.

ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة، كان سلام بن أبي الحقيق هو الذي حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل غزوة أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأذن لهم (وكان هذان الحيان الأوس والخزرج يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي إذا فعل منهم شيء فعل الحي الآخر مثله مرضاةً لرسول الله ﷺ وهكذا).

الخزرج تقتل سلام بن أبي الحقيق

فلما قتلت الأوس كعب بن الأشرف، قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً عند رسول الله ﷺ، فذكروا الكافر سلام بن أبي الحقيق بخيبر، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر، عبدالله بن عتيك، مسعود بن سنان، وعبدالله بن أنيس، أبوقتادة الحارث بن دبعي، وخزاعي بن أسود وهو حليف لهم من أسلم.

وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبدالله بن عتيك ونهاهم عن قتل امرأة أو وليداً، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فاستأذنوا عليه⁴⁵⁶ فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، فقالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه، فلما دخلوا أغلقوا عليها وعليه الحجر حتى لا تكون مجاورة⁴⁵⁷ وابتدروه بالسيوف، فصاحت امرأته فرفع أحد الرجال سيفه عليها ليقتلها فتذكر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لولا ذلك لفرغنا منها بآل.

⁴⁵⁵ - الراوي: محمد بن إسحاق، المحدث: ابن كثير، المصدر: تفسير القرآن، الصفحة أوالرقم: (396/6).

⁴⁵⁶ - فاستأذنوا عليه: أي طرقتوا الباب.

⁴⁵⁷ - مجاورة: حركة بين الطرفين.

وتحامل عليه عبدالله بن أنيس أيضاً بسيفه حتى نفذ من ظهره، وخرجوا مسرعين وكان عبدالله بن عتيك سيء البصر، فوقع من الدرجة فوثقت⁴⁵⁸ يده ويقال رجله، فحملوه إلى خارج الحصن⁴⁵⁹ وهناك أوقد أهل هذا الكافر النيران وأخذوا يبحثوا عن القاتل بشدة.

فلما يسوا رجعوا إلى صاحبهم فقال المسلمون الخمسة: كيف لنا أن نعرف أن عدو الله قد مات؟ فقال رجل منهم: أنا أذهب فأنظر لكم، قال: فذهبت فوجدت امرأته وفي يدها مصباح وحوّلها اليهود وهي تقول: سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي أئى ابن عتيك بهذه البلاد؟

ثم قالوا: فآظ⁴⁶⁰ وإله يهود، قال: فما سمعت من كلمة ألد إلى نفسي منها، ثم رجعت إلى أصحابي الخمسة، فاحتملنا ابن عتيك حتى قدمنا رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفوا عند رسول الله ﷺ في قتله، الكل يدعي أنه القاتل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هاتوا أسيافكم، فنظر إليها فقال: لسيف عبدالله بن أنيس هذا الذي قتله، إني أرى فيه أثر الطعام.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

وبعد انصراف المشركين عن الخندق مع الأحزاب، جمع عمرو بن العاص قومه ومن يسمعه فقال: تعلموا والله إني أرى أمر محمد ﷺ يعلو الأمور علواً منكرًا، وإني رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد ﷺ على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ﷺ، وإن ظهر قومنا على محمد ﷺ فلن يأتينا منهم الا خيراً، قالوا: إن هذا لرأي قلت: فاجمعوا لنا ما نهد به له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الإدم⁴⁶¹ فجمعنا له إدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول

458 - فوثقت يده: أصاب عظمها شيء ليس بالكسر.

459 - خارج الحصن: مدخل ماء أو عين ماء.

460 - فآظ: أي مات.

461 - الإدم: الجلود.

اللَّهُ ﷺ قد بعثه في شأن جعفر وأصحابه، فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي لسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أن قد أجزأت⁴⁶² عنها بقتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو بن العاص: فدخلت على النجاشي، فسجدت له كما كنت أصنع، وأحضرت الهدايا وقربتها إليه فأعجبته ثم قلت: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

قال: فغضب ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت إنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً⁴⁶³ منه، ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت إنك تكره هذا ما سألتك؟ قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ قلت أيها الملك: أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أتعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق وليظهن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قال عمرو: أفتبايعني له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي⁴⁶⁴ وكتمت إسلامي.

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم⁴⁶⁵ وإن الرجل لنبي ﷺ، إني ذاهب حتى أسلم، قال عمرو: والله ما جئت إلا لأسلم، فقدمنا المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) حتى وصلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما

462 - أجزأت: قمت بمكاتها.

463 - فرقاً: أي خوفاً.

464 - حال رأيي: تغير رأيي.

465 - استقام المنسم: تبين الأمر وأصبح واضحاً.

تأخر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمرو بايع فإن الإسلام يُجِب ما كان قبله وإن الهجرة تُجِب⁴⁶⁶ ما كان قبلها، قال عمرو بن العاص: فبايعته ثم انصرفت⁴⁶⁷.

غزوة بني لحيان

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة بعد فتح بني قريظة بقية ذي الحجة ومحرم وصفر وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى في الشهر السادس من فتح بني قريظة في السنة السادسة للهجرة⁴⁶⁸ قاصداً إلى بني لحيان مطالباً بثأر عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي وأصحابهما المقتولين بالرجيع، وذلك أثر رجوعه عليه الصلاة والسلام من دومة الجندل، وأظهر إنه يريد الشام واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران وادٍ بين أمج وعسفان، وهي منازل بني لحيان حيث كان مصاب أصحابه الذين قُتلوا ببئر معونة فترحم عليهم ودعا لهم.

فسمعت به بنو لحيان فهربوا إلى رؤوس الجبال فلم يقدر على أحد منهم، ثم راح رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة قائلاً: آيئون تائبون إن شاء الله لرينا راجعون حامدون أعوذ بالله من وعناء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال⁴⁶⁹.

غزوة الغابة (وتعرف بـ غزوة قرد)

ووصل عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة فلم يُقَم بما إلا أيام قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لقاح⁴⁷⁰ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، وفيها رجل من بني غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة واستاقوا الإبل، وهم أربعون فارساً.

⁴⁶⁶ - تجب: أي تقطع.

⁴⁶⁷ - حسن: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (123/9) والحاكم في مستدركه (454/3) وحسنه الألباني إرواء الغليل (122/5) وفي مسند أحمد (198/4).

⁴⁶⁸ - أو الخامسة.

⁴⁶⁹ - الحديث أصله في صحيح البخاري (1897-2995-3084-4416-6385) وفي صحيح مسلم (428-429-980).

⁴⁷⁰ - لقاح: الإبل الحوامل ذوات اللبن.

فأول مَنْ عَلِمَ بهذا سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، وغدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحه بن عبيدالله معه فرس يقوده حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى خيولهم وصرخ: وا صباحا وأخذ يشند في آثار القوم ويرميهم بالنبل، فبلغ صباح ابن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق المقداد بن عمرو وعباد بن بشر الأشهلي وأسيد بن حضير، وعكاشة بن محصن وسعد بن زيد، ومحرز بن نضلة وأبوقنادة الحارث بن رعي، وعبيد بن زيد بن الصامت⁴⁷¹.

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم: الفرع الفرع، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر عليهم سعد بن زيد وقال: أخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم، قال أبو عياش: أنا أفرس الناس، ثم صرّبتُ الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني، فزعم رجال بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش إلى معاذ بن معاص أو عائذ بن معاص بن قيس بن خلدة.

وكان أول مَنْ لَحِقَ بالقوم الصحابي محرز بن نضلة الأخرم فعندما أدرك القوم قال: قفوا يا معشر اللكيعة⁴⁷² حتى يلحق بكم المهاجرون والأنصار، وقاتلهم فحمل عليه رجل منهم فقتله، واستعمل الرسول ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، ولحق بأصحابه وقتل أبو قتادة قاتل الصحابي محرز بن نضلة وقتل عكاشة أوباراً وابنه عمرو بن أوبار.

وسار الرسول ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد⁴⁷³ وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وليلة، ثم رجع إلى المدينة المنورة، فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه كل مائة رجل جزوراً، وأقبلت المرأة الغفارية على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما وصلت المدينة قالت: يا رسول الله ﷺ إني نذرتُ لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها.

471 - عبيد بن زيد بن الصامت: هو أبو عياش.

472 - اللكيعة: اللقيمة.

473 - وفي سيرة عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب - حتى وصل ماء يقال له ذو مزرد.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إنه لا نذر لأحد في معصية الله ولا فيما لا تملكين،⁴⁷⁴ وأخذ عليه الصلاة والسلام ناقته منها.

غزوة بني المصطلق (في المريسيع)

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بعضاً من جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة في شعبان سنة ست، واستعمل على المدينة أباذر الغفاري، ويقال نميلة بن عبدالله الليثي، فبلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار (أبوجويرية بنت الحارث زوجة رسول الله ﷺ).

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من قديد إلى الساحل، فتزاحف الجيشان واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ منهم ونَقِلَ⁴⁷⁵ رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، وقد قُتِلَ هشام بن صبابه بالخطأ قَتَلَهُ رجل من الأنصار.

وبينما رسول الله ﷺ والصحابة على ذلك الماء جاء عمر بن الخطاب وأجيزٌ له يقال له: جهجهاه بن مسعود، يقود فرسه فازدحم جهجهاه وسان بن وبرالجهي (حليف بني عوف بن الخزرج) على الماء، فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار، وصرخ جهجهاه يا معشر المهاجرين.

فغضب عبدالله بن أبي ابن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: أَوْقَدَ فعلوها (هو من سكان المدينة وكان قومه سيجعلونه سيد الأنصار) قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش⁴⁷⁶ هذه إلا كما قال سَمْنٌ كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَ الأعزُّ منها الأذل، ثم أقبل على قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير دياركم.

⁴⁷⁴ - الراوي: الحسن البصري، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أوالرقم: (153/4).

⁴⁷⁵ - نفل: الغنائم.

⁴⁷⁶ - جلابيب قريش: لقب أطلقه المشركون على أصحاب رسول الله في مكة.

فسمع ذلك (أي هذا الكلام) زيد بن أرقم، فمشى إلى رسول الله ﷺ بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من عدوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر بن الخطاب: مُر به عبّاد بن بشر فليقتله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه⁴⁷⁷ لا ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس.

وعندما علم عبدالله بن أبي ابن سلول أن زيد بن أرقم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحلف بالله ما قلت كما قال زيد، ولا تكلمت وكان عبدالله بن أبي ابن سلول شريفاً في قومه وعظيماً، وهناك قامت رجال من الأنصار من قومه إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله ﷺ عسى أن يكون هذا الغلام (زيد بن أرقم) قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال عبدالله بن أبي ابن سلول، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيته أسيد بن حضير، فحيّاه وقال له: يا نبي الله ﷺ لقد رحلت في ساعة منكراً ما كنت تروح⁴⁷⁸ فيها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال وأيّ صاحب يا رسول الله ﷺ؟ قال: عبدالله بن أبي، قال: وماذا قال؟ قال رسول الله ﷺ: زعم إنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل،⁴⁷⁹ قال أسيد بن حضير: فأنت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال: يا رسول الله ﷺ أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه سيّداً عليهم، وإنه رأى أنك قد استلبته ملكه، ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم

477 - الراوي: جابر بن عبدالله، الحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أوالرقم: (3315).

478 - تروح: ترحل.

479 - الراوي: جابر بن عبدالله، الحدث: الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أوالرقم: (3315).

حتى أمسى، والليل حتى الصباح، ومن الصباح حتى آذنتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً.

وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بما فُوِّقَ النقيع يقال لها بقعاء، فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم، هبَّت على الناس ريح شديدة آذنتهم وتخوفوها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوها فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار⁴⁸⁰، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد بن التأبوت أحد بني قينقاع قد مات في ذلك اليوم.

وجاء عبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله ﷺ إنه بلغني إنك تريد قتل عبدالله بن أبي⁴⁸¹ (هذا عندما قال عمر مُر به عباد بن بشر فليقتله) فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً، فأمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله ما علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل والدي عبدالله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً برجل كافر فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نتفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا⁴⁸².

وأصبح بعد ذلك عبدالله بن أبي إذا أحدث حدث⁴⁸³ كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف⁴⁸⁴ ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلتها، قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم من أمري.

وجاء من مكّة مقيس بن صبابه مسلماً إلى المدينة فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، جئتك مسلماً وجئتك أطلب دية في أخي هشام بن صبابه الذي قتل

480 - أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (61/4) وابن جرير الطبري في التفسير (75/28).

481 - والده.

482 - منقطع الإسناد: رواه البيهقي في دلائل النبوة (62/4) وابن جرير الطبري في

التفسير (76/28) وابن كثير في البداية والنهاية (185/4).

483 - أحدث حدث: عمل شيء سيء.

484 - لأرعدت له أنف: أي لغضب قومه.

بالخطأ في غزوة بني المصطلق، قد قتله أحد رجال الأنصار، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديّة أخيه هشام، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير، ثمّ عدا إلى قاتل أخيه فقتله، ثمّ خرج إلى مكّة مرتداً عن الإسلام.

وكان شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق (يا منصور أمت أمت)⁴⁸⁵ وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبياً كثيراً، فقامه بين المسلمين ووقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة جميلة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها.

قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يُخف عليك، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فحئتك أستعينك على كتابتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أفضي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله ﷺ قال: قد فعلت⁴⁸⁶.

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها، فلما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث، وكان بذات الجيش دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة⁴⁸⁷ وأمره بالاحتفاظ بها.

⁴⁸⁵ - الراوي: سنان بن وبرة، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم:

(145/6).

⁴⁸⁶ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: إرواء الغليل، الصفحة أو الرقم:

(37/5).

⁴⁸⁷ - وديعة: أمانة.

إسلام والد جويرية أم المؤمنين

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة، وأقبل أبو جويرية الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبتهما في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى النبي ﷺ وقال: يا محمد ﷺ أصبتم ابنتي وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا كذا.

فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ﷺ، فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث ومعه ابنان له وناس من قومه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بها ودفع الإبل إلى رسول الله ﷺ، ودفعت إليه ابنته جويرية فأسلمت وحسن إسلامها، فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها فزوجة إياها وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة درهم.

وأسلم بنو المصطلق فأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط يعلمهم ويحييهم⁴⁸⁸ فلما سمعوا به ركبوا إليه⁴⁸⁹ فلما سمع بهم هاجم ورجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن القوم قد هُموا بقتله ومنعوه من الزكاة⁴⁹⁰.

هناك أكثر المسلمون في ذكر غزوهم⁴⁹¹ حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم وبينما الرسول ﷺ والصحابة على هذا الحال، إذ قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ﷺ سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدي ما علينا من الصدقة، فانشمر راجعاً⁴⁹² فبلغنا⁴⁹³ إنه زعم لك يا رسول الله ﷺ: إنا خرجنا إليه لنقتله، ووالله ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى قوله:

488 - ويحييهم: أي يأخذ الزكاة منهم.

489 - ركبوا إليه: أي من أجل الاستقبال.

490 - الزكاة: الصدقة.

491 - ذكر غزوهم: أي يجب أن نغزوهم.

492 - فانشمر راجعاً: جد وأسرع في العودة هارباً.

493 - فبلغنا: أي علمنا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا
عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) وَعَلَّمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ
الْأَمْرِ لَعَبِئْتُمْ⁴⁹⁴ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) (الحجرات 6-7).

⁴⁹⁴ - صحيح: رواه أحمد في مسنده (279/4) وفي مجمع الزوائد للهيتمي (109/7) وعزاه إلى الطبراني في الكبير، وأحمد في المسند وقال: رجال أحمد ثقات أ.هـ .

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق

سنة ست هجري

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره حتى إذا كان قريباً من المدينة المنورة وكانت معه عائشة في سفره ذلك قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

قالت عائشة نفسها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها معه خرجت معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق⁴⁹⁵ ولم تأكل اللحم فيثقلن وكنت إذا رُحِل⁴⁹⁶ لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني، حيث يأخذوا بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة المنورة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل.

ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع⁴⁹⁷ ظفار⁴⁹⁸ فلما فرغت من حاجتي إنسل مني عقدي ولا أدري.

ولما رجعت إلى الرّحل⁴⁹⁹ ذهبت التمسّه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته⁵⁰⁰ حتى وجدته، وقد جاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته فأخذوا الهودج وهم يظنون

495 - العلق: طعام قليل.

496 - رحل: جهزوا بعيري.

497 - جزع: خرز.

498 - ظفار: اسم مدينة.

499 - الرّحل: الهودج أو الناقة.

500 - فالتمسته: بحثت عن العقد.

أني في داخله كما كنت أصنع، فاحتملوه فشُدوه على البعير ولم يشكوا أنني لست فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به.

عائشة وحيدة بعد رحيل الجيش

فرجعتُ إلى العسكر⁵⁰¹ وما فيه من داعٍ ولا مجيبٍ قد انطلق الناس⁵⁰² فتلففتُ بجلبائي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفتُ أن لو قد افتقدتُ لرجع إليّ، فوالله أني لمضطجعه إذ مرّ بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يلبث مع الناس⁵⁰³ فرأى سوادى فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب.

فلما رأني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متلففة في ثيابي ثم قال: ما خَلَّفِكَ يرحمك الله؟

قالت: فما كلمته ثم قرَّب البعير فقال: اركبي واستأخر عني فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت. ونزل الناس فلما اطمأنوا، طلع الرجل يقودني فقال أهل الإفك ما قالوا فارتج العسكر⁵⁰⁴ والله ما أعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة المنورة (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام).

فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ اشْتَكَيْتْ شَكْوَى شَدِيدَةً⁵⁰⁵ وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَبِيٍّ، وَلَا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ لَطْفِهِ مِنِّي.

501 - العسكر: المكان الذي بات فيه الرسول والجيش.

502 - انطلق الناس: أي غادروا المكان.

503 - فلم يلبث مع الناس: أي لم يغادر مع الجيش.

504 - فارتج العسكر: أي تحرك واضطرب.

505 - شكوى شديدة: أي مرضت.

عائشة تمرض بعد عودتها

حيث إنني إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل عليّ وعندني أمي تمرضني وهي أم رومان واسمها زينب بنت عبد دهمان قال: كيف تيكم؟⁵⁰⁶ لا يزيد على ذلك حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله ﷺ (حين رأيت ما رأيت من جفائه لي) لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني، قال: لا عليك، قالت: فانتقلت إلى أمي ولا أعلم بشيء مما كان، حتى نقهت⁵⁰⁷ من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

وكنا قوماً عَرَباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف⁵⁰⁸ التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرها إنما كنا نذهب في فصح المدينة، فكانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم خالة أبي بكر الصديق، قالت عائشة: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها⁵⁰⁹ فقالت: تَعَسَ⁵¹⁰ مسطح⁵¹¹ فقلت: بئس لعمرا لله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قلت: وما الخبر؟

الآن عَلِمْتُ عائشة خبر الإفك فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، وقلت: أو قد كان هذا؟ قالت: نعم، والله لقد كان، قالت عائشة: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع⁵¹² كبدي وقلت لأمي: يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً، قالت: أي

506 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة

أوالرقم: (4141).

507 - نقهت: شفيت.

508 - الكنف: المراحيض.

509 - مرطها: الكساء.

510 - تَعَسَ: معناها شقي أو أهلكه الله.

511 - مسطح: لقب واسمه عوف.

512 - سيصدع: يشققها.

بُنَيَّة حَفْضِي⁵¹³ عَلَيْكَ الشَّانُ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءَ عِنْدَ رَجُلٍ يَجِبُهَا، لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ وَكَثَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ وَلَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ.

فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونِي فِي أَهْلِي وَيَقُولُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْحَقِّ، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتَ عَلَيْهِمْ إِلَّا خَيْرًا، وَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَجُلٍ، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ بَيْوتِي إِلَّا وَهُوَ مَعِي⁵¹⁴.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْدَةَ سَلُولَ مَشَى فِي الْخَبْرِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَمَشَى فِي الْخَبْرِ مَسْطَحًا وَحَمْنَةً بِنْتُ جَحْشٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أُخْتَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّتِي قَالَتْ لَمْ تَكُنْ مِنْ نِسَائِهِ امْرَأَةً تَنَاصِيئِي⁵¹⁵ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ غَيْرَهَا.

وَتَقُولُ عَائِشَةُ: أَمَا زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَعَصَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِدِينِهَا فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَا أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فَأَشَاعَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشَاعَتْ تُضَادُّنِي لِأُخْتِهَا فَشَقِيتُ بِذَلِكَ.

وَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، قَالَ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَوْسِ نَكْفَكْهُمْ وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لِأَهْلٌ أَنْ تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لِعَمْرٍ بِاللَّهِ لَا نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ مَا قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَّا إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ إِنَّهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هَذَا؟ فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ: كَذَبْتَ لِعَمْرٍ بِاللَّهِ وَلَكِنَّكَ مَنَافِقٌ تَجَادِلُ عَنِ الْمَنَافِقِينَ، وَتَتَأَوَّرُ⁵¹⁶ النَّاسَ حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَرًّا.

⁵¹³ - حَفْضِي: هُوَ بِنِي عَلَيْكَ الْأَمْرُ وَلَا تَرِيهِ صَعْبًا شَاقًّا.

⁵¹⁴ - الرَّوَيْ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الْمَحْدُثُ: الْأَلْبَانِيُّ، الْمَصْدَرُ: فَهْهُ السِّيْرَةُ، الصَّفْحَةُ أَوَالرَّقْمُ:

(288).

⁵¹⁵ - تَنَاصِيئِي: تَنَازَعِي الرِّبَّةِ وَالْمَنْزِلَةِ مِنْ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⁵¹⁶ - تَتَأَوَّرُ: تَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَقَامَ بَعْضُهُمْ نَحْوَ بَعْضٍ.

بريرة تدافع عن عائشة

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ودخل على عائشة فدعا علي بن أبي طالب وأسامه بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة بن زيد فأثنى على عائشة خيراً، وقال: يا رسول الله ﷺ أهلك ولا نعلم إلا خيراً، ولا تعلم منهم إلا خيراً، وهذا هو الكذب والباطل، وأما علي بن أبي طالب، فقال: يا رسول الله ﷺ إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل⁵¹⁷ الجارية فإنها ستُصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها، قالت عائشة: فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً ويقول: أصدقني رسول الله ﷺ! فقالت بريرة: والله ما أعلم إلا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً، إلا إني كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة، وتقول: عندي أبوي وعندني امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقي الله، فإن كنت قارفت سوءاً⁵¹⁸ مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده⁵¹⁹.

قالت: فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك حتى قَلَصَ⁵²⁰ دمعِي حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجييا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما، قالت: وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأناً من أن يُنزل الله في قرآناً يقرأ به في المساجد ويُصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يُكذِّبُ به الله الذين افتروا عليّ، لِمَا يَعْلَمُ من براءتي أو يُخبر خيراً، فأما قرآن ينزل في فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك.

517 - وسل: أي اسأل.

518 - قارفت سوءاً: أي أتيت ذنباً.

519 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم:

(288).

520 - قلص: ارتفع.

قالت عائشة: فلما رأيت أبوي لا يتكلمان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه؟ قالت: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام؟ ولما استعجما علي⁵²¹ استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب الى مما ذكرت أبداً، والله إني أعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم إني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولكن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوني، ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

براءة عائشة من عند الله تعالى

ثم قالت فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسحج بثوبه، ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه. فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرعت ولا باليت، قد عرفت إني منه بريئة وأن الله عز وجل غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

قالت: ثم سري عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتخدر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: "أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك" فقلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك.

ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم⁵²².

521 - استعجما علي: تركوها، انصرفوا.

522 - صحيح: عند البخاري في صحيحه(4141)(4750) ومسلم في صحيحه(2129) وفي سنن الترمذي(3180).

أبويوب يدافع عن عائشة

كما أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال بلي وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك، ونزل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النور 11) وذلك في حسّان بن ثابت وأصحابه ويقال: ذلك عبدالله بن أبي وأصحابه، ثم قوله تعالى: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) (النور 12) أي فقالوا: كما قال أبويوب وصاحبه، ثم قوله تعالى: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) (النور 15) فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبوبكر وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بشفاعة أبداً بعد الذي قال لعائشة وأدخل علينا، فنزل قوله تعالى: (وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُو الْفُضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور 22) فقال أبوبكر الصديق: بلي إني والله لأحب أن يغفر الله لي، فَرَجَعَ إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

وكان حسّان بن ثابت يقول شعراً يقدح فيه صفوان بن المعطل⁵²³ ويمرّ أسلم من العرب من مضر، فاعترض صفوان حسّان بن ثابت بالسيف فضربه فوثب على صفوان بن المعطل ثابت بن قيس بن الشّمس، وجمع يديه إلى عنقه ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبدالله بن رواحة فقال ما هذا؟ قال ثابت بن قيس: أما أعجبك! ضرب حسّان بن ثابت بالسيف والله ما أراه إلا قتله، قال له عبدالله بن

⁵²³ - صفوان هو الذي أتهم بعائشة.

رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: ثابت لا والله، قال عبدالله: لقد اجترأت أطلِّق الرجل فأطلِّقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فدعا رسول الله ﷺ حسّان وصفوان. فقال صفوان بن المعطل: يا رسول الله ﷺ أذاني وهجاني فاحتملني الغضب فضربته.

فقال رسول الله ﷺ لحسّان: يا حسّان أتشوّهت على قومك أن هداهم الله للأسلام؟ ثم قال: أحسين يا حسّان في الذي أصابك، قال حسّان: هي لك يا رسول الله ﷺ.⁵²⁴

وأعطى رسول الله ﷺ لحسّان بيرحاء وهي قصر بني حديلة بالمدينة اليوم، عوضاً عن ضرب صفوان أياه، وكانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدّق بما على آل رسول الله ﷺ، وأعطاه سيرين⁵²⁵ فولدت له عبدالرحمن بن حسّان. وكانت عائشة تقول: لقد سُئِلَ عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيداً⁵²⁶.

صُلح الحديبية

الحديبية: وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة مرحلة واحدة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، ويقال إن بعضها من الحِلِّ وبعضها من الحرم، وسمّيت بذلك لبئر فيها يسمى الحديبية.

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً، واستعمل على المدينة أمية بن عبدالله الليثي، واستنفر العرب من حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه، وكان يخشى من قريش أن يصدوه عن البيت

⁵²⁴ - صحيح: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (74/4) وابن جرير الطبري في التاريخ (115/2) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (163/4).

⁵²⁵ - سيرين: أمة قبطية.

⁵²⁶ - إسناده ضعيف: عند ابن جرير الطبري في التاريخ (115/2) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (163/4).

الحرام، وقد ساق الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس إنه خرج زائراً لهذا البيت معظماً له.

فسار رسول الله ﷺ وبمن معه من المهاجرين والأنصار، وكان الناس يومئذ سبعمائة رجل وسبعين بدنة، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال بشر: يا رسول الله ﷺ هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ والمطافيل⁵²⁷ قد ليسوا جلود النمرور⁵²⁸ وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ويح قريش لقد أكلتكم⁵²⁹ الحرب، ماذا عليهم لو خللوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة⁵³⁰ ثم قال: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم فيها؟ فقال رجل من المسلمين: أنا يا رسول الله ﷺ، فسلك بهم طريقاً وعرّاً أجزل⁵³¹ ولما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين، أفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: قولوا نستغفر الله ونتوب إليه⁵³²، فقالوا ذلك، وأمر رسول الله ﷺ بذات اليمين بين ظهري الحمض⁵³³ في طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة.

527 - العوذ والمطافيل: التي لم تلد والتي لها طفل.

528 - جلود النمرور: أي تنمروا عليك.

529 - أكلتكم: أهلكتهم.

530 - الراوي: - المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم: (324) والسالفة: صفحة العنق.

531 - أجزل: كثير الحجارة.

532 - أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (117/2) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (165/4) فيه انقطاع.

533 - ظهري الحمض: اسم مكان.

فسلك الجيش تلك الطريق ولما رأت خيل قريش قفرة⁵³⁴ جيش المسلمين قد خالفوا عن طريقهم رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المزار بركت ناقته القصواء.

فقال الناس خلأت⁵³⁵ الناقة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ما خلأت وما هو لها مخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها، ثم قال للناس: أنزلوا، فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالوادي ماء نزل عليه، فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه لرجل من أصحابه فنزل به في القلب⁵³⁶ فغرز في جوفه فجاش بالروء⁵³⁷ حتى ضرب الناس عنه بطن⁵³⁸.

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاه بُديل بن ورقاء الخزاعي في رجال من خزاعة فكلموه وسألوه ما الذي جاء بك؟ فأخبرهم عليه الصلاة والسلام إنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً ومعظماً للبيت، ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش وقالوا: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ﷺ، إن محمد ﷺ لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فاتهموهم وجبهوهم⁵³⁹ وقالوا: فوالله لا يدخلها علينا عنوة، ثم إنهم أي قريش بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زيان، وكان يومئذ سيد الأحابيش وهم الذين حالفوا قريشاً من القبائل ودخلوا في عهدها.

534 - قفرة: غبار.

535 - خلأت: بركت.

536 - القلب: البئر.

537 - فجاش بالروء: أي ارتفعت الماء.

538 - صحيح: عند البخاري في صحيحه بنحوه (2732) وفي سنن أبي داود (2765) ومسنده

أحمد (323/4). يعطن: مبرك الحمل، الإبل.

539 - فاتهموهم وجبهوهم: أي خاطبوهم بما يكرهون.

قريش تبعث الحليس لمفاوضة رسول الله ﷺ

فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون⁵⁴⁰ فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه⁵⁴¹، فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلاته⁵⁴² وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله⁵⁴³، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظماً لما رأى، وقال لهم ذلك.

فقالوا له: اجلس فأنت إعرابي لا علم لك فغضب الحليس، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم أئصد عن بيت الله من جاء معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتُخلن بين محمد ﷺ وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا: مه كُف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

أبوبكر والمغيرة يدافعوا عن رسول الله ﷺ

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة ابن مسعود الثقفي، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد ﷺ قد أجمعت أوشاب⁵⁴⁴ الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها⁵⁴⁵ بهم، وإن قريشاً قد خرجت ومعها العود والمطافيل قد لبسوا جلود النمرور يعاهدون الله لا تدخلها عنوة أبداً⁵⁴⁶ وأيم الله بمؤلاء أي أصحاب رسول الله ﷺ قد انكشفوا عنك⁵⁴⁷ غداً.

فقال أبوبكر الصديق: أمصص بظر اللات، أنحن ننكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عروة: من هذا يا رسول الله ﷺ؟ قال: هذا ابن أبي قحافة، قال

540 - يتألهون: يتعبدون.

541 - انظر عند ابن كثير في البداية والنهاية (4/166).

542 - قلاته: ما يعلق في أعناق الهدي ليعلم أنه للذبح.

543 - محله: موضعه الذي ينحر فيه، وفي الكتاب العزيز (حتى يبلغ الهدي محله).

544 - أوشاب: الأخلاط.

545 - بيضتك لتفضها: إلى أهلك وعشيرتك ثم تكسرها.

546 - عنوة أبداً: أي فهاً.

547 - انكشفوا عنك: انخزموا وتركوك لعدوك وحيداً.

عروة: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها، وأخذ يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقرع يده بالحديد إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول: أكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ، فقال عروة: ويحك ما أفضنك وأغلظك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عروة من هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، قال عروة: وأي غدر؟ وهل غسلت سواتك إلا بالأمس؟ (حيث أن المغيرة كان في الجاهلية صاحب قوماً فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم أسلم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل منه، أما المال فلست منه بشيء⁵⁴⁸).

قال ابن هشام: إن المغيرة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف فبعث الدية وأصلح على ذلك.

فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة ابن مسعود الثقفي: إنه لم يأت يريد حرباً فقام عروة وقد رأى ما يصنع الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى قريش وقال: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد ﷺ في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، والله ما تنحى رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في يد رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون النظر إليه تعظيماً له.

رسول الله ﷺ يبعث عثمان إلى قريش

وأراد رسول الله ﷺ أن يبعث عمر بن الخطاب إلى أشرف قريش في مكة ليبلغهم بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله صلى الله

⁵⁴⁸ - الراوي: المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (2731).

عليه وسلم إني أخاف قريش على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحدٌ
يمنعني وقد عرّفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها
مني هذا عثمان بن عفان.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش
يخبرهم إنهم لم يأتوا للحرب، فخرج عثمان بن عفان، فلقية أبا بن سعيد بن العاص
حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فأجاره حتى يُبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فقالوا
لعثمان بن عفان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم.
إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ثم احتبسته قريش عندها، فوصل الخبر إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن عثمان بن عفان قد قُتل.

بيعة الرضوان

فلما بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان قد قُتل قال: لا نبرح حتى نناجز
القوم⁵⁴⁹، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة.

فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت، وكان
جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت، ولكن
بايعنا على أن لا نفر⁵⁵⁰ ثم جاء الخبر إن الذي ذكر من أمر عثمان لباطل.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت
الشجرة⁵⁵¹.

⁵⁴⁹ - الراوي: عبدالله بن أبي بكر بن حزم، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أوالرقم:
(329).

⁵⁵⁰ - صحيح: رواه مسلم في صحيحه (1483) وفي سنن الترمذي (1594) وسنن
النسائي (4169) وعند الدارمي في مسنده (2454).

⁵⁵¹ - الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح أبي داود، الصفحة أوالرقم:
(4653).

أمر الهدنة

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه، ولا يكن في صلحهم إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل⁵⁵².

وعندما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر الصديق، فقال: أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدينية⁵⁵³ في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر إزم غرز⁵⁵⁴ فإني أشهد إنه رسول الله ﷺ، قال عمر: وأنا أشهد إنه رسول الله ﷺ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ﷺ ألسنت برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدينية في ديننا، قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمر الله ولن يضيعني⁵⁵⁵.

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فقال له: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن أكتب بإسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو، قال سهيل: لو شهدت إنك رسول الله ﷺ لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمك واسم أهلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين من أتى محمداً ﷺ من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمداً ﷺ لم يردوه عليه، وإن بيننا

552 - الراوي: مروان بن الحكم ومسعود بن مخزومة، المحدث: البيهقي، المصدر: السنن الكبرى للبيهقي، الصفحة أوالرقم: (221/9).

553 - الدينية: الذل، الصغار من الأمر.

554 - غرزه: لا تحد عن طريقه.

555 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (3182) ومسلم في صحيحه (1411-1412) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

عبيّة مكفوفة⁵⁵⁶ ولا إسلال ولا إغلال⁵⁵⁷ وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتوثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد ﷺ وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكّة، وإنه إذا كان العام القابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب والسيوف في القرب لا تدخلها بغيرها.

رسول الله ﷺ يأمر أبا جندل بالصبر

وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرشف⁵⁵⁸ في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام إليه وضرب وجهه وأخذ بتلابيه، ثم قال سهيل: يا محمد ﷺ قد جئت القضية⁵⁵⁹ بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت.

فأخذ سهيل ينتره بتلابيه⁵⁶⁰ ويجره ليرده إلى قريش، وأبي جندل بن سهيل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أُرِّدْ إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهداً وإناً لا نغدرُ بهم، فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جانبه وهو يقول: اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويؤدني قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه لكن ضنَّ⁵⁶¹ الرجل بأبيه.

556 - عبيّة مكفوفة: تكف عنا ونكف عنك.

557 - إسلال وإغلال: لا سرقة خفية ولا خيانة.

558 - يرشف: يمشي مشي المقيد.

559 - جئت القضية: انعقدت وانتهى أمرها.

560 - ينتره بتلابيه: يجذبه جذباً شديداً عنيفاً.

561 - ضنَّ: لم يقتل.

رسول الله ﷺ يأمر الصحابة بالنحر والتحليق

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له أم سلمة: يا نبي الله أُنحِبُ ذلك أُخْرِج، ثم لا تكلم أحداً حتى تنحر بدنك⁵⁶² وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمماً⁵⁶³، ثم هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مسلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج أخوها عمارة والوليد أبناء عقبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها بالعهد إليهم، فلم يفعل رسول الله ﷺ ثم جاءت نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَأَسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (المتحنة 10) وطلق عمر يؤمئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية.

رسول الله ﷺ يدعو للمحلقين

وكان رجال الحديبية منهم حلق ومنهم قصر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يرحم الله المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والمقصرين⁵⁶⁴ ثم

562 - بدنك: الشاة.

563 - الراوي: المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، المحدث: البيهقي، المصدر: دلائل النبوة، الصفحة أوالرقم: (99/4).

564 - إسناده حسن: عند الإمام أحمد في مسنده (353/1) وابن ماجه في سننه (3045) ومسلم في صحيحه (945) والترمذي في سننه (913).

انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة المنورة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح، (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2)) (الفتح 1-2).

وعندما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال له مَنْ كان معه: ألم تقل يا رسول الله ﷺ أنك تدخل مكة آمناً؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى، أفقلت لكم من عامي هذا؟ قالوا: لا، قال: فهو كما قال لي جبريل عليه السلام.

وقدم من مكة أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية إلى رسول الله ﷺ وكان ممن حُبِسَ بمكة، فأرسلت قريش في طلبه رجلين فقالوا للرسول ﷺ: العهد الذي جعلته لنا، فدفعه الرسول ﷺ إلى الرجلين فخرجا حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: أرى سيفك يا فلان جيداً دعني أنظر إليه فامكنه منه، فضربه حتى قتله وفر الآخر حتى أتى المدينة ودخل المسجد يعدو.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً،⁵⁶⁵ فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قَتَلَ أَبُو بصير صاحبي، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله ﷺ قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أبحاني الله منهم. فقال رسول الله ﷺ: ويل أمه مخش حرب لو كان معه رجال⁵⁶⁶، فخرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش التي كانوا يسلكونها إلى الشام، وتقلت⁵⁶⁷ أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فلحق بأبي بصير فجعل لا يخرج أحداً من قريش مسلماً إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمع عنده سبعين رجلاً، فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعتراضوها فقتلوا مَنْ فيها وأخذوا الأموال، فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها فأواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة المنورة.

⁵⁶⁵ - الراوي: المسور بن مخزوم ومروان بن الحكم، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري،

الصفحة أو الرقم: (2731).

⁵⁶⁶ - صحيح: أصله عند البخاري في صحيحه (391) وهو عند البيهقي في سننه (227/9)

والطبري في التاريخ (125/2).

ومعنى الحديث: أي يوقد الحرب ويشعلها.

⁵⁶⁷ - تقلت: أي فر.

غزوة خيبر

وأقام رسول الله ﷺ حين رجع المدينة المنورة فيها ذا الحجة وبعض المحرم وولى تلك الحجة إلى المشركين، ثم خرج إلى خيبر في بقية شهر محرم، واستعمل على المدينة مُبيلة بن عبدالله الليثي وخرج معه ألف وأربعمائة رجلاً ومائتا فرس ومعه امرأته أم سلمة، وأمر ألا يخرج معه إلا مَنْ رغب في الجهاد⁵⁶⁸.

ومشى الجيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتجاه خيبر، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة تمشي ثلاثة أيام باتجاه الشمال، وأثناء المسير قال رسول الله ﷺ لعامر بن الأكوع: انزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من هناتك، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بغوا علينا
وإن أرادوا فتنةً أبينا
فأنزل سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

عمر بن الخطاب يؤكد كلام رسول الله ﷺ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحمك الله⁵⁶⁹، فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله ﷺ لو امتنعنا به، لأنه كان معلوماً عندهم إنه ما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد فاستشهد في هذه المعركة، حيث إن سيفه رجع عليه وهو يقاتل فكلمه كلما⁵⁷⁰ شديداً فمات منه، حتى أن المسلمين قد شكوا فيه وقالوا: إنما قتله سلاحه وحبط عمله.

568 - وفي سيرة عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أنه استعمل على المدينة سبع بن عرفة الغفاري.

569 - الراوي: دهر الأسلمي، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم:

(151/6).

570 - فكلمه كلما: جرحاً بليغاً.

وهذا الأمر الذي أبكى ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وماذا يقول المسلمون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه لشهيد" وصلى عليه فصلى عليه المسلمون⁵⁷¹.

وبعد أن خرج الجيش من المدينة سلك على عَصْرٍ فُبني للرسول ﷺ فيها مسجداً، ثم على الصهباء، ثم أقبل الرسول ﷺ بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع، فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان حتى لا يمدوا أهل خيبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا مظاهرين⁵⁷² لأهل خيبر.

جيش غطفان يزحف لمساعدة أهل خيبر

فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واقترابه من خيبر جمعوا له⁵⁷³ ثم خرجوا ليظاهروا⁵⁷⁴ اليهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة⁵⁷⁵ سمعوا خلفهم حساً ولفظاً⁵⁷⁶ فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قد أغاروا على أهاليهم وأموالهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا⁵⁷⁷ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل خيبر.

هناك تحرك جيش المسلمين باتجاه خيبر قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي بن أبي طالب تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان رمداً⁵⁷⁸ فلحق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطينَ الرايةَ غداً، أو ليأخذنَ

571 - صحيح: عند البخاري في صحيحه (4196) وفي مسند الإمام أحمد (3/431) وسنن البيهقي الكبرى (16/4).

572 - مظاهرين: معاونين.

573 - جمعوا له: تجهزوا للحرب.

574 - ليظاهروا: ليساعدوا.

575 - منقلة: مرحلة، مسافة.

576 - حساً ولفظاً: أصوات في ديارهم.

577 - خلوا: تركوا.

578 - رمداً: أي المرض في عينه.

الرايه غداً، رجلٌ يُحِبُّهُ اللهُ ورسوله يفتحُ اللهُ عليه⁵⁷⁹، فبات الجيش ليلتهم يفكرون أيهم يعطاها.

فلما أصبحوا كلُّهم يرجوا أن يعطاها، قال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: يا رسول الله ﷺ هو يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأتى فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الرايه، فقال علي: يا رسول الله ﷺ أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: أنفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم⁵⁸⁰.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُعزَّ حتى يُصبح فإن سمع آذاناً أمسك وإن لم يسمع آذاناً أغار.

رسول الله ﷺ يدخل ويقتحم خيبر

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش خيبر ليلاً حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش الصبح، ركب وركب الجيش ودخلوا خيبر، وقد خرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم⁵⁸¹ ولا يشعرون بل خرجوا لأرضهم، وقيل أن النوم غلب عليهم تلك الليلة فلم يبق منهم أحد حتى أن الديكة لم تُصيح، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد ﷺ والله محمد ﷺ والخميس يعني أقسام الجيش ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين⁵⁸²، ودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر وأشرف

⁵⁷⁹ - الراوي: سلمة بن الأكوع، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (4209).

⁵⁸⁰ - الراوي: سهل بن سعد الساعدي، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (4210).

⁵⁸¹ - مساحيهم ومكاتلهم: أي خرجوا من أجل العمل بالفأس والقفة.

⁵⁸² - الحديث صحيح: وإسناده هنا مقطوع. أخرجه البخاري في صحيحه (610) بنحوه، وأخرجه أيضاً (947)، وفي صحيح مسلم (1043-1044) وعند الترمذي في سننه (1550) والنسائي في سننه (546).

عليها، ثم قال: قفوا فوقف الجيش فقال: اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقلن، ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها ونعوذ بك من شر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله⁵⁸³.

أهل خيبر تخرج للحرب وبدأت المعركة وخرج أهل خيبر للحرب وقاتل النبي ﷺ أهل خيبر، وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر، ولما تيقن النبي ﷺ أن اليهود ما زالت تحارب بقوة وعظ أصحابه وحرصهم على الجهاد ورجبهم في الثواب وبشر من صبر فله الظفر والغنيمة، حتى فتحها الله عليه حصناً حصناً، فكان أول حصونهم أفتتح حصن ناعم، وعنده قُتِل محمود بن مسلمة، ثم حصن القموص⁵⁸⁴ وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا منهم - صفية بنت حيي بن أخطب - فأصطفاها لنفسه وفشت السبايا من خيبر في المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: لا يجل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره⁵⁸⁵ من السبايا حتى يستبرئها، ولا يجل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السي حتى يستبرئها، ولا يجل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يُقسَم، ولا يجل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين، حتى إذا أعجفها ردّها فيه، ولا يجل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه⁵⁸⁶، ثم أخذ رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال حتى انتهى إلى حصني - حصن الوطيح وحصن السّلام، وكانا آخر حصون خيبر افتتاحاً، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة، وكان شعار أصحاب

583 - صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرک(446/1) وقال: صحيح. ووافقه الذهبي، وفي صحيح

ابن خزيمة(2565).

584 - حصن القموص: هو حصن بن أبي الحقيق.

585 - إتيان الحبالى.

586 - حديث حسن: أخرجه أحمد في مسنده(108/4) وفي سنن أبي داود(2158) والسنن

الكبرى للبيهقي(449/7).

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر يا منصور أمت أمت وخرج من الحصن
مرحب اليهودي قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول:

قد علمت خيبر إني مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تجرب
فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب مُفَرِّج الغمَّ جريُّ صلب
إذ شُبِّت الحرب تلتها الحربُ معي حسام كالعقيق عضبُ

فقال رسول الله ﷺ: مَنْ لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله ﷺ، أنا والله
الموتور الثأر، قُتِل أخي بالأمس فقال: فقم إليه، اللهم أعنه عليه⁵⁸⁷، ودنا بعضهم من
بعض حتى دخلت شجرة عمرية⁵⁸⁸ بينهم فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ
بها اقتطع صاحبه بسيفه جزء منها حتى برز كل واحد لصاحبه فَضْرَبَ مرحب محمد
بن مسلمة فأتقاه بدرقة فوق سيف مرحب اليهودي فضربه محمد بن مسلمة فقتله.

صَفِيَّةٌ تَخْشَى الْمَوْتَ عَلَى ابْنِهَا

ثم خرج أخو مرحب ياسر اليهودي قائلاً: مَنْ يبارز فخرج إليه الزبير بن العوام،
فقال أمه صفية بنت عبدالمطلب: يقتلُ ابني يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
بل ابنك يقتله إن شاء الله، فخرجاً فالتقيا فقتله الزبير⁵⁸⁹.

قال أبوإبراهيم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: خرجنا مع علي بن أبي طالب
حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهل الحصن فقاتلهم
فضربه رجل يهودي طرح ترس علي من يده، فتناول علي بن أبي طالب باباً كان عند
الحصن، فترس به نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من
يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك
الباب فما نقلبه.

587 - عند مسلم في صحيحه(1441) وفي مستدرک الحاكم(437/3).

588 - شجرة عمرية: قديمة طويلة.

589 - إسناده ضعيف هنا: وعند البيهقي في السنن الكبرى(131/9).

رسول الله ﷺ يتزوج صفية بنت حيي

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن القموص حصن بني أبي الحقيق، أمر بلال أن يذهب بصفيّة ابنة حيي ابن أخطب إلى رحله، فمر بها بلال على وسط القتلى، فكّر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنزعت الرحمة منك يا بلال؟ كما زوي.

وعرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام فأسلمت واصطفها لنفسه، وكانت صفية قد رأت في المنام (عندما كانت عروس بكنانة بن الربيع) أن قمرًا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدًا ﷺ، فلطم وجهها لطمًا خضّر عينها منها، وعندما تزوجها رسول الله ﷺ وبها أثر منه سأها ما هو، فأخبرته هذا الخبر⁵⁹⁰ ثم أتى بكنانة بن الربيع إلى رسول الله ﷺ وكان عنده كنز بني النضير، فسأله الرسول ﷺ عن الكنز فوجد⁵⁹¹ أن يكون يعرف مكانه.

فجاء رجل يهودي فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني رأيت كنانة بن الربيع يدخل بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرايت إن وجدناه عندك أقتلك؟ قال: نعم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحُفرت فأخرج منها بعض الكنز، ثم سأله النبي ﷺ عما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم الوطيح + والسلا لم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يُسيّرهم⁵⁹² وأن يحقن لهم دماءهم ففعل، وكان رسول الله صلى الله

590 - إسناده حسن: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (152/6) وعزاه إلى الطبراني مرسلًا وحسنه.

591 - فجحد: أنكر.

592 - سيّرهم: أي ينفيهم.

عليه وسلم قد حاز الأموال كلها من الشق + ونطاة + والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذئب الحصنين.

فلما سمع بهم أهل فذك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يُسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل، وكانت فذك خالصة لرسول الله ﷺ لإيهم لم يُجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

عظم الشاة يخبر رسول الله ﷺ إنه مسموم

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية⁵⁹³ وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع، فأكثر في السم، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مُضغَةً لم يُسغها⁵⁹⁴ ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما بشر فأسأغها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا العظم ليُخبرني إنه مسموم⁵⁹⁵.

ثم دعا بها فاعترفت فقال: ما حملك على هذا؟ قالت: بلَغْتُ من قومي ما لم يُخْفَ عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه وإن كان نبياً فسُيخبر، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه عندما دخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور: يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أجهري(عرق) إذا انقطع مات صاحبه وهما أجهران يخرجان من القلب ثم تتشعب منها

593 - مصلية: مشوية.

594 - لم يسغها: لم يبلعها.

595 - الراوي - المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أو الرقم: (347).

سائر الشرايين) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير⁵⁹⁶، قال: فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة. وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير، وأراد الانصراف فمشى خارجاً منها إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة وفي بعض الطريق أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حبي، فبات بها في قبة له، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش، فلما أقبل الليل قال رسول الله ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجْرَ لَعَلْنَا نَنَامُ؟ قَالَ بِلَالٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْفَظُهُ عَلَيْكَ، فَنَزَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ الْجَيْشُ فَنَامُوا، وَقَامَ بِلَالٌ يَصَلِّي، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصَلِّي، ثُمَّ اسْتَنَّ عَلَى بَعِيرِهِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَنَامَ، فَلَمْ يَوْقِظْهُمْ إِلَّا مَسَ الشَّمْسُ.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، قال: صدقت ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير وتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلال فأقام الصلاة فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها فإن الله تبارك وتعالى قال: أقم الصلاة لذكري⁵⁹⁷.

إسلام الأسود واستشهاده

ومن حديث ابن إسحق: جاء الأسود الراعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم وهو أجير عند رجل يهودي. فقال: يا رسول الله ﷺ أعرض عليّ الإسلام، فعرضه عليه فأسلم، ثم قال: وهذه الغنم يا رسول الله ﷺ هي أمانة عندي كيف أصنع بها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال!

⁵⁹⁶ - صحيح: بشواهد عند الحاكم في مستدرکه (219/3) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وعند الإمام أحمد في مسنده (18/6) وفي سنن أبي داود (4512).

⁵⁹⁷ - إسناده هنا مرسل صحيح: ورواه مسلم متصلاً في صحيحه (309/471/1) من حديث أبي هريرة، وفي سنن الترمذي (3163).

وسلم: اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى ربها، فأخذ الأسود حفنة من الحصباء فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك أبداً، فَخَرَجَتْ مُجْتَمِعَةً كَأَنَّ سَائِقًا يَسُوقُهَا حَتَّى دَخَلَتْ الْحَصْنَ، وَتَقَدَّمَ لِيُقَاتِلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى اسْتَشْهَدَ وَمَا صَلَّى اللَّهُ صَلَاةَ قَطٍ، فَأَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَضَعَ خَلْفَهُ وَسُجِّيَ بِشِمْلَةٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَ أَعْرَضْتَ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتِي مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ⁵⁹⁸.

وأخبر عبد الله بن أبي نجيح: إنه إذا أصيب الشهيد تدلت له زوجته من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان تَرَبَّ اللَّهُ وَجْهَ مَنْ تَرَبَّكَ وَقَتْلَ مَنْ قَتَلَكَ.

الحجَّاج بن علاط يسترد أمواله من مكة

ولما فتحت خيبر كلها قال الحجَّاج بن علاط السُّلمي: يا رسول الله ﷺ إن لي بمكة مالا عند صاحبتني أم شيبية بنت أبي طلحة (وكانت عنده) ومالا متفرقا في تجار أهل مكة، فأدُّن لي يا رسول الله، فأذن له ثم قال الحجَّاج: إنه لا بد لي يا رسول الله ﷺ أن أقول، قال: قل، قال الحجَّاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالاً من قريش يتسمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد بلغهم أنه سار إلى خيبر، وقد عرفوا إنها قرية الحجاز ريفاً ومنعاً.

فلما رأوني قالوا: الحجَّاج بن علاط، ولم يكونوا عليموا بإسلامي، فقالوا: يا أبا محمد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، قال: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يَسُرُّكُمْ.

⁵⁹⁸ - إسناده حسن: عند الحاكم أخرجه في المستدرک (136/2) وصححه وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (190/4).

فالتبَطُوا بجني ناقتي⁵⁹⁹ وهم يقولون: إيه يا حجّاج قال: هُزِمَ محمدٌ ﷺ هزيمةً لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتِلَ أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسيرَ محمدٌ ﷺ أسراً، وقالت جيوش خيبر: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بما كان أصاب من رجالهم.

فقاموا وصاحوا في مكة وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمدٌ ﷺ إنما تنتظرون أن يُقدم عليكم فيقتل بين أظهركم، فقال الحجّاج بن علاط: أعيونني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل⁶⁰⁰ محمدٌ ﷺ وأصحابه قبل أن يسبقني التجّار، فقاموا فجمعوا لي مالي وجئت صاحبتني فأخذت مالي.

فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبر جاء ووقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجّار فقال: يا حجّاج ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال الحجّاج: هل عندك حفظ⁶⁰¹ لما وضعت عندك؟ قال العباس: نعم، قال الحجّاج: فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء⁶⁰² فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف العباس.

فعندما جمع الحجّاج ماله من أهل مكة وأراد الانصراف، لقي العباس وقال له: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت... فإني والله لقد تركتُ ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم⁶⁰³ ولقد افتتح خيبر.

وانتثل⁶⁰⁴ ما فيها وصارت له ولأصحابه، فقال العباس: ما تقول يا حجّاج؟ قلت: أي والله فاكثم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فإذا مضت ثلاثة أيام فأظهر أمرك فهو والله على ما تُحب.

العبّاس يعلن انتصار رسول الله ﷺ

599 - فالتبَطُوا بجني ناقتي: مشوا إلى جنبها لزدحامهم حولها.

600 - فل: القوم المنهزمون.

601 - عندك حفظ: أي تحفظ السر.

602 - خلاء: أي انفراد.

603 - بنت ملكهم: صفيّة بنت حبي.

604 - وانتثل: استخرج.

فلما جاء اليوم الثالث بعد مغادرة الحجاج بن علاط، لبس العباس حلة له وتحلق⁶⁰⁵ وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رآوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال: كلا، والله لقد افتتح محمد ﷺ خير، وترك عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم، الحجاج بن علاط، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله فانطلق ليلحق بمحمد ﷺ وأصحابه فيكون معهم.

قالوا: يا لعباد الله لقد انفلت عدو الله، ثم لم يبرحوا إلا أن جاءهم الخبر⁶⁰⁶.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر عنوة بعد القتال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان⁶⁰⁷.

عودة بقية المهاجرين من الحبشة

يوم فتح خيبر / جعفر وأصحابه

وقدّم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما قابل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتزمه وقال: ما أدري بأيهما أنا أسرُ بفتح خيبر أم بقدم جعفر⁶⁰⁸، وكان جعفر وأصحابه قد أقاموا بالحبشة حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فحملهم في سفينتين، فقدم بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخير بعد الحديبية.

وكان ممن هاجر إلى الحبشة ولم يرجع عبيد الله بن جحش، أخو الشهيد عبد الله بن جحش وحمنة بنت جحش زوجة مصعب بن عمير، وأم المؤمنين زينب بنت جحش

⁶⁰⁵ - وتحلق: تطيب بالطيب.

⁶⁰⁶ - صحيح: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (138/3) بإسناد صحيح، ومن طريقه عند عبدالرزاق في مصنفه (9771).

⁶⁰⁷ - حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد في مسنده (29/1) (275/6) وفي سنن

الترمذي (1607) ومصنف عبد الرزاق (7208).

⁶⁰⁸ - صحيح بمجموع طرقه مرفوعة ومرسلة عند البيهقي في السنن الكبرى (101/7) والحاكم في مستدركه (211/4) (101/7).

وهو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد هاجر عبّيدالله بن جحش وزوجته رملة⁶⁰⁹ وطفلة اسمها حبيبة.

فلما قدم أرض الحبشة تَنصَّرَ بها وفارق الإسلام ومات نصرانياً، فخلف⁶¹⁰ رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بعد وفاة عبّيدالله بن جحش، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهري ربيع وجماديين، ورجباً وشعباناً، ورمضان وشوالاً بعث من خلال ذلك السرايا فمناها، سرية أبي بكر الصديق إلى نجد، سرية عمر بن الخطاب إلى هوازن فهربوا، سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك، وقاتل وقد قيل إنه مات هناك، سرية إلى الحرمات⁶¹¹ من جُهينة⁶¹² وقيل إن الأمير غالب بن عبّيدالله الكلبي فلما دنا منهم بعث الأمير غالب الطلائع⁶¹³ ليلاً وقد هدأوا، ثم رجعت الطلائع وأخبرت الأمير⁶¹⁴ غالب بن عبّيدالله فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعوني ولا تعصوني، فإنه لا رأي لمن لا يطاع، ثم رتبهم يا فلان أنت مع فلان ولا يفارق كل منكم صاحبه وإياكم أن يرجع أحد منكم فأقول أين صاحبك؟ فيقول لا أدري! فإذا كَثُرَتْ فكَبُرُوا وجرّدوا السيوف⁶¹⁵ فكَبُرَ فكَبُرُوا فحملوا حملة واحدة وأحاطوا بالقوم وأخذتهم سيوف الله.

سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار، وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وعذر وبعث معه ثلاثمائة رجل، فساروا بالليل وكمنوا بالنهار، فلما علم القوم مسير بشير وجيشه هربوا وأصاب منهم نعماً كثيرة وأسر رجلين فقدم بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة لكنهم أسلموا.

609 - رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة).

610 - فخلف: تزوج.

611 - الحرمات: اسم مكان.

612 - جهينة: اسم قبيلة.

613 - غالب الطلائع: أي بعث مجموعة من الناس تستكشف خبر القوم.

614 - الأمير: قائد الجيش.

615 - جرّدوا السيوف: أخرجوا السيوف.

سرية عبدالله بن رواحة إلى البشير ابن رزام اليهودي الذي جمع غطفان ليغزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوا من اليهود ولم يُصب من المسلمين أحد.

سرية عبدالله بن حذافة السهمي، نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: 59)

في عبدالله بن حذافة السهمي حيث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فأمر عبدالله سرية أن يُطيعوه ويسمعوا له، فأغضبوه في شيء ما، فقال اجمعوا لي حطباً فجمعوا، ثم قال: أوقدوا لي ناراً فأوقدوا، ثم قال: أدخلوها، قالوا: إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فستكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف⁶¹⁶.

عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفان من أصحابه من المدينة واستخلف عليها عوف بن الأضبط الديلي⁶¹⁷ ودخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام سنة سبع، وذلك قصاص من المشركين لأنهم منعه دخول مكة في شهر ذي القعدة سنة ست، فأنزل الله تعالى: (... وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ...) (البقرة: 194).

فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه⁶¹⁸ وتحدثت قريش بينها أن محمداً ﷺ وأصحابه في عسرة وجهد وشدة، فصقوا له عند دار الندوة⁶¹⁹ لينظروا إليه وإلى أصحابه، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطجع بردائه⁶²⁰ وأخرج عضده اليماني،

⁶¹⁶ - الراوي: علي بن أبي طالب، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (1840).

⁶¹⁷ - ومن سيرة محمد بن عبد الوهاب استخلف أبا رهم الغفاري.

⁶¹⁸ - خرجوا عنه: أي تركوه.

⁶¹⁹ - أي جلسوا صفوفاً عند المكان الذي كان يجتمعون فيه للشورى.

⁶²⁰ - اضطجع بردائه: جعل بعض رداءه تحت أبطه.

ثم قال: رحم الله امرءاً أراههم اليوم من نفسه قوة⁶²¹، حتى يرى المشركون جلد وقوة المسلمين.

ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واروا البيت منهم استلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هروا كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرهما، حتى إذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع لزمها⁶²² فمضت السنّة بها.

وكان عبدالله بن رواحة أخذ بخطام الناقة حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة في هذه العمرة وهو يقول:

خَلُّوا بني الكفار عن سبيله	خَلُّوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله	أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تاويله	كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يُزيلُ الهام عن مقيله	ويُذهل الخليل عن

خليله

رسول الله ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث في سفره وهو محرم، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب فأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمئة درهم ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكّة ثلاثة أيام⁶²³.
فأتاه حوَيْطِب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود في نفر من قريش في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وُكِّلتُه بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكّة، فقالوا: إنه قد انقضى أجلك فأخرج عنا، فقال النبي ﷺ: لو تركتموني فأعرست

621 - الحديث أصله في صحيح البخاري (4256) وفي صحيح مسلم (923) عند ابن عباس رضي الله عنهما.

622 - لزمها: أي طريقة الطواف.

623 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (5114) وفي صحيح مسلم (1032) وعند أبي داود في سننه (1844).

بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتوه⁶²⁴ ، قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فخرج
عنا.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أبو رافع موله⁶²⁵ عن ميمونة بنت
الحارث حتى جاء أبو رافع بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف فيني⁶²⁶ بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم⁶²⁷ هنالك (وقدّر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث
بنى بها) ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذي الحجة.

فأنزل الله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ
تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح 27).

تزوج رسول الله ميمونة بنت الحارث بعد ما أحل.

وفي البخاري عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته⁶²⁸ ابنة
حمزة تنادي: يا عم ياعم فتناولها علي فأخذها بيده وقال لفاطمة: دونك بنت عمك
فحملتها.

فاحتصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي: أنا أحق بها وهي ابنة عمي، وقال جعفر:
ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: بنت أخي، فقضى بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى خالتها.

624 - الراوي - المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أو الرقم: (364).

625 - هو المسؤول.

626 - فيني: تزوج.

627 - حديث صحيح: عند الحاكم في مستدرکه (31/4) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه ووافقه الذهبي.

628 - تبعته: لحقته.

غزوة مؤتة

ومقتل جعفر وزيد وعبدالله بن رواحة

وعندما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من عُمرَة القضاء، أقام بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفر وشهري ربيع، وفي صفر من هذه السنة قدم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فأسلموا، فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة من السنة الثامنة من الهجرة الأمراء إلى الشام وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل الحارث بن عُمير بكتاب إلى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرَّض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله.

وصية رسول الله ﷺ للجيش

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد بن حارثة على ثلاثة آلاف مقاتل وقال: فإن قُتِل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِل فعبد الله بن رواحة⁶²⁹، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمير وأن يدعو من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم.

وعقد لهم لواء أبيض دفعه إلى زيد بن حارثة، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، فبكى ابن رواحة فقبل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما بي من حُب الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) (مريم 71) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود.

فلما سار الجيش نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش، فقال لهم المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم صالحين غانمين، ومشى الجيش فلما نزلوا معان من أرض الشام، بلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة الف

⁶²⁹ - الراوي - المحدث: الألباني، المصدر: دفاع عن الحديث، الصفحة أوالرقم: (29).

مقاتل من الروم وانضم إليهم من لحم وجذام وبلى أيضاً في مائة الف فأصبحوا مائتين ألف.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا في معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا فيما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي به، فشجّعهم عبدالله بن رواحة، وقال: والله يا قوم إن الذي تكرهونه هو الذي خرجتم له تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينيين إما ظفر وإما شهادة.

وبدأت المعركة

فانطلق الجيش حتى إذا كان بقرية يقال لها مشارف، ودنا العدو فانحاز المسلمون إلى مؤتة فالتقى الجيشان⁶³⁰ فتعباً المسلمون وبدأت المعركة وقاتل المسلمون قتالاً شديداً.

والراية مع زيد بن حارثة وهو يقاتل حتى شاط في رماح القوم⁶³¹ فوقع شهيداً، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب حتى إذا أرهقه القتال نزل عن فرسه وعقرها⁶³² وأخذ يقاتل حتى قُطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية حتى استشهد وله ثلاث وثلاثون سنة⁶³³ ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة فتقدم بها وهو على فرسه ويقال ويريد أن يلحق بصاحبيه زيد وجعفر ثم قاتل حتى استشهد.

630 - الجيشان جيش المسلمين 3000 مقاتل، وجيش العدو 200000 مقاتل.
631 - صحيح: أخرجه الطبري في التاريخ(2/150) وعند الهيثمي في مجمع الزوائد(6/159) وعزاه إلى الطبراني وقال رجاله ثقات أ. ه
632 - عقرها: وهو أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال.
633 - إسناده حسن: عند الحاكم في مستدركه(3/210) وفي مجمع الزوائد(9/272) للهيثمي وحسنه وعزاه إلى الطبراني.

خالد بن الوليد يترأس الجيش

فأخذ الراية ثابت بن أقرم وقال: يا معشر المسلمين أصدلحوا على رجل منكم فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الجيش على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالجيش⁶³⁴.

قال ابن سعد: أن الهزيمة كانت على المسلمين.

لكن في صحيح البخاري أن الهزيمة كانت على الروم.

قال ابن إسحق: إن كل طائفة انحازت وانحيز عنها.

وكان خالد بن الوليد عندما رأى الجيش أخذوا بالفرار صاح، وأخذ يمنعهم عن الفرار وهم لا يسمعون حتى نادى قطبة بن عامر وأمره أن يُصيح في الجيش فقال: أيها الجيش لئن يُقتل أحدكم في حرب الكفار خير من أن يقتل حال الفرار فلما سمعوا كلام قُطبة تراجعوا.

قال خالد بن الوليد: لقد انقطع في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وعن أنس أن النبي ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة وهو في المدينة المنورة قبل أن يأتي خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ الراية جعفر فأصيب ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرغان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم.

وعن ابن عمر قال: كنت فيهم تلك الغزوة ووجدنا جعفر مع القتلى فوجدنا في جسده بضعا وتسعين بين طعنة ورمية، وفي رواية فعددت به خمسين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره⁶³⁵.

وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: قال لي رسول الله ﷺ: هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء⁶³⁶، وعن ابن عباس: أن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل

⁶³⁴ - صحيح: أخرجه الطبري في التاريخ(151/2) وفي مجمع الزوائد للهيتمي(159/6) وعزاه إلى الطبراني وقال: رجاله ثقات أه.

⁶³⁵ - دبره: من الخلف.

⁶³⁶ - الراوي: عبد الله بن جعفر، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: فتح الباري لابن حجر، الصفحة أوالرقم: (96/7).

له جناحان عوضه الله عن يديه⁶³⁷ ، وانصرف خالد بن الوليد قافلاً إلى مدينة رسول الله ﷺ ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون والصبيان ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله ﷺ مقبل مُشَيِّع القوم على دابة فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر⁶³⁸ ، فأخذه وحمله بين يديه، والناس يُحْثُونَ التراب على الجيش، ويقولون: يا فرار، فرتم في سبيل الله، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى⁶³⁹ .

غزوة ذات السلاسل

وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم ببعض مخافة أن يفروا وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من قضاة قد تجمعوا للإغارة على المدينة وأن يدنوا منها، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص، وعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً وأمره أن يستعين بمن مر به من بلى وعذرة وبلقين، فسار الليل وكَمَن النهار، فلما بلغ القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث النبي ﷺ إليه أبو عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ولحقوا بالجيش ثم حمل المسلمون عليهم فهربوا الأعداء في البلاد وتفرقوا .

⁶³⁷ - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: (275/9).

⁶³⁸ - الراوي: عروة بن الزبير، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم: (248/4).

⁶³⁹ - إسناده صحيح مرسل: أخرجه البيهقي في الدلائل (374/4) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (253/4).

غزوة الفتح

وهو الفتح الأعظم في شهر رمضان سنة ثمانية، وهو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله ﷺ وجنده وحرمة الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الأعظم الذي استبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً قائلين الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، وهو الفتح الأعظم الذي أشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً، حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة المنورة متوجهاً إلى مكة المكرمة بجيش جرار يهز الجبال الشواهقاً بكتائب الإسلام وجنود الرحمن إلى قريش الذين نقضوا العهد وذلك في رمضان سنة ثمانٍ.

الأمر الذي أهاج فتح مكة

وكان سبب ذلك إن بني بكر بن عبد مناف كانت بينهم وبين خزاعة حروب قبل الإسلام وقتل، فلما جاء الإسلام وكانت الهدنة في صلح الحديبية دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده، وبعدها أرادت بنو بكر نقض العهد وأرادوا أن يصيبوا الثأر من خزاعة. فخرج نوفل بن معاوية في نفر من بني بكر فببَّتْ لخزاعة على ماء بأسفل مكة يقال له: الوتير فأصابوا منهم رجالاً وتناوشوا واقتتلوا، وأعانت قريش بني بكر بالسلح وقاتلوا معهم حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك⁶⁴⁰ فقال نوفل كلمة عظيمة: لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم فلعمري إنكم لتسرفون⁶⁴¹ في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فقاتلوا خزاعة، فقاتلوا حتى دخلت خزاعة دار بُديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم، وهناك خرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين من الرجال إلى المدينة المنورة ومعهم أحد بني كعب، حتى يستنجد برسول الله ﷺ.

640 - إلهك: الإلاه، أي الله.

641 - لتسرفون: أي إنكم ترتكبون كل المعاصي في الحرم.

وفي معجم الطبراني الصغير، عن ميمونة إنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في متوضئه ليلاً: لبيك لبيك (ثلاثاً) نُصرت نُصرت (ثلاثاً) فلما خرج قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتك تقول في متوضئك: لبيك لبيك ثلاثاً نُصرت نُصرت ثلاثاً كأنك تكلم إنساناً فهل كان معك أحد؟ فقال: هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بني بكر بن وائل⁶⁴².

عمرو بن سالم يستنجد برسول الله ﷺ

وعندما وصل عمرو بن سالم الخزاعي والأربعين راكباً ومعهم - أحد بني كعب - إلى المدينة المنورة، قَدِموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبروه ما فعلت بنو بكر وقريش فيهم وهذا مما أهاج فتح مكة، فوقف عمرو بن سالم في المسجد بين ظهراني الناس وقال:

يا رب إني ناشد محمدًا ﷺ حلف أئينا وأبيه الأتلدا⁶⁴³
فأنصر هداك الله نصرًا أعتدًا وادع عباد الله يأتوا مددًا
فيهم رسول الله ﷺ قد تجردا إن سيم خسفًا وجهه تريدا⁶⁴⁴
في فيلق كالبحر يجري مُزيدا إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لي في كذا رُصدا
وزعموا أن لست تدعو أحداً وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا وقتلونا زُكعاً وسجَّدا
فانصر هداك الله نصرًا أيدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نصرت يا عمرو بن سالم. ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سحابة في السماء فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب⁶⁴⁵.

642 - الراوي: ميمونة بنت الحارث، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أوالرقم:

(166/6).

643 - الأتلدا: القلسم.

644 - تريدا: تغيرا.

الخوف يصيب قريش فتبعث أبا سفيان إلى رسول الله ﷺ

وخرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة من مكة حتى قدموا المدينة المنورة، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وفي طريق العودة لقوا أباسفيان بن حرب بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد ويزيد في مُدته، وقد رهبوا الذي صنعوا⁶⁴⁷ وسأل أبوسفيان بُدَيْل بن ورقاء من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ قال: من بطن الوادي قال أبوسفيان: أوما جئت محمداً ﷺ؟ قال بُدَيْل: لا ومشى بطريقه إلى مكة.

أما أبوسفيان فتابع طريقه إلى المدينة المنورة حتى قدم على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وطوّته عنه فقال: يا بُنَيْتة ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبوسفيان: والله لقد أصابك يا بنيتي بعدي شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوبكر: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال عمر: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به.

وخرج حتى دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة ومعها ابنها الحسن، فقال أبوسفيان: يا علي إنك أمس القوم بي رحماً، وإني جئت في حاجة فلا أرجع

645 - إسناده حسن: عند البيهقي في سننه(233/9) وفي دلائل النبوة(6/5) وفي مجمع الزوائد للهيتمي(161/6) وعزاه إلى الطبراني في الصغير والكبير.

646 - بمظاهرة: معاونة.

647 - رهبوا الذي صنعوا: أي أصابهم الخوف لما عملوا.

كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال علي: ويحك يا أباسفيان! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نُكلمه فيه، فَالتفت أبوسفيان إلى فاطمة وقال: يابنة محمد ﷺ هل لك أن تأمري بُنيك الحسن هذا فيُجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُني⁶⁴⁸ ذلك أن يُجير بين الناس وما يُجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى، قال: والله ما أعلم لك شيئاً يُغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس ثم إلحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظنه، ولكني لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبوسفيان إلى المسجد فقال: أيها الناس أني قد أجزت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق قافلاً باتجاه مكة المكرمة.

فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً ﷺ فكلمته فوالله ما رد عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو⁶⁴⁹ ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد ﷺ؟ قال: لا، قالوا: وبلك إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يُغني عنك ما قلت.

رسول الله ﷺ يأمر الجيش بالتهيؤ لفتح مكة

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبوبكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي بني أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجهزوه؟ قالت: نعم وتجهز قال: أين تُرئنه يريد؟ قالت: والله لا أدري!⁶⁵⁰

648 - بُني: أي ابني.

649 - أدنى العدو: أعدى العدو.

650 - صحيح: رواه البيهقي في دلائل النبوة (12/5) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (283/4).

وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجد والتهيؤ وأعلمهم إنه سائر إلى مكة المكرمة، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبتغتها في بلادها، فتجهز الجيش سراعاً⁶⁵¹ وعندما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير بالجيش إلى مكة المكرمة، قام أحد الصحابة فكتب كتاباً سراً وبعثه إلى قريش ليخبرهم ما أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الصحابي هو حاطب بن أبي بلتعة، ثم أعطى هذا الكتاب لامرأة من مزينة وقيل إنها مولاة لبعض عبدالمطلب فجعلت الكتاب في رأسها، ثم قتلت⁶⁵² عليه قرونها ثم خرجت به⁶⁵³ باتجاه مكة.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب بن أبي بلتعة، فبعث علي بن أبي طالب والزيبر بن العوام وقال لهما: أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش يُحذره ما قد أجمعنا له من أمرهم⁶⁵⁴. وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ضعينة⁶⁵⁵ معها كتاب فخذوه منها"⁶⁵⁶.

وكان نص الكتاب: الذي كتبه حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، أن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإن الله مُنجز له وعده. فخرج الصحابة من عند رسول الله ﷺ حتى يحضروا الكتاب فأدركاها تسير حيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستنزلاها عن بعيرها فالتمسا في رحلها فلم

651 - ضعيف الإسناد: أخرجه الطبري في معجميه الصغير والكبير، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (164/6) وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (134/2) والبيهقي في دلائل النبوة (11/5) وعند ابن كثير في البداية والنهاية (283/4).

652 - قتلت: أي ربطت.

653 - خرجت به: أي الكتاب.

654 - الراوي: عروة بن الزبير، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم:

(282/4).

655 - ضعينة: أي المرأة المسافرة.

656 - الراوي: علي بن أبي طالب، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم:

(4274).

يجدوا شيئاً، فقال لها علي: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبتنا، لئلا نخرجنا من الكتاب أو لنكشفنك، فلما رأت الحد منهما قالت: أعرض، فأعرض فحلت فُرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها، ثم دفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة، فقال: يا حاطب ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكن لي بين أظهرهم في مكة ولد وأهل، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ﷺ دعني لأضرب عنقه فإن الرجل قد نافق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما يُدريك يا عمر لعل الله اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأُنزل الله تعالى في حاطب: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) إِنْ يَتَّقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ⁶⁵⁷ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) (المتحنة 1-4).

657 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه(3007)(4890) وعند مسلم في صحيحه(1941) والترمذي في سننه(3305).

رسول الله ﷺ يخرج باتجاه مكة خلفه كتائب الإسلام

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان باتجاه مكة في عشرة آلاف مقاتل من المسلمين، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صائماً والمسلمون صائمين، حتى إذا أصبح بالكديد بين عسفان وأمج أظفر⁶⁵⁸ وأظفر المسلمون، وتحركت الرجال من كل قبيلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا المهاجرين والأنصار لم يتخلف منهم رجل واحد. وعندما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل مر الظهران وقد غُميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل.

خرج في تلك الأيام أبوسفیان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتحسسون الأخبار أو يسمعون شيئاً، وأثناء مسير جيش المسلمين لقي العباس بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ بالجحفة مهاجراً بعياله من مكة إلى المدينة، وأثناء مسير الجيش التقى أبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب وعبدالله ابن أبي أمية بن المغيرة برسول الله ﷺ بنيق العقاب فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه وكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمك وابن عمك وصهرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك عرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال، فلما خرج الخبر إليهما ومع أبي سفیان بُني له⁶⁵⁹ قال أبوسفیان بن الحارث: والله ليأذّن لي أو لأخذن بيدي بُني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقّ لهما ثم أذن لهما فدخلتا عليه وأسلما⁶⁶⁰.

658 - صحيح: رواه البخاري في صحيحه (1944-4275) ومسلم في صحيحه (784-785).

659 - بُني له: أي طفل له.

660 - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم: (167/6).

أبوسفيان يشهد شهادة الحق أمام رسول الله ﷺ

وعندما اقترب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نزل من الظهران، قال العباس بن عبدالمطلب: وا صباح قريش، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر! قال العباس: ثم جلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك لعلي أحد بعض الخطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة لأخبره الخبر، فيذهب إلى أهل مكة فيخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبوسفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً مثل ذلك؟ فقال بُديل بن ورقاء: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب⁶⁶¹ فقال أبوسفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال: أبوالفضل؟ قلت: نعم، قال: مالك فداك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ وجيشه وا صباح قريش! قال أبوسفيان: ما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال أبوالفضل: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك.

فركب أبوسفيان خلف العباس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجع صاحبه بُديل بن ورقاء، قال العباس: ودخلت فيه عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالو: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا؟ وقام الي فلما رأى أبا سفيان قال: عدو الله الحمد لله الذي أمكنني منك بغير عقد ولا عهد، وركض باتجاه رسول الله صلى الله

⁶⁶¹ - حمشتها الحرب: أي أحرقتها الحرب.

عليه وسلم، ثم قال العباس: وَرَكَضَتْ الدَابَّةُ فسبقته، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر قائلاً: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبا سفيان جاء بغير عقد ولا عهد دعني فلا ضرب عنقه؟

فقال: العباس إني قد أجرته يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر فوالله لو كان أبو سفيان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا؟ ولكنك قد عرفت إنه من رجال بني عبدمناف، فقال عمر: مهلاً يا عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، لأنني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبح فأتني به⁶⁶².

فذهب به العباس ولما أصبح غداً به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن⁶⁶³ لك أن تعلم إنه لا إله إلا الله؟

قال أبو سفيان: لو ظننت مع الله إله غيره فلقد أغنى عني شيئاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ﷺ؟ قال أبو سفيان: بأبي وأمي أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً.

رسول الله ﷺ يكرم أبا سفيان

فقال العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تُضرب عنقك.

⁶⁶² - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الألباني، المصدر: السلسلة الصحيحة، الصفحة أوالرقم:

(3341).

⁶⁶³ - يأن: يحن.

فشهد أبوسفیان شهادة الحق فأسلم، ثم قال العباس: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً، قال: نعم، مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومَنْ أغلق بابه فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل⁶⁶⁴ حتى تمر به جنود الله فيراها⁶⁶⁵ فأخذه العباس وحبسه بمضيق الوادي حيث أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم⁶⁶⁶.

وأقبلت القبائل⁶⁶⁷ على راياتها كلما مرت قبيلة قال أبوسفیان: يا عباس مَنْ هذه؟ قال: هذه سُليم فيقول: مالي ولسُليم، ثم تمر القبيلة الأخرى فيقول أبوسفیان: مَنْ هذه؟ فيقول العباس: هذه مُزينة فيقول: مالي ولمزينة حتى نفدت القبائل.

كتيبة رسول الله ﷺ تدخل مكة المكرمة

ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء⁶⁶⁸ فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال: سبحان الله يا عباس مَنْ هؤلاء؟ قال العباس: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بمؤلاء قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغداة عظيماً.

أبوسفیان يصرخ مَنْ دخل داره فهو آمن

قال العباس: يا أبا سفيان إنها النبوة، قال: فنعم إذن، قال: النجاة إلى قومك فأنصرف أبوسفیان قافلاً مسرعاً إلى مكة المكرمة إلى قريش، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد ﷺ قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فَمَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه، وقالت: أقتلوا

664 - خطم الجبل: أنف الجبل أو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل.

665 - فيراها: يشاهدها.

666 - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم:

(176/6).

667 - القبائل: الجيش.

668 - كتيبته الخضراء: لكثرة الحديد فيها.

الحميت الدسم الأحمس⁶⁶⁹ فُجِحَ من طليعة القوم⁶⁷⁰ قال: ويلكم لا تعرئكم هذه هند من أنفسكم فإن محمداً ﷺ قد جاءكم ما لا يقبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله وما تُعني عنا دارك؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد⁶⁷¹، حيث كان الجيش زاحفاً باتجاه مكة المكرمة.

وعندما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجزاً بشقة بردة حمرأ⁶⁷² حيث وضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، ثم رتب الجيش في دخول مكة المكرمة.

فأمر الزبير بن العوام أن يدخل مع بعض الناس من كدى، وكان الزبير على الجنبية اليسرى، وأمر سعد بن عبادَةَ أن يدخل في بعض الناس من كداء، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من الليط أسفل مكة ومعه أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قبة⁶⁷³ وكان شعار المسلمين يوم فتح مكة وحنين والطائف هو شعار المهاجرين - يا بني عبد الرحمن - شعار الخزرج - يا بني عبد الله - شعار الأوس يا بني عبيد الله⁶⁷⁴.

669 - الحميت الدسم الأحمس: شديد اللحم.

670 - طليعة القوم: أي الذي يتقدمهم.

671 - صحيح: أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (9739) وبمجموع طرقه عند مسلم في صحيحه (1407-1408) مختصراً، وكذا عند أحمد في مسنده (7909) وصححه شاکر وفي سنن أبي داود (3022) بنحوه.

672 - معتجزاً بشقة بردة حمرأ: أي واضع عمامة دون ذوايب، والحبرة أي ثياب من اليمن.

673 - صحيح: رواه البخاري في صحيحه (4291) وفي سنن أبي داود (1868).

674 - هكذا: بدون إسناد عند ابن كثير في البداية والنهاية (297/4).

رسول الله ﷺ يأمر بقتل نفر من أهل مكة

وقبل دخول مكة المكرمة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا إنه أمر بقتل نفر منهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم: الحويرث بن نفيل، هلال بن خطل، هبار بن الأسود، مقيس بن صباة، عبدالله بن أبي سرح، عكرمة بن أبي جهل، قينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسارة مولاة لبني عبدالمطلب.

فأما الحويرث فقتل وهلال بن خطل أيضاً فُتِل، أما هبار بن الأسود ففر ثم جاء فأسلم وحسن إسلامه، ومقيس بن صباة فقتل، وعبدالله بن أبي سرح فأسلم وحسن إسلامه، وعكرمة بن أبي جهل فاستأمنت له زوجته بعد أن هرب، وعادت به فأسلم وحسن إسلامه، أما القينتان فقتلت إحداها والأخرى استؤمن لها وأما سارة أيضاً استؤمن لها.

وعندما كان رسول الله ﷺ بذي طوى كانت أسماء بنت أبي بكر الصديق في مكة، فقال لها جدها أبوقحافة: أي بنية اظهري بي⁶⁷⁵ على أبي قبيس⁶⁷⁶ وقد كُف بصره، قالت: فأشرفت به على الجبل فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها، قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: إذن دُفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي.

وفعلاً جاء الحق وزهق الباطل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة بكتائب الإسلام وحنود الرحمن دخلوا بالتكبير في رمضان، لينتقدوا البلد الأمين والكعبة من أيدي الكفار والمشركين، وقد اجتمع بنو بكر وبنو الحارث وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش لمحاربة المسلمين يوم الفتح من أسفل مكة، فتقدم لهم خالد بن الوليد والمسلمون فقاتلهم فهزمهم، وقتل من بني بكر نحو عشرين،

675 - اظهري بي: أي اصعدي وارفعي بي.

676 - قبيس: جبل بمكة.

ومن هذيل ثلاثة أو أربعة حتى انتهى القتل بهم إلى باب المسجد، فصاح أبوسفيان مَنْ
أغلق بابه وكف يده فهو آمن.

رسول الله ﷺ يأمر الأنصار بقتل أوباش قريش

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا هريرة: اهتف ليّ بالأنصار، فهتف
أبوهريرة فجاءت الأنصار من كل جانب، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أترون أوباش قريش وأتباعهم أُحصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء، فقال أبوهريرة:
فانطلقنا فما نشاء أن نقتل منهم أحداً إلا قُتلناه، فجاء أبوسفيان فقال: يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبيت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، ثم صاح مَنْ دخل دار
أبوسفيان فهو آمن⁶⁷⁷.

رسول الله ﷺ يُطهر الكعبة من الأوثان

ونحض المهاجرين والأنصار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله
وخلفه حتى دخل المسجد، وأصبح أمام الكعبة، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم
طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً وهي مُثبته
بالحديد والرصاص، فما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها في وجهه
إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا
وقع⁶⁷⁸ وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً⁶⁷⁹.

فضالة يريد قتل رسول الله ﷺ

وأثناء طواف رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد فضالة بن عُمر بن الملوح قتل
النبي ﷺ، فلما اقترب فضالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: أفضالة؟ قال:
نعم، فضالة يا رسول الله، قال له: ماذا كنت تُحدث به نفسك؟ قال فضالة: لا شيء،

⁶⁷⁷ - الراوي: أبوهريرة، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (1780).

⁶⁷⁸ - صحيح: رواه البخاري في صحيحه (4287) وفي صحيح مسلم (1408) وفي سنن
الترمذي (3138).

⁶⁷⁹ - الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم:
(1781).

كنت أذكر الله عز وجل ، فضحك النبي ﷺ ثم قال له: استغفر الله، ثم وضع يده الشريفة على صدر فضالة فَسَكَرَ قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه،⁶⁸⁰ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه على راحلته ولم يكن محرماً، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاً عليه حتى نظر إلى البيت فجعل يحمد الله ويدعو ما شاء أن يدعو.

إسلام عثمان بن طلحة

ثم دعا بعثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فأمر بها ففتحت له الكعبة. ذكر ابن سعد في الطبقات عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي ﷺ يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلقت في وجهه ونلت منه فحلم عني ثم قال: يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ، فقال: بل عمرت وعزت يومئذ. فلما كان يوم الفتح الأعظم قال: يا عثمان إئتني بالمفتاح فأتيته به، فأخذه ثم دفعه إليّ وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم⁶⁸¹، فلما أخذت المفتاح ووليت ناداني عليه الصلاة والسلام فقال: ألم يكن الذي قلت لك قبل الهجرة؟ فقلت: بلى، أشهد إنك رسول الله ﷺ.

وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر⁶⁸²، حيث كان النبي ﷺ يريد أن يدفعه إلى العباس، فنزل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: 58) فقالت الأنصار

680 - هكذا بدون إسناد: ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر (242/2) والحافظ ابن حجر في الإصابة (210/5).

681 - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: ابن القيسراني، المصدر: ذخيرة الحفاظ، الصفحة أو الرقم: (775/2).

682 - الراوي: صفية بنت شيبة وبعض أهل العلم، المحدث: أحمد شاكر، المصدر: عمدة التفسير، الصفحة أو الرقم: (527/1).

بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قرينته ورأفة بعشيرته، خاصة عندما سمعوا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فأخبر جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله ﷺ، قال: قُلتُم أما الرجل فأدركته رغبة في قرينته، قالوا: قد كان ذلك يا رسول الله ﷺ.

قال: معاذ الله! المحيا محياكم، والممات مماتكم⁶⁸³ فأقبلوا بيكون ويقولون: والله ما قُلتنا إلا للظن بالله ورسوله ﷺ فقال: فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم.

أول آذان فوق الكعبة

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ومعه بلال وأمره أن يؤذن، وأذن بلال أول آذان فوق البيت الأقدس، وكان أبو سفيان وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جالسين بفناء الكعبة فقال: عتّاب لقد أكرم الله والدي أسيد بعدم سماع هذا الآذان فيغيظه.

وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعتُه، فقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً فلو تكلمتُ لأخبرتُ⁶⁸⁴ عني هذه الحصة، فخرج عليهم النبي ﷺ، وقال: قد علمتُ الذي قُلتُم، ثم ذكر لهم ما قالوا فقال الحارث وعتّاب: نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخيرك⁶⁸⁵.

رسول الله ﷺ يقف أمام باب الكعبة

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الديه مغلظة مائة من الأبل أربعون منها في

683 - صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه(1425)(1407) وفي مسند أحمد(538/2) وسنن الدارقطني(232/2).

684 - لأخبرت: أبلغت.

685 - أورده ابن كثير في التفسير(132/3) هكذا بدون إسناد.

بطون أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالأباء،
الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ) (الحجرات 13)، ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ
كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء⁶⁸⁶.

فلما كان الغد قام نفر من خزاعة فقتلوا رجلاً مشركاً من هذيل، فعلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض
فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك
فيها دمًا ولا يعضد فيها شجرة، لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي،
ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها الأثم، قد رجعت كحرمتها بالأمس،
فلئيبغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم أن رسول الله ﷺ قاتل فيها فقولوا: إن الله
قد أحلها لرسوله ﷺ ولم يُللها لكم، قال رسول الله ﷺ: يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم
عن القتل فقد كثر القتل إن نفع، ولقد قتلتم قتيلاً لأدينه⁶⁸⁷.

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سرايا حول مكة المكرمة تدعو إلى
عبادة الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعثهم خالد بن الوليد وأمره أن يسير
بأسفل تهامة داعياً، وكان خالد بن الوليد قد هدم العزى، فسار خالد بن الوليد ومعه
ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم إلى بني جذيمة، فلما وصل
إليهم قال ما أنتم؟ قالوا: مسلمون صبأنا وصدقنا محمد ﷺ وبنينا المساجد، فجعل
يقتلهم ويأسرهم ودفع إلى كل رجل كان معه أسيراً، فلما كان السحر قال خالد بن
الوليد من كان معه أسيراً فليضرب عنقه، فأما بني سليم فقتلوا أسراهم، وأما المهاجرون
والأنصار فأرسلوا أسراهم.

686 - حديث حسن: بمجموع طرقه وشواهد: عند البيهقي في السنن الكبرى (68/8)(118/9)
وفي سنن أبي داود(4547) وسنن النسائي(247/2) وابن ماجه في سننه(2627).

687 - إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده(32/4) من طريق ابن إسحاق ويشهد له ما عند
أحمد أيضاً في مسنده(385/6) وما في سنن الترمذي(1406) وسنن أبي داود(4504).

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء وقال:
اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد⁶⁸⁸، وقد قال بعض من يُعذر خالد بن
الوليد إنه قال: ما قاتلتُ حتى أمرني عبدالله بن حذافة السهمي حيث قال لي: إن
رسول الله ﷺ يأمرُك أن تقاتلهم لامتناعهم عن الإسلام.
وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة بعد فتحها خمس عشرة ليلة
يقصر الصلاة⁶⁸⁹.

غزوة حُنين في سنة ثمان بعد الفتح

وهو وادٍ قرب ذي المجاز بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى غزوة
أوطاس.

وسببها: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة بأذن الله، أطاعت له
قبائل العرب كلها وأسلموا إلا من هوازن وثقيف فإنهم كانوا عُتاه.

خروج هوازن وثقيف لمحاربة رسول الله ﷺ

فاجتمع أشرفهم فقالوا: إن محمداً ﷺ قاتل قوماً لم يُحسنوا القتال ولم يكن لهم
علم بالحرب فانتصر عليهم، وإنه سيقصدنا فقبل أن يظهر ذلك منه سيروا إليه.
فاجتمعت هوازن وثقيف كلها، وكان على هوازن رئيسهم مالك بن عوف
النضري وعلى ثقيف قائدهم قارب بن الأسود، واتفق معهما نَصْرٌ وجَشَمٌ كلها، وسعد
بن بكر، وناس من بني هلال فكانوا أربعة آلاف مقاتل.

وخرجوا بأموالهم وأولادهم ونسائهم لئلا يفروا، وكان فيهم دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ من
بني جَشَمٍ، وهو صاحب رأي وتديبير ومعرفة بالحرب وقد عُمي بسبب الكبر.

فلما انتهوا إلى أوطاس قال لهم دُرَيْدُ: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم
هنا مجال الخيل ليس بالمكان المرتفع ولا الغليظ حيث فيه حجارة محددة وأرضه كثيرة

688 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (4339) وفي مسند أحمد (6382) وسنن

النسائي (5420) والسنن الكبرى للبيهقي (115/9).

689 - مرسل صحيح الإسناد: وقد أخرجه متصلاً أبو داود في سننه (1231) وابن ماجه في

سننه (1076) وفي السنن الكبرى للبيهقي (151/3).

التراب، ثم سمع صوت بكاء الأطفال ورغاء البعير ونهاق الحمير، فقال ما هذه الأصوات؟ فقالوا: مالك بن عوف النضري سيد هوازن ساق مع الرجال أموالهم ونساءهم وأطفالهم لثلا يفروا، قال دُرَيْد: راعي ضأن والله، وهل يُرْدُ المنهزم شيء، إنها إن كانت له لم ينفعه إلا الرجل وسيفه، وإن كانت عليه فُضِحَ في ماله وأهله.

والله يا معشر هوازن إما أن تُطِيعوني أو أضع هذا السيف في بطني حتى يخرج من ظهري، فقالت هوازن ومعهم سيدهم مالك: أطعنك يا دريد.

ووصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أجمع المسير إلى هوازن قالوا له: إن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً فأرسل إليه (وهو يومئذ مشرك) فأرسل إليه رسول الله ﷺ وقال له: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غداً.

فقال صفوان: أغضباً يا محمد ﷺ؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح⁶⁹⁰.

⁶⁹⁰ - والحديث هنا حسن: أخرجه الحاكم في مستدركه (48/3) وفي سنن أبي داود (3562) والسنن الكبرى للبيهقي (89/6) وفي سنن أحمد (400/3).

رسول الله ﷺ يخرج إلى الحرب

وتجهز الجيش الإسلامي ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيشه عامداً إلى حنين واستعمل على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعاذ بن جبل إماماً ومفقهاً للناس، وكان جيش المسلمين ألفين من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذي فتح الله عليهم فأصبحوا اثني عشر ألفاً، وقال بعض المسلمون لن نُغلب اليوم من قلة، وكان خروجهم يوم السبت لست ليالٍ خلّون من شوال.

وزحف الجيش حتى انتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء كان قد سبقهم مالك بن عوف فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي، وفرّقهم في الطرق والمداخل وحرضهم على قتال المسلمين وأمرهم أن يحملوا عليهم حملة واحدة، وقال: إذا رأيتموهم فأكسروا جفون سيوفكم ثم شدّوا شدة واحدة.

ثم بعث مالك رجالاً من رجاله حتى يأتوه بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ذهبوا رجعوا وقد تفرقت أوصالهم⁶⁹¹ فقال: ويلكم ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلِقٍ فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى.

رسول الله ﷺ يلبس لباس الحرب

فلما كان وقت السحر عبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه وعقد ألويته والرايات وفرّقها على الناس، ثم ركب بغلته البيضاء ولبس درعين والمغفر والبيضة، واستقبلوا الوادي ثم انحدروا في وادٍ من أودية تهامة أجوف ذي خطوط⁶⁹² وذلك قبل أن تذهب عتمة الصبح، فوالله ما راع⁶⁹³ المسلمين إلا والكتائب قد شدوا عليهم شدة رجل واحد، وانشمر⁶⁹⁴ المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد.

691 - تفرقت أوصالهم: أي من الخوف.

692 - أجوف ذي خطوط: متسع وعميق.

693 - راع: أي فجأة.

694 - وانشمر: أي انهمز.

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين وقال: أنا النبي ﷺ لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب⁶⁹⁵، فقد تركه الناس، أي فروا من ساحة المعركة ولم يَبْقَ معه سوى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته منهم أبوبكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والعبّاس بن عبدالمطلب وأبوسفيان بن الحارث وابنه، والفضل بن العبّاس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن واستشهد يؤمئذ.

وأقبل نفر من هوازن وبني نضر باتجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله، فلما رأهم نزل عن بلغته البيضاء واستنصر وقال: اللهم نزل نصرك⁶⁹⁶، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض واستقبل وجوه الأعداء وقال: شأهت الوجوه⁶⁹⁷، فصرخ جبلة بن الحنبل: لقد بطل السحر اليوم، فقال له صفوان بن أمية: أسكن كسر الله أسنانك، فوالله لأن يكون عليّ ملك من قريش خير من أن يكون عليّ ملك من هوازن.

الأنصار تقول لبيك يا رسول الله ﷺ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عبّاس أصرخ يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرّة، فصرح العبّاس فأجابوا لبيك لبيك، ورجع الجيش حتى انتهى إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقتتل الناس واشتدت المعركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الآن حمي الوطيس⁶⁹⁸.

⁶⁹⁵ - الراوي: عمرو بن عبد الله السبيعي، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أوالرقم: (1776).

⁶⁹⁶ - الراوي: عمرو بن عبد الله السبيعي، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أوالرقم: (1776).

⁶⁹⁷ - الراوي: سلمة بن الأكوع، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أوالرقم: (1777).

⁶⁹⁸ - صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه (1398-1399) وفي مسند أحمد (1775) وصححه شاكر.

قال جبير بن مطعم: رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجاد الأسود⁶⁹⁹ أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة ثم لم يكن إلا هزيمة القوم⁷⁰⁰.

شبية يريد قتل رسول الله ﷺ

وعندما التحم الجيشان أقدم شبية بن عثمان بن أبي طلحة، وكان أبوه قُتل يوم أحد، حتى يقتل رسول الله ﷺ ليثأر لأبيه، فاقترب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن عُشي فواده فلم يره فقال: إنه ممنوع مني، وقال فحجته عن يمينه فإذا العباس، قلت: عمه ثم حجته عن يساره فإذا أبوسفیان بن الحارث، فقلت: ابن عمه فحجته من خلفه ودنوت⁷⁰¹ منه لأقتله فرُفِع إلي شواظ من نار كأنه البرق، فالتفت إلي رسول الله ﷺ وقال: يا شبية اقترب، فاقتربت فوضع يده على صدري فاستخرج الله الشيطان من صدري، فوالله إنه هناك أحب إلي من سمعي وبصري، ولو لقيت أبي تلك الساعة لضربتته بالسيف.

699 - الجاد الأسود: الكساء الغليظ.

700 - ضعيف: لجهالة في إسناده. وهو عند البيهقي في دلائل النبوة (146/5) وفي تفسير ابن

كثير (72/4) وتاريخ الطبري (169/2).

701 - ودنوت: اقتربت.

رسول الله ﷺ ينتصر

وأخذت هوازن تنهزم فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حجارة صغيرة ورمى بمن في وجوههم وقال: انهزموا ورب الكعبة! انهزموا ورب الكعبة⁷⁰²، واشتد القتل وقوي على ثقيف حتى انهزمت، ولحققتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدرك ربيعة بن ربيع، دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ فأخذ بخطام بعيره وألقاه⁷⁰³ فقال: دُرَيْدُ ماذا تريد؟ قال ربيعة: أقتلك قال: مَنْ أنت؟ قال: ربيعة بن ربيع السلمى، فَضْرِبَهُ فَلَمْ يَعْرِفَ قَتْلَهُ.

فقال دُرَيْدُ: خذ سيفي واضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، وأبلغ أمك إنك قتلت دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ، فضربه فقتله فلما، عاد وأبلغ أمه إنه قتل دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ، قالت له: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْتَقَ أُمَّهَاتُ لَكَ ثَلَاثًا⁷⁰⁴.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد والناس مجتمعون عليها فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعض مَنْ معه: أدرك خالد فقل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفًا⁷⁰⁵، وقال: إن قدرتم يجاد وهو رجل من بني سعد فلا يُفْلِتَنَّكُمْ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة عاملوهم بقسوة في الطريق.

فقالت الشيماء: تعلموا والله إني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله ﷺ أنا أختك من الرضاعة، قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضّ عضضتنيها في ظهري عندما جعلتلك

⁷⁰² - الراوي: العباس بن عبد المطلب، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أوالرقم: (1775).

⁷⁰³ - وألقاه: أوقعه على الأرض.

⁷⁰⁴ - حسن الإسناد: كما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري(638/7) وعزاه إلى البزار في مسنده، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة(154/5).

⁷⁰⁵ - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه(22/2) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وعند أبي داود في سننه(2669) وابن ماجه في سننه(2842).

ترتكبي عليّ، فعرف رسول الله ﷺ العلامة وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيّرهما: إن أحببت فعندي محبة مُكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فَعَلْتُ⁷⁰⁶ فقالت: رُدّني إلى قومي، فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومها مُعززة مُكرمةً. وأنزل الله عز وجل في يوم حُنين قوله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) (التوبة: 25-26).

ثم جُمعت سبايا حُنين وأموالها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرون ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة، وقد جاءته عليه الصلاة والسلام يوم حُنين أمه من الرضاعة حليلة السعدية بنت أبي ذؤيب من هوازن، فَالْتَقَتَ إِلَيْهَا وبسط لها رداءه فجلست عليه واختلَف في إسلامها وإسلام زوجها كما اختلف في إسلام ثوية.

غزوة الطائف

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من معركة حُنين فرّ رجال هوازن وثقيف إلى الطائف، وتحصنوا بحصن الطائف، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إعلان الحرب على الطائف فبعث الطُقَيْل بن عمرو الدوسي حتى يهدم صنماً اسمه ذو الكفين وهو صنم من خشب لعمرو بن جمحة، ثم يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج الطُقَيْل سريعاً ومعه أربعمئة رجل وأخذ يحرق الصنم حتى هدمه ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

⁷⁰⁶ - ضعيف: لإنقطاع إسناده. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في التاريخ (171/2) وأورده ابن عبد البر في الإستيعاب (4003).

رسول الله ﷺ يخرج بالجيش باتجاه الطائف

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وكان في طليعة الجيش خالد بن الوليد معه ألف مقاتل فسلك على نخلة اليمانية ثم على قَرْن، ثم على المَلِيح، ثم على بحرة الرُّغَا من لِيَّة وبنى هناك مسجداً وصلى فيه.

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن عوف فهدمه، ثم سلك طريق يقال لها الضيِّقَة فسأل عنها فقيل له عن اسمها فقال: بل هي اليسرى، ثم سار حتى نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إما أن تخرج وإما أن تُحْرَب عليك حائطك؟ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه، ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف وأقام عسكره فما كان من أهل الطائف إلا أن رموا المسلمين رمياً شديداً بالنبل كأنه الجراد، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم وقُتِل من المسلمين اثنا عشر رجلاً وُرُمِيَ⁷⁰⁷ يومئذ عبدالله بن أبي بكر الصديق فجرح ثم ثار عليه جرحه في خلافة أبيه ومات منه.

وقُتِلت عين أبي سفيان بن حرب فحملها في يده فقال له الرسول ﷺ: أيهما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردها عليك؟ فقال: عين في الجنة ورمى بها، ثم إنه شهد اليرموك فقاتل وقُتِلت عينه الأخرى يومئذ.

رسول الله ﷺ يحاصر الطائف ويرميهم بالمنجنيق

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وعشرين ليلة وبنى مسجده الذي هو الآن بالطائف، وكانت معه امرأتان من نساءه أم سلمة وزينب وضرب لهما قُبَّتَيْن، وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق.

⁷⁰⁷ - ورمي: أي أصيب.

فكان الرسول ﷺ أول مَنْ ضربهم بالمنجنيق هم أهل الطائف⁷⁰⁸ وأمر بقطع أعناب
ثقيف وتحريقها فقطعها المسلمون، ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركها
لله وللرحم فقال: إني أتركها⁷⁰⁹ لله وللرحم.

وتقدم أبوسفیان بن حرب بن المغيرة بن شعبة منادياً: يا أهل ثقيف أمثوناً حتى
نكلمكم فأمنوهم، فقال لنساء من قريش وبني كنانة ليخرجن وهو يخاف عليهن السبي
فأبين ومنهن آمنة بنت أبي سفيان، ثم نادى مناد من المسلمين: أيما عبد نزل من
الحصن وخرج إلينا فهو حر.

فنزل منهم بضعة عشر رجلاً فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دُحنا حتى نزل الجعرانة
ومعه الجيش ومعه من هوازن سي كثير.

فقال له رجل: يا رسول الله أدع على ثقيف فقال: اللهم اهد ثقيفاً وأت
بهم⁷¹⁰، وهناك أي في الجعرانة جاءه وفد من هوازن قد أسلموا، وكانت نساؤهم
وأطفالهم مع النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله ﷺ إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما
لم يُخَفْ عليك فأمسُ علينا من الله عليك، وقام رجل فقال يا رسول الله ﷺ: إنما في
الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كُنَّ يكفلنك وأنت خير المكفولين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم،
فقالوا: بل ترد إلينا نساءنا وأبناؤنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: أما ما كان لي ولبني
عبدالمطلب فهو لكم، وإذا أنا صليتُ الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم.

708 - لا إسناده له: أورده ابن كثير في البداية والنهاية (348/4).

709 - أتركها: أدعها.

710 - إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي في سننه (3942) وفي مسند أحمد (143/3).

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر بالناس قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ما كان لي ولبي عبدالمطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم⁷¹¹، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

إسلام مالك بن عوف

وسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن ما فعل مالك بن عوف النضري؟ قالوا: هو بالطائف مع ثقيف فقال: أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل⁷¹²، فلما علم مالك بذلك خاف من ثقيف على نفسه، فخرج لياً ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجرعانة أو بمكة، فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، فأسلم وحسن إسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتلك القبائل ثمانية، وسلمة، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرحاً إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم.

رسول الله ﷺ يوزع الغنائم

فلما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا هوازن إلى أهلها، قام بتوزيع الغنائم على المسلمين.

فجاءه أبو سفيان بن حرب فقال: يا رسول الله ﷺ أنت اليوم أغنى قريش فتبسم رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: حظنا من هذه الأموال، فأمر النبي ﷺ بلالاً فأعطى أبا سفيان مائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، فقال أبو سفيان: حظ ابني يزيد فأعطاه مائة

⁷¹¹ - الراوي: جد عمرو بن شعيب، المحدث: الوادعي، المصدر: الشفاعة، الصفحة أوالرقم: (307).

⁷¹² - صحيح: أخرجه البيهقي في الدلائل (198/5) وفي مجمع الزوائد للهيثمي (189/6) وعزاه إلى الطبراني في الكبير وقال: رجاله ثقات أ ه .

من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، ثم قال أبوسفيان: حظ ابني معاوية فأمر أيضاً بمائة من الإبل وأربعين أوقية من الفضة، فقال أبوسفيان بن حرب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ لأنك كريم في الحرب والسلم وهذا غاية الكرم جزاك الله خيراً.

وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة، وقد أسلم صفوان بهذا السفر، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، فسأله أخرى فأعطاه، وأعطى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو الذي أراد قتل الرسول ﷺ يوم حنين.

وهناك جاء رجل يقال له ذو الخويصرة فقال لرسول الله ﷺ: يا محمد ﷺ أعدل، فقال: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون⁷¹³؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ﷺ دعني أقتل هذا المنافق، فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي⁷¹⁴.

الأنصار تبكي أمام رسول الله ﷺ

ولما أعطى رسول الله ﷺ تلك العطايا لأهل قريش وقبائل العرب لم يعط الأنصار منها شيئاً، أخذ هذا الأمر في أنفسهم حتى كثر الكلام السيء، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل سعد بن عبادة على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء⁷¹⁵ الذي أصبت، فقد قسّمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء.

⁷¹³ - الراوي: عبدالله بن عمرو، المحدث: الألباني، المصدر: تحريج كتاب السنة، الصفحة أوالرقم:

(930).

⁷¹⁴ - الراوي: جابر بن عبدالله، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أوالرقم:)

(1063).

⁷¹⁵ - الفيء: الغنائم.

فقال الرسول ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ﷺ ما أنا إلا من قومي، فقال الرسول ﷺ: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فخرج سعد فجمع الأنصار وجاء رجال المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فرددّهم.

فلما اجتمعوا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم، وحدة وجدتموها عليّ في أنفسكم، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ﷺ؟ لله ولرسوله المنّ والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم قلّ صدقتم ولصدقتم: أتيتنا مُكذِّباً فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأويناك وعائلاً فأسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه والبعير، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رجالكم؟

فوالذي نفس محمد ﷺ بيده لولا الهجرة لكنثُ إمراً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا⁷¹⁶.

فازداد حب الصحابة لرسول الله ﷺ ومنهم الحارث بن هشام، سهيل بن عمرو، حكيم بن حزام، صفوان بن أمية، عُمير بن وهب، مطيع بن الأسود، معاوية بن أبي سفيان، عكرمة بن أبي جهل، عتّاب بن أسيد، جبير بن مطعم رضي الله عنهم أجمعين.

⁷¹⁶ - إسناده صحيح عند الإمام أحمد في مسنده (76/3) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (29/10) ورحاله رجال الصحيح أ ه وفي صحيح البخاري بنحوه (4337) وصحيح مسلم (735-736).

وفي هذه السنة أسلم عروة بن مسعود الثقفي حيث لحق برسول الله ﷺ وأدركه قبل أن يدخل المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) فقال له: يا رسول الله ﷺ اسمح لي أن أرجع إلى الطائف وأدعوهم.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم قاتلوك، فقال: أنا أحب إليهم من أبكارهم وأبصارهم وأنا فيهم مُطاعاً، فَخَرَجَ فلما أشرف عليهم ودعاهم إلى الإسلام رموه بالنبل من كل جانب حتى قتلوه، ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

حيث خرج أبو مليح بن عروة، وقارب بن الأسود قبل وفد ثقيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) وشهدوا شهادة الحق وأسلموا فلما فرغوا من أمرهم توجهوا إلى بلادهم راجعين، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة من أجل هدم الطاغية اللات، وتم هدم الطاغية اللات فأخذ أبوسفيان والمغيرة يضربها بالفأس.

عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً، وعندما أنهى عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وحج عتاب بن أسيد بالمسلمين سنة ثمانية.

وعندما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة لحق به كعب بن زهير ، حيث أمره أخوه بجير بن زهير وقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَتَلَ رجالاً بمكة ممن كانوا يهجوهم ويؤذونه، ولم يبق من شعراء قريش سوى ابن الزبير وهبيرة بن أبي وهب وقد هربوا في كل وجه، فإذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل من جاءه تائباً.

فلحق كعب بن زهير حتى وصل المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) ثم ذهب إلى رجلٍ من جهينة كانت بينهم معرفة قديمة، وأخبره إنه جاء تائباً مسلماً فأخذ

الرجل الذي من جهينه كعب بن زهير إلى المسجد وصلُّوا صلاة الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أشار لكعب بن زهير وقال له: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقم إليه واستأمنه.

فقام كعب بن زهير ووضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير جاء مسلماً تائباً، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتُك به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير⁷¹⁷ فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه⁷¹⁸، فغضب كعب بن زهير على هذا الحي من الأنصار ولم يغضب على المهاجرين لأنه لم يتكلم منهم أحد إلا بخير، فقال قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهي البردة ومنها:

بانت سعاد فقلي اليوم متبول مُتيم إثرها لم يُفد مكبول
وبعد أن أسلم أخذ بمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنها:

من سرّه كرم الحياة فلا يزل في مقب من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار
ودخلت سنة تسع فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدِّقين حتى يأخذوا
الصدقات من قبائل الأعراب، ثم بعث السرايا فمنها سرية عيينة بن حصن الفزاري إلى
بني تميم حيث كان معه خمسون فارساً سائراً بالليل ويكمن بالنهار، وهجم عليهم
بالصحراء وكانوا قد سرحوا مواشيهم، فلما رأوا السرية هربوا فأسر عيينة بن حصن منهم

⁷¹⁷ - صحيح: عند الحاكم في مستدركه(583/3) وصححه ووافقه الذهبي وأورده ابن كثير في البداية والنهاية(369/4) من طريق ابن إسحاق.

⁷¹⁸ - إسناده حسن: على ما ورد في مجمع الزوائد للهيثمي(393/9) وعزاه إلى الطبراني.

أحد عشر رجلاً وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وساقفهم إلى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) ونزلوا في دار بنت الحارث، ثم لحق بالأسرى رؤسائهم عطارد بن حاجب، والزبيرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، والأفرع بن حابس، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، ورياح بن الحارث.

فلما رأوا نساءهم وأبناءهم بكوا إليهم، وجاءوا إلى باب النبي ﷺ فنادوه: يا محمد ﷺ أخرج إلينا لنفاخرك ولنشاعرك، فنزل فيهم قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (الحجرات 4) فكان مجيئهم وقت صلاة الظهر، فأقام بلال الصلاة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ثم جلس في صحن المسجد، فتقدم عطارد بن حاجب فتكلم وخطب، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس حتى يرد عليهم فأجابهم فغلبهم، فقام الزبيرقان وهو شاعر بني تميم فأنشد:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

إنا أئينا ولم ياب لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع

وكان حستان بن ثابت غائب فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حستان بن ثابت وهو يقول:

وإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا ولا تلبسوا زياً كزي الأعاجم

فلما سمع حستان منهم الشعر، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُم يا حستان فأجب الرجل فقال حستان:

إن الذوائب من فخر وأخواتهم قد يئنون سنة للناس تتبع

يرضى بما كل من كانت سريرته تقوى الإله وكل الخير يصطنع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

فلما فرغ حستان، قال الأفرع بن حابس: إن هذا الرجل لمؤتى وهو أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، ثم أسلموا وأحسن رسول الله

صلى الله عليه وسلم جوائزهم ورد عليهم نساءهم وأبناءهم، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية قطبة بن عامر في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم بناحية تبالة فقتلهم الغارة واقتتلوا قتالاً شديداً فانتصر عليهم وساق النساء والشاة إلى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام).

سرية علي بن أبي طالب إلى صنم طئ ليهدمه

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ومعه مائة وخمسون رجلاً من الأنصار ومعهم مائة بعير وخمسون فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلج وهو صنم طئ ليهدمه، فشئتوا الغارة مع الفجر وهدموه وملؤوا أيهدهم من السبي والنعم والشاة، ومن السبي كانت أخت عدي بن حاتم وكان عدي قد هرب إلى الشام.

يقول عدي بن حاتم: عندما سمعت بمحمد ﷺ كنت أكثر وأشد رجلاً من كل العرب كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت رجلاً شريفاً ونصرانياً وملكاً في قومي، وكنت أسير في قومي بالمرباع⁷¹⁹ فقلت لغلام عربي لي وكان راعياً لإبلي: أعد لي من إبلي أجماً ذلاً سماناً فاحبسها قريباً مني، وإذا سمعت بخيل محمد ﷺ قد وطئت هذه البلاد فأبلغني ففعل.

وبعد فإنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي بن حاتم فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد ﷺ فقلت: قرب لي أجماً ففقرها فاحتملت أهلي وولدي وهربت حتى ألحق بأهل ديني من النصارى في الشام.

وتركت ابنتين لحاتم الطائي أي أخوات لي، ودخلت جيوش محمد ﷺ فأصابت ابنة حاتم من سبايا طيء، وأخذوها إلى المدينة المنورة وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إني هربت إلى الشام.

⁷¹⁹ - المربع: أي يأخذ الربع من الغنائم، وكان العرب يجعلون ذلك للرئيس.

وعندما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم غاب الوافد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة، ما بي من خدمة فامتنن عليَّ منَّ الله عليك.

فقال: مَنْ وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله ﷺ، ثم مضى وتركها فلما كان الغد قالت له: ما قالت بالأمس، فقال لها: ما قال وتركها، فلما كان بعد الغد وقد يئست وعندما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشار لها رجل من خلفه أن قومي كلّميه، فقالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الوالد وغاب الوافد فامتنن عليَّ منَّ الله عليك، فقال: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك مَنْ يكون ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذني، قالت: فسألت عن الرجل الذي كان خلفه الذي أشار لي أن أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: علي بن أبي طالب.

وجاء ركب من بلى أو قضاة فقلت لهم: أريد أن ألحق بأخي في الشام، وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته، فكساني وحملني وأعطاني نفقة⁷²⁰.

إسلام عدي بن حاتم

وسافرت حتى بلغت الشام فجنّث أخي وقلت: يا أخي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها، أخرج إليه راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه وفلان فأصاب منه، قال عدي: فانطلقت من الشام قاصداً رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، ولما وصلت أتيت وهو جالس في المسجد فقالت الصحابة: هذا عدي بن حاتم وقد جنّته بغير أمان ولا كتاب.

فلما جلست بين يديه أخذ بيدي وقد كان قبل ذلك قال: أني لأرجو أن يجعل الله يده بيدي ثم قام بي فلقيته امرأة ومعها صبي فقالا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لنا حاجة عندك فمشى معهما حتى قضى حاجتهما، فقلت في نفسي: والله

⁷²⁰ - الراوي: عدي بن حاتم، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم: (57/5).

ما هذا بملك، ثم أخذ بيدي حتى دخل على بيته فتناول وسادة محشوة ليفاً، فقال: اجلس عليها، فقلت: بل أنت اجلس عليها، قال: بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: أيه عدي بن حاتم، ألم تكن ركوسياً⁷²¹ قلت: بلى، قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع، قلت بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك، فقلت: أجل وعرفت أنه نبي مرسل ﷺ يعرف ما يُجهل، ثم قال: يا عدي لعلك إنما منعتك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم⁷²² فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين إنك ترى إن الملك والسلطان في غيرهم، وأتم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم، قال عدي: فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وإنك يا محمد رسول الله ﷺ، ثم إن عدي بن حاتم كان يقول: والله لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت. وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، ووالله لتكونن الثالثة ليفيضم المال حتى لا يوجد من يأخذه⁷²³.

وفي هذه السنة هجر رسول الله ﷺ نساءه فقال: ما أنا بداخل عليهن شهراً، فاعتزل في مشربة له فنزل بعد تسع وعشرين ليلة فبدأ بعائشة، فقالت: يا رسول الله ﷺ أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عدّاً، فقال: الشهر تسع وعشرون⁷²⁴.

⁷²¹ - ركوسياً: قوم لهم دين بين النصارى والصابئين.

⁷²² - حاجتهم: فقرهم.

⁷²³ - الحديث صحيح: بمجموع طرقه وشواهده. عند البخاري بنحوه في صحيحه (3595) وفي مسند أحمد (379/4) وعند الهيثمي في مجمع الزوائد (335/5).

⁷²⁴ - الراوي: عمر بن الخطاب، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (5191).

غزوة تبوك

وجاءت غزوة تبوك وهي آخر غزوة للرسول صلى الله عليه وسلم، فبعد أن مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام في المدينة المنورة ما بين ذي الحجة إلى رجب من هذه السنة أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم في تبوك وهي آخر غزواته، وذلك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر، وجذب من البلاء، وحين طابت الثمار، والناس يحبون الجلوس في ظل ثمارهم، ويكرهون الخروج في مثل هذه الظروف. لذلك بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم للناس أنه متوجه إلى تبوك حتى يستعدوا لها، ليُعد المسافة وشدة الزمان والمكان وكثرة العدو.

فجاء الجد بن قيس وهو من بني سلمة فقال: يا رسول الله ﷺ أوتأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي إنه ما من رجل بأشدّ عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنتُ لك، ففي الجد بن قيس نزلت هذه: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)⁷²⁵ (التوبة 49) وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة 81).

رسول الله ﷺ يأمر بحرق بيت سويلم

فلما علم رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يُبْطون الناس عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، بعث إليهم طلحة بن عبيدالله في نفر من أصحابه وأمرهم أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعل طلحة⁷²⁶.

⁷²⁵ - هكذا عن ابن إسحاق مراسلاً: ضعيف عند البيهقي في الدلائل(213/5) وأردده الطبري في تفسيره(181/2) والقرطبي في تفسيره(148/8).

⁷²⁶ - هكذا ضعيف: لجهالة في إسناده(الثقة عمن حدثه).

وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره وأمر الناس بالجهاز وحض أهل الغنى على النفقة في سبيل الله، فكان أول من جاء بماله كله أبو بكر الصديق، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء الناس بمال كثير وطلحة وسعد بن عبادة ...

البكاؤون

إلا أن رجلاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤون وهم سبعة من الأنصار فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً لأنهم لم يجدوا ما ينفقون⁷²⁷.

وكانت نصارى العرب قد كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك وأصابته قومه سنين فهلكت أموالهم، فبعث هرقل جيشاً يُقدّر بأربعين ألف رجلاً، فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ولم يكن للناس قوة فجاء عثمان بن عفان وقد جهّز عيراً للشام فقال: هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية، فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض⁷²⁸.

رسول الله ﷺ يأمر الجيش بالمسير

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش بالمسير وخرج وضرب عسكره على ثنية الوداع، واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري، إلا أن نفرًا من المسلمين أبطأت بهم النية فتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم: كعب بن مالك، مرارة بن الربيع، هلال بن أمية، وأبو خيثمة، وكانوا نفر صديق لا يُتَّهَمون في إسلامهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خلف علي بن أبي طالب على أهله، وأمره بالإقامة فيهم لكن المنافقين قالوا: ما خلفه إلا استثقلاً وتخففاً منه، فلما علم علي بن أبي طالب بهذا القول، حمل سلاحه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم

⁷²⁷ - صحيح: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (218/5) وأصله في الصحيحين عند البخاري في صحيحه (4415) وعند مسلم في صحيحه (1269-1271).

⁷²⁸ - ضعيف الإسناد واهية: ضعفه الألباني في فقه السنة للغزالي (417).

حتى أتاه وهو بالجرف، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني إنك استثقتني وتخفتني مني فقال: كذبوا ولكني خلّفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي⁷²⁹، فرجع علي بن أبي طالب إلى المدينة ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسفره قاصداً تبوك.

ورجع أبوخيصة إلى أهله بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد امرأتين له قد جهزت كل واحدة منهن عريشها حيث الماء والطعام والظل، فوقف على باب العريشين فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والريح والشمس، وأبا خيصة في ظل بارد وطعام وامرأة حسناء، والله ما هذا بالعدل! والله ما أدخل عريش واحدة منكما حتى ألقى برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهيئ لي زاداً ففعلتا، ثم قفل لاحتقاً برسول الله ﷺ حتى إذا اقترب من تبوك قال الجيش: هذا راكب على الطريق مقبلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُنْ أبا خيصة، ولحق بالجيش وأخبر الرسول ﷺ بما حدث فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم⁷³⁰.

وتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش المسير حتى مرّ بالحجر، فوضع ثوبه على وجهه الشريف واستعجل ناقته وقال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يُصيبكم مثل ما أصابهم⁷³¹، فلما أصبحوا لا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الجيش واحتملوا حاجتهم من الماء، فقال المنافقون: ما هي إلا سحابة مارة.

⁷²⁹ - صحيح: من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند البخاري في صحيحه(4416) ومسلم في صحيحه(1871).

⁷³⁰ - صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه(2120-2122).

⁷³¹ - صحيح: رواه متصلاً البخاري في صحيحه(3381) ومسلم في صحيحه(2286).

وعن ابن إسحاق: حين مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضئوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجمتموه فأعلمفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ولا يخرجنّ أحداً منكم الليلة إلا ومعه صاحب له.

ففعل الجيش إلا رجلين واحد ذهب لقضاء حاجته فُخِنَقَ على مذهبه، والآخر ذهب في طلب بعيه فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيء، وعندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال: ألم أنكم أن لا يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي أُصيب على مذهبه فشفي وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإن طيباً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة⁷³².

رسول الله ﷺ يُبلغ عن ناقته

وأثناء مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته وخرج أصحابه حتى يبحثوا عنها، فقال زيد بن اللّصيت: أليس محمد ﷺ يزعم أنه نبي ﷺ ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن رجلاً قال: هذا محمد ﷺ يخبركم أنه نبي ﷺ ويزعم أنه يخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها⁷³³، فذهبوا فوجدوها كما قال عليه الصلاة والسلام.

رسول الله ﷺ يترحم على أبي ذر

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش فجعل يتخلف الرجل فيقولون: يا رسول الله ﷺ تخلف فلان فيقول: دعوه فإن يك فيه خيراً فسئليحّقه الله تعالى بكم، وإن

⁷³² - صحيح: بمجموع طرقه. وهو عند البخاري في صحيحه (3378) وفي صحيح مسلم (2286).

⁷³³ - الراوي: عاصم بن عمر بن قتادة، المحدث: ابن حزم، المصدر: المحلى، الصفحة أو الرقم: (222/11).

يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه، حتى تخلف أبوذر لإن بعيره أبطأت⁷³⁴ فما كان من أبي ذر إلا أن حمل متاعه على ظهره ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً. ونزل رسول الله ﷺ ببعض الطريق⁷³⁵ فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ﷺ ذاك رجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر، فلما جاء الرجل إلى الجيش قالوا: هو والله يا رسول الله ﷺ أبوذر فقال: يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده⁷³⁶.

وفي عهد عثمان بن عفان عندما نفى أبا ذر إلى الرنذة وأصابه بما قدره⁷³⁷ ولم يكن معه إلا امرأته وغلّامه، فأوصاهما أن غسلائي وكفنائي، ثم ضعاني على قارعة الطريق، وأول ركب يمرُّ بكم قولوا: هذا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ فساعدونا على دفنه.

فلما مات غسّلوه وكفّنوه ووضعوه على قارعة الطريق فمر به عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق، فلم يرعهم إلا بالجنّازة، فقام إليهم الغلام فقال: هذا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعينونا على دفنه، فاستهل عبدالله بن مسعود بالبكاء ويقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك، ثم نزل هو وأصحابه ودفنوه، ثم قال عبدالله بن مسعود لأصحابه: هذا ما قاله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر في مسيره إلى تبوك⁷³⁸.

734 - أبطأت: تعبت.

735 - ببعض الطريق: استراحة الجيش.

736 - الراوي: عبدالله بن مسعود، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم:

(8/5).

737 - قدره: أي موته.

738 - صحيح: عند الحاكم في مستدرکه(50/3) وانظر قصة الوفاة كاملة عند ابن حبان في صحيحه(6635).

وكان هناك رهطاً من المنافقين منهم وديعة بن ثابت ومُحَشَّن بن مُمَيْر قالوا لبعضهم بعضاً: أتَحْسُونَ قتال بني الأصفر كقتال العرب، غداً ستكونون مقرنين بالحبال وذلك ترهيباً⁷³⁹ للمؤمنين.

فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث إليهم عمار بن ياسر وقال: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بلى قلتكم كذا وكذا، فانطلق عمار وقال لهم: فما كان منهم إلا أن جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون وقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كُنَّا نخوض ونلعب.

رسول الله ﷺ ينزل في تبوك

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، فأتاه يحنة بن روبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية، ثم أتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه أيضاً الجزية.

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضعة عشرة ليلة، وهرب هرقل وجيشه، لكنه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه أسلم فقال رسول الله ﷺ: كذب وهو على نصرانته، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة المنورة، وكان في الطريق ماء قليل يخرج من جبل بوادٍ يقال له: المشقق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يَسْتَقِيَنَّ منه شيئاً حتى نأتيه، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه ماء، فقال: مَنْ سبقنا إلى هذا الماء؟ قالوا فلان وفلان فقال: أَوْلَمْ أُهْمِهِمْ أَنْ يَسْتَقُوا منه شيئاً حتى آتاه ثم لعنهم، ثم نزل فوضع يده تحت الحجر فنزل من الماء ما شاء الله ثم مسح بيده ودعا بما شاء الله أن يدعوا، فانخرق من الماء حس كحس الصواعق وشرب الجيش، ثم قال: لئن بقيتم أو بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه⁷⁴⁰.

⁷³⁹ - ترهيباً: حتى يصيب المؤمنين الخوف.

⁷⁴⁰ - الحديث صحيح: بشاهد في صحيح مسلم (1784-1785) وأورده ابن جرير الطبري في التاريخ (185/2) وابن كثير في البداية والنهاية (18/5).

رسول الله ﷺ يترحم على عبدالله المزني

وأثناء العودة مات عبدالله المزني فكان أبوبكر وعمر يُدليانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر فلما هياه قال: اللهم إني أمسيت راضياً عنه فارض عنه، قال عبدالله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة⁷⁴¹ ومُتمي عبدالله المزني بذي الجحادين، لأن قومه كان يمنعوه من الإسلام فتركوه في بجاد⁷⁴² واحد فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان قريباً منه شق بجاده إلى نصفين فأنزرت بوحدة واشتمل بالآخر.

رسول الله ﷺ يأمر بهدم مسجد الضرار

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حتى نزل بذي أوان وهي بلد بينها وبين المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) ساعة من نهار، فدعا مالك بن الدخشم ومعن ابن عدي فقال: انطلقا إلى هذا المسجد⁷⁴³ الظالم أهله فأهدماه وأحرقاه، فخرجا سريعاً حتى هدماه وحرقاه ونزل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة 107).

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين وتخلف أولئك الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: لا تُكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة، واعتزل المسلمون كلام أولئك نفر الثلاثة.

⁷⁴¹ - ضعيف: إسناده منقطع. انظر تفصيل ذلك في الإصابة لابن حجر (99/4) وفي مجمع الزوائد

للهيتمي (369/9).

⁷⁴² - بجاد واحد: الكساء الغليظ.

⁷⁴³ - المسجد: هو مسجد الضرار.

⁷⁴⁴ - هنا بدون إسناده عند ابن إسحاق. وأورده ابن كثير في التفسير (149/4) وذكر له عن الزهري

ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر وابن قتادة وغيرهم مراسلاً وعند الشوكاني في فتح القدير (568/2).

قصة كعب بن مالك

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن كعب بن مالك إنه قال: ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط، غير إني قد كنت تخلفت عن غزوة بدرلإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أراد غير قريش، وأني شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ولكن عندما تخلفت عن غزوة تبوك كنت قوياً وعندى راحلتان، ولم يكن هذا في الغزوات السابقة مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضح للمسلمين أنه يريد الروم في تبوك حيث السفر البعيد، وكثرة العدو، والحر الشديد.

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغزوة حين طابت الثمار وأجبت الظلال فتجهز المسلمون وجعلت أعدوا لأتجهز معهم ثم أرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي أنا قادر على ذلك لو أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى تجهز الجيش وساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً حتى ابتعد الجيش وسبقني، فقلت يجب أن ألحق بهم وليتني فعلت، فلم أفعل.

فبعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت إذا خرجت في الناس لا أرى إلا رجلاً مغموصاً في النفاق، أو رجلاً من الضعفاء المعذورين، وهذا الأمر الذي أحزنني، وزادني حُزناً عندما جاءني الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في تبوك قال: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله ﷺ حسبه برداه⁷⁴⁵ فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ﷺ ما علمنا منه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلاً من تبوك اشتد عليّ الحزن، فجعلت أتذكر الكذب وأقول بما

⁷⁴⁵ - برداه: أي الثياب، أي شغلته الدنيا.

أخرج من سخطه غداً حتى نزل عليه الصلاة والسلام وجيش المسلمين المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام).

وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل هذا جاءه المخلفون فجعلوا يحلفون له ويعتذرون وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم على نيتهم وأيمانهم ويستغفر لهم، ويكبل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت فسلمت عليه، فتبسم تبسم الم غضب، ثم قال عليه الصلاة والسلام: تعال ثم قال: ما خلّفك ألم تكن ابتعت ظهرك⁷⁴⁶ قلت: إني يا رسول الله ﷺ والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت إني سأخرج من سخطه بعذر ولقد أُعطيْتُ جدلاً⁷⁴⁷ لكن والله لقد علمت لئن حَدَّثْتُكَ اليوم حديثاً كذباً لترضين عني، ويغضب الله عليّ، ولأن حدثتك حديثاً صدقاً لتغضب عليّ فيه وإني أرجو عُقبائي من الله فيه.

يا رسول الله ﷺ: والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى وأيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدقت فيه، فقم حتى يقضي الله فيك، فقمْتُ وقام معي قومي بنو سلمة وقالوا لي: إنك لم تذب ذنباً قبل هذا فلو إنك اعتذرت كما اعتذر المخلفون، فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي⁷⁴⁸، ثم قلت لهم: هل لقي هذا أحد غيري؟ قالوا: مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية وهم رجلان صالحان.

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى ضاقت عليّ نفسي والأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرفها، ولبنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحبائي فجلسا في بيوتهما، وأما أنا فكنت أكثرهم قوة وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين وأطوف بالأسواق لكن لا يكلمني أحد، وكنت آتي الرسول ﷺ فأسلم عليه في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك

⁷⁴⁶ - ابتعت ظهرك: أي ألم يكن لديك راحلة.

⁷⁴⁷ - أعطيت جدلاً: الكلام الحسن.

⁷⁴⁸ - فأكذب نفسي: أي أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ وكنت أصلي قريباً منه فإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتى طال عليّ جفوة المسلمين، إلا أنني صعدت يوماً على جدار حائط لابن عمي أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم إني أحب الله ورسوله ﷺ؟

فسكت فعدت ناشدته فسكت، فعدت ناشدته فسكت عني ثم عدت ناشدته فقال: الله ورسوله ﷺ أعلم، ففاضت عيني من البكاء، ثم غدوت إلى السوق، وبينما أنا أمشي إذ رجل من نبط الشام⁷⁴⁹ ممن جاء إلى المدينة المنورة لبيع الطعام يقول: مَنْ يدلني على كعب بن مالك فجعل الناس يشيرون إليّ حتى جاءني.

فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان فإذا فيه أما بعد: فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضبعة فالحق بنا نواسيك، فقلت: هذا من البلاء أيضاً قد بلغ بي أن رجلاً من أهل الشرك قد طمع بي فأحرقت الكتاب.

فأقمنا نحن الثلاثة على ذلك حتى مضت أربعون ليلة من الخمسين وإذا رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، بل إعتزلها ولا تقر بها ثم إنه ذهب إلى صاحبائي مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية وأبلغهم بما قال لي، فقلت: لإمرأتي إلحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاضٍ.

لكن امرأة هلال بن أمية جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله ﷺ إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خدم له أفتكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربنك، قالت: والله يا رسول الله ﷺ ما به من حركة إليّ، وما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوفتُ على بصره.

⁷⁴⁹ - نبط الشام: قوم من الأعاجم.

وقال أهل كعب له: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإمرأتك فقد
أذن لإمرأة هلال بن أمية، قال كعب: والله لا أستأذنه بها، وما أدري ما يقول لي وأنا
رجل شاب.

ولبنا بعد ذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة مُنذ أن نهي رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسلمين عن كلامنا.

توبة من الله على كعب بن مالك

وصلت الصبح صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، حيث ضاقت علينا
الأرض بما رُحبت وضاقت عليّ نفسي وقد كنت ابتنيتُ خيمة على مكان مرتفع
فكنت أكون فيه، إذ سمعت صوت صارخ من مكان مرتفع يصرخ بأعلى صوته: يا
كعب بن مالك أبشر فخررت ساجداً، وعرفت إنه الفرج، وأبلغ رسول الله ﷺ الناس
بتوبة الله علينا، فركض الناس حتى يبشروننا فذهب نحو صاحبي مبشرون وجاءني الذي
سمعت صوته يبشرنى.

فزعمت ثوبيّ فكسوتهما إياه ووالله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين
فلسبتهما ثم انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس يبشرونني حتى
دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وحوله الصحابة فقام إليّ
طلحة بن عبيدالله فحياني وهنأني، ثم سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه يبرق من السرور فقال: أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك، قلت: أمن
عندك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من عند الله قال: بل من عند الله، وكنا
نعرف إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استبشر كأن وجهه قطعة قمر.

فقلت: يا رسول الله ﷺ إن من توبتي إلى الله أن أخلع من مالي صدقة إلى الله
ورسوله ﷺ فقال: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، قلت: إني ممسك سهمي
الذي بخير وإن الله بخاني بالصدق وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ما
حييت، وأنزل الله قوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ

بِهِمْ رِءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ
تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) (التوبة 117-119).

قال كعب: فوالله كانت أفضل نعمة عليّ بعد دخولي الإسلام هي صدقي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الذين كذبوا على رسول الله نزل فيهم:
(سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ
وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96) ⁷⁵⁰ (التوبة 95-96).

وفي هذه السنة عندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة
رحم المرأة الغامدية، وتوفيت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي
النجاشي فنعاه وخرج إلى المصلى وصف أصحابه خلفه وكبر عليه أربع تكبيرات،
ومات عبدالله بن أبي رأس المنافقين فكفنه الرسول صلى الله عليه وسلم ببردته وصلى
عليه إكراماً لولده عبدالله.

وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهباً إلى تبوك قال: إن الله أعطاني
الليلة الكنزين كنز فارس والروم وأمدني بالملك جهمير ولا ملك إلا الله، يأتون
يأخذون من مال الله ويقاتلون في سبيل الله قالها ثلاث ⁷⁵¹.

فلما رجع إلى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) جاء كتاب ملك جهمير
يُخبر بإسلام ملك جهمير، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة (على
ساكنها الصلاة والسلام).

⁷⁵⁰ - صحيح: رواه البخاري في صحيحه (4418) وعند مسلم في صحيحه (2120-2128)
وفي سنن الترمذي (3102) ومسنده أحمد (454/3) ومصنف عبدالرزاق (9744).
⁷⁵¹ - الراوي: رجل من خثعم، المحدث: الهيثمي، المصدر: مجمع الزوائد، الصفحة أو الرقم:
(59/10).

حج أبي بكر الصديق سنة تسع

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة بقية شهر رمضان وشوالاً
وذا القعدة، ثم بعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج سنة تسع، ليقوم للمسلمين
حجهم، وكان الناس من أهل الشرك في الحج.

فخرج أبو بكر ومعه ثلاثمائة رجلاً وعشرون بدنة، وبعدها نزلت سورة براءة وكانت
تسمى المبعثرة لأنها كشفت سرائر الناس فقالوا: يا رسول الله ﷺ لو بعثت بما إلى أبي
بكر فقال: لا يُؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي⁷⁵²، فدعا علي بن أبي طالب فقال
له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمني: إنه
لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مُدته.

فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعضباء
حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق، فلما رآه أبو بكر، قال له: أميراً أم مأموراً؟ قال: بل
مأموراً، ثم مضياً⁷⁵³ فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب في تلك السنة وكانوا يحجوا كما
في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي
أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا
يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد فهو إلى مُدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم خطبة علي بن أبي
طالب في يوم النحر من حجة أبي بكر، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى
المشركين مهلة أربعة أشهر حتى يتركوا عادات الجاهلية في الحج وغيره⁷⁵⁴.

عام الوفود سنة تسع

⁷⁵² - الراوي: أبوهريرة، المحدث: ابن العربي، المصدر: النسخ والنسخ، الصفحة أوالرقم:
(243/2).

⁷⁵³ - مضيئاً: مشوا مع بعضهم البعض.

⁷⁵⁴ - مرسل حسن الإسناد: ويشهد له ما عند أحمد في مسنده (299/2) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه.

وقد كان ابتداء الوفود بعد رجوعه عليه الصلاة والسلام من الجعرانة آخرسنة ثمان، ولما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف، جاءت وفود العرب من كل وجه تُبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها عرفت لا طاقة لها بحربه ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً قال تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)) (النصر 1-3).

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

وقدم وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى، وهم رؤساء القوم وشياطينهم، فقال القوم: يا عامر إن الناس أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت أود أن تتبع العرب عقبي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد بن قيس: يا أربد إذا قدمنا على هذا الرجل فإني سأشغل عنك وجهه فأضربه بالسيف، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر: يا محمد ﷺ خالني⁷⁵⁵ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا والله حتى تؤمن بالله وحده، قال عامر: يا محمد ﷺ خالني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له، وكان أربد لا يفعل شيئاً، فلما رأى عامر ذلك قال: يا محمد ﷺ أما والله لأملأها عليك خيلاً ورجالاً ثم انصرف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أكفني عامر بن الطفيل، فلما خرجوا قال عامر لأربد: ويترك يا أربد أين ما كنت أمرتُك به⁷⁵⁶؟ قال أربد: والله ما هممتُ أن أضربه بالسيف إلا دخلت⁷⁵⁷ بيني وبين الرجل وما أرى غيرك أمامي، فأضرتُك بالسيف؟ وخرجوا راجعين إلى بلادهم حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر

⁷⁵⁵ - خالني: أريد أن أكلمك على إنفراد.

⁷⁵⁶ - أمرتُك به: أي لماذا لم تقتله وهو أمامك.

⁷⁵⁷ - إلا دخلت: أي إنني عندما أريد أن أقتل محمداً تدخل أنت أمامي فلا أرى إلا أنت.

الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول⁷⁵⁸، وخرج أصحابه حتى دفنوه، فقالوا لأريد: ما وراءك؟ قال: لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين على جمل له فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما، فنزل قوله تعالى: (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) (الرعد 13).

وفد بني سعد بن بكر

وبعث بنو سعد بن بكر ضمام ابن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعندما وصل المدينة المنورة أناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين⁷⁵⁹ فقال: أيتكم ابن عبدالمطلب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن عبدالمطلب، قال: أحمد^ﷺ؟ قال: نعم، قال ضمام: يابن عبدالمطلب أي سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدّن بها على نفسك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك.

قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله بعثك الينا رسولاً^ﷺ؟ قال: اللهم نعم، ثم قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: اللهم نعم، ثم قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم، ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة حتى إذا فرغ قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وسأؤدي⁷⁶⁰ هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا

⁷⁵⁸ - القصة أصلها في صحيح البخاري (4091) وما هنا أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (319/5) وفي مجمع الزوائد للهيتمي (126/6).

⁷⁵⁹ - غديرتين: ذوائب من الشعر.

⁷⁶⁰ - وسأؤدي: أي سوف أفعل.

أزيد ولا أنقص ثم انصرف إلى بعيره راجعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة" وعندما وصل قومه اجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أنه قال: بثست اللات والعزى فقالوا له: مه يا ضمام اتق البرص واتق الجذام واتق الجنون! قال: وتلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان إن الله قد بعث رسولاً ﷺ وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، وأسلم كل من كان حاضراً من الرجال والنساء.

يقول عبدالله بن عباس: فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة⁷⁶¹.

وفد عبد القيس

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود ابن عمرو بن حنش أخو عبد القيس وكان نصرانياً، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه وعرض عليه الإسلام ودعاه إليه ورغبه فيه، فقال الجارود: يا محمد ﷺ إني قد كنت على دين وها أنا تاركه لدينك، أفذلك مما يُمحص الذنوب والمآثم ويرضي الرب؟ فقال له رسول الله ﷺ: أنا ضامن لك ذلك وأخلص الآن الله بالوحدانية ودع عنك دين النصرانية، فقال الجارود: فذاك أبي وأمي مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك محمدٌ عبده ورسوله، فأسلم وأسلم معه أناس من قومه⁷⁶².

وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما

⁷⁶¹ - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (63) ومسلم في صحيحه (42/41) ومختصراً عند أبي داود في سننه (487) وفي سنن النسائي (2091) وسنن ابن ماجه (1402) ومسنده أحمد (264/1) وسنن الدارمي (652/1).

⁷⁶² - الراوي: الحسن البصري، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أوالرقم: (215/2).

أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا قد خَلَفْنَا صاحباً لنا في ركابنا يحفظها لنا، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه ليس بشركم مكاناً⁷⁶³، ثم انصرفوا. فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم وقال: إني قد أشركت في الأمر⁷⁶⁴ معه ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ويقول: لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا، ثم أحل لهم الخمر والزنا ووضع عنهم الصلاة، مع أنه يشهد أن رسول الله ﷺ نبي مرسل.

وفد طيء

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فلما انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمهم وعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وحسن إسلامهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ذُكر لي رجل من العرب بفضلي ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير. وخرج زيد الخير راجعاً إلى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ينح زيد من حمى المدينة فإنه⁷⁶⁵ وفي رواية: يا زيد تقتلك أم ملدم، أي الحمى. فلما رجع إلى أهله حمّ ومات، وله ابنان حريث ومكنف، أسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال الردة.

قدوم فروة بن مُسيك المرادي

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن مُسيك المرادي مفارقاً ومباعداً لملوك كندة، وقد كان قبل الإسلام وقعة بين قبيلة مُراد وقبيلة همدان، فأصاب همدان مُراد وأكثر فيهم القتل وكان ذلك اليوم يسمى يوم الردم، فلما جاء فروة بن مُسيك

⁷⁶³ - شاذ المتن: ضعيف السند. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (317/1) والبيهقي في

دلائل النبوة (331/5) وانظر المفيد عند ابن حجر في الفتح (691/7).

⁷⁶⁴ - أشركت في الأمر: أي أصبحت نبياً مثل محمد.

⁷⁶⁵ - الراوي: محمد بن إسحاق، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: الإصابة، الصفحة أوالرقم: (573/1).

وهو من قبيلة مُراد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول الله ﷺ مَنْ ذَا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنّ ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً، ثم استعمله على مُراد وزيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم⁷⁶⁶.

وفد كندة

وكانوا ثمانين أو ستين ركباً من كندة سنة عشر فيهم الأشعث بن قيس، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده وهم يلبسون الثياب من برود اليمن وهي ذي خطوط وقد سرحوا ومشطوا شعورهم ووضعوا عليها الجبّة، فلما دخلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم تسلموا؟ قالوا: بلى، قال: فما بال هذا الحرير في أعناقكم⁷⁶⁷! فشقوه وطرحوه في الأرض.

وفد ناس من زبيد

وقدم عمرو بن معد يكرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من زبيد فأسلم ثم رجع إلى قومه فأقام فيهم وعليهم فروة بن مُسيك، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معد يكرب.

قدوم صُرد بن عبد الله الأزدي في وفد الأزدي

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه في وفد من الأزدي، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على مَنْ أسلم من قومه وأمره أن يجاهد ويمنّ أسلم من قومه أهل الشرك من قبائل اليمن.

⁷⁶⁶ - إسناده ضعيف: عند الطبري في تاريخه (198/5) وانظر تفصيل ذلك في الإصابة لابن حجر (209/5).

⁷⁶⁷ - الراوي: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المحدث: ابن كثير، المصدر: البداية والنهاية، الصفحة أو الرقم: (65/5).

فخرج صُردٌ ومَنْ معه حتى نزل بجُرش وهي مدينة مغلقة بما قبائل من اليمن وقد لجأت إليهم تختم فدخلوا مع هذه القبائل، فحاصروهم صُرد قريباً من شهر، ثم رجع عنهم قافلاً حتى وصل إلى جبل يقال له شُكر، فظنَّ أهل جُرش وختتم إنما ولى صُرد عنهم مهزماً فخرجوا في طلبه فلما رأهم رجع إليهم وقتلهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظران الأخبار، وبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر، قال: بأي بلاد الله شُكر؟ فقام الجُرشيان فقالا: يا رسول الله ﷺ ببلادنا جبل يقال له كُشْر، فقال: إنه ليس بكُشْر ولكنه شُكر قالوا: فما شأنه يا رسول الله ﷺ قال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن، فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان فقال لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فأسألاه ذلك فقال: اللهم ارفع عنهم⁷⁶⁸.

فخرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا قومهم قد أصيبوا يوم أصابهم صُرد، ثم خرج وفد من جُرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا.

قدوم رسول ملوك حمير

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مُعلنين فيه إسلامهم وهم الحارث بن عبدكلال، ونعيم بن عبدكلال، والنعمان، ومَعَاْفَر، وهمدان عن طريق رسولهم، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن وأوصاه وعهد إليه وقال له: يسِّر ولا تُعسِّر وبشِّر ولا تُنْفِر وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله ﷺ ما حق الزوج على الزوجة قال: ويحك إن المرأة لا تقدر على أن تؤدي حق زوجها فأجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت، ولو رجعت على زوجك فوجدته يسيل منه قيحاً ودماً ومصصت ذلك حتى ينظف ما أدبت حقه⁷⁶⁹.

⁷⁶⁸ - إسناده ضعيف هنا: وعند البيهقي في دلائل النبوة (372/5) وفي البداية والنهاية لابن كثير (74/5).

⁷⁶⁹ - بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن. ثبت بالأحاديث الصحيحة عند البخاري في صحيحه (4341-4342) وفي صحيح مسلم (1359).

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

وجاء فروة بن عمرو الجذامي إلى المدينة المنورة وعندما انتهى إلى رسول الله ﷺ أسلم وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء، وكان فروة بن عمرو عاملاً عند الروم حيث منزله معان من أرض الشام فلما علم الروم بإسلامه طلبوه وأخذوه فحبسوه عندهم، ثم ضربوا عنقه وصلبوه.

إسلام بني الحارث بن كعب بنجران

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث ابن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالد بن الوليد وجيشه إلى نجران وعندما وصل إليهم دعاهم إلى الإسلام فقال: أسلموا تسلموا، فأسلم الناس وأخذ يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه. ثم أقبل ومعه وفد بني الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذي الغصة⁷⁷⁰ ويزيد بن عبدالمدان، ويزيد المحجل، وعبدالله بن فراد الزيادي، وشداد بن عبدالله القناني، وعمرو بن عبدالله الضبابي.

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟ قيل: يا رسول الله ﷺ هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه وقالوا: نشهد أنك رسول الله ﷺ وإنه لا إله إلا الله، فقال: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ثم قال: أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا؟ فسكتوا فلم يراجعه أحد، ثم أعادها الثانية فلم يراجعه أحد، ثم أعادها الثالثة فلم يراجعه أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبدالمدان: نعم يا رسول الله ﷺ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا، قالها أربع مرات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن خالداً لم يكتب إليَّ إنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت

⁷⁷⁰ - ذو الغصة: إذا تكلم أصابه الغصص أي الإختناق.

رؤوسكم تحت أقدامكم، فقال يزيد بن عبدالمدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فَمَنْ حَمَدْتُمْ؟ قالوا: حمدنا الله عزوجل الذي هدانا بك يا رسول الله ﷺ، قال: بَمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قالوا: يا رسول الله ﷺ كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَتَفَرَّقُ وَلَا نُبْدَأُ أَحَدًا بِظَلْمٍ قَالَ: صَدَقْتُمْ، وَرَجَعَ وَفَدَّ بَنِي الْحَارِثِ إِلَى قَوْمِهِمْ فِي بَقِيَّةِ شَوَّالٍ مُسْلِمِينَ⁷⁷¹.

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى رفاعة بن زيد الجذامي فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ: إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ عَامَةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ فَنِي حِزْبِ اللَّهِ وَحِزْبِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ⁷⁷² فَلَمَّا قَدِمَ رِفَاعَةُ عَلَى قَوْمِهِ أَجَابُوا وَأَسْلَمُوا ثُمَّ سَارُوا إِلَى حَرَّةِ الرَّجْلَاءِ وَنَزَلُوهَا.

قدوم وفد همدان

وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مالك بن نمط، أبوثور، مالك بن أيفع، ضمام بن مالك السلماني، وعميرة بن مالك الخارني على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا. وتكلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذّابان مسيلمة بن حبيب من اليمامة في بني حنيفة فقتله وحشي، والكذّاب الأسود ابن كعب العنسي بصنعاء فقتله فيروز الديلمي وجاء المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) وأسلم.

خروج الأمراء والعُمَّال على الصدقات

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعمّاله على الصدقات إلى كل مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ فِي بِلْدَانِهِمْ، فَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ إِلَى صَنْعَاءَ وَبَعَثَ زَيْدَ بْنَ لَبِيدٍ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، وَبَعَثَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمِ عَلَى طِيٍّ وَعَلَى بَنِي أَسَدِ،

⁷⁷¹ - مرسل: أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (339/1) والبيهقي في دلائل النبوة (411/5).
⁷⁷² - صحيح: بمجموع طرقه وشواهده . عند البخاري في صحيحه (6707) وفي صحيح مسلم (180) { كتاب الإيمان } وفي مجمع الزوائد للهيثمي (310/5) وعزاه إلى الطبراني في الكبير أ هـ وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (354/1).

وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وبعث الزبير بن بدر وقيس بن عاصم على صدقة بني سعد، وبعث العلاء ابن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم ويجمع الجزية.

حجّة الوداع وتسمّى حجّة الإسلام وحجّة التمام

وفي شهر ذي القعدة من السنة العاشرة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز للحج، وأجمع الخروج لأداء فريضة الحج وهي حجّة الوداع. وأعلم الناس إنه حاج فقدم المدينة بشر⁷⁷³ كثير كلهم يريدون أن يأتوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي يوم السبت لخمس ليال بقيت من ذي القعدة لبس رسول الله ﷺ إزاره ورداءه وخطبهم وعلمهم وجوه الإحرام وواجباته وسننه، ثم صلى الظهر أربعاً وخرج من المدينة المنورة معه تسعون ألفاً ويقال مائة وأربعة عشر ألفاً، وأخرج معه نساءه كلهن في الهودج وساق معه الهدى، ومعه أبوبكر وعمر وذوو اليسار من أصحابه.

فلما انتهى إلى ذي الحليفة بات فيها وقال: أتاني الليلة آت من ربي فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة⁷⁷⁴، وصلى بذي الحليفة المغرب والعشاء والصبح والظهر، ثم ركب ناقته القصواء ومشى وأهلّ بالتوحيد لبيك لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وأهلّ المسلمون بهذا التوحيد، وأمر الصحابة بأمر الله أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية والناس يزيدون فيها ويتقصون منها وهو يُقرهم ولا يُنكر عليهم.

ومر بالروحاء، ثم بالأثاية ثم سار حتى نزل بالعرج، ثم مرّ بالأبواء والتي فيها ماتت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنين ودفنت فيها، ثم مرّ بسرّف وهناك حاضرت عائشة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي.

⁷⁷³ - بشر: أي المسلمون.

⁷⁷⁴ - الراوي: عمر بن الخطاب، المحدث: أحمد شاكر، المصدر: مسند أحمد، الصفحة أو الرقم: (93/1).

فقال: ما يبكيك لعلك نفست؟ قالت: نعم والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر، فقال: لا تقولن ذلك، فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج، إلا أنك لا تطوفين بالبيت⁷⁷⁵.

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى وهي المعروفة اليوم بآبار الزاهر، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح، ثم اغتسل وسار حتى دخل مكة نهاراً من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون وهو مكان قبر خديجة بنت خويلد وكان خروجه من أسفلها⁷⁷⁶.

دعاء رسول الله ﷺ للكعبة

فدخل المسجد وعندما رأى الكعبة قال: اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً وزد من شرفه وكرمه وعظمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً⁷⁷⁷، ولم يركع تحية المسجد فإن تحية المسجد الحرام الطواف، فلما حاذى الحجر استلمه وجعل البيت على يساره وبين الركنين قال: ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار⁷⁷⁸، فلما فرغ من الطواف صلى خلف مقام إبراهيم ركعتين فقرأ فيهما الفاتحة وسورتي الآخرة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)) (الإخلاص-1-4)، (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)) (الكافرون-1-6)، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر فاستلمه ثم خرج إلى الصفا والمروة من الباب الذي يقابله، فلما دنا منه قرأ (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ

⁷⁷⁵ - صحيح: رواه البخاري في صحيحه (294) ومسلم في صحيحه (873)(874) وفي مسند

أحمد (273/6).

⁷⁷⁶ - أسفلها: أي أسفل مكة.

⁷⁷⁷ - الراوي: ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز، المحدث: البيهقي، المصدر: السنن الكبرى

للبيهقي، الصفحة أو الرقم: (73/5).

⁷⁷⁸ - الراوي: عبد الله بن السائب، المحدث: ابن الملقن، المصدر: تحفة المحتاج، الصفحة أو الرقم:

(172/2).

عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (البقرة 158) ⁷⁷⁹ ثم تابع مناسك الحج حتى وصل إلى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له في نجره كما أمر عليه الصلاة والسلام.

رسول الله ﷺ يخطب خطبة الوداع

فوقف خطيباً بالصحابة أجمعين قائلاً: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا وكحرمه شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يتيس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تُحَقِّرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم. أيها الناس: إن النسيء زيادةً في الكفر يُضِلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وأن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية، ورجب ومضر الذي بين جمادى وشعبان.

أما بعد: أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهنَّ عليكم حقاً، لكم عليهنَّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهنَّ أن لا يأتين بفاحسة مبينة، فإن فعلنَّ فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهينَّ فلهنَّ

⁷⁷⁹ - الراوي: جابر بن عبد الله، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجه، الصفحة أو الرقم: (2512).

رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان⁷⁸⁰ لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإنني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لإمرء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت، قالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشهد⁷⁸¹.

ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر والعصر جمع تقديم وذلك يوم الجمعة، ونزل عليه قوله تعالى وقرأها على الصحابة أجمعين: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة:3).

رسول الله ﷺ يُودَعُ الْمُسْلِمِينَ وَيَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ

وتابع عليه الصلاة والسلام مناسك الحج، وفي ميى خطب في الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بجرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة المكرمة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله. وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال: يا أيها الناس خذوا عني مناسككم، فأني لا أدري لعلي لا أحج بعد عامي هذا⁷⁸²، وعلمهم مناسكهم وقال في خطبته: أعبدوا

780 - عوان: أسيرة.

781 - الحديث صحيح: بدون إسناد عند ابن إسحاق. ولكن أخرجه مسلم في صحيحه (886-982) وفي سنن أبي داود (1905) وسنن ابن ماجه (3074) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

782 - الراوي: جابر بن عبد الله، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح الجامع، الصفحة أوالرقم: (7882).

ريكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ريك⁷⁸³ ، وودّع الناس فقالوا حجّة الوداع.

ثم تابع عليه الصلاة والسلام مناسك الحج ولم يتعجل في يومين، بل تأخر حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة، ثم ذهب إلى مكّة المكرمة فطاف طواف الوداع ليلاً سحراً، وقفل راجعاً إلى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) فأقام بها بقية ذي الحجة والحرم وصغراً.

رسول الله ﷺ يبعث آخر بعثاً له

وهناك (أي عندما وصل المدينة المنورة) بعث أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام وأمره أن يوطئ الخيل أرض البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرين الأولين وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بداية المرض مع رسول الله ﷺ

فبينما الناس على هذا الحال من الجهاز مع أسامة بن زيد ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي قبض فيه وذلك يوم الأربعاء، فحمّ وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة بن زيد لواءً بيده، فخرج أسامة بلوائه معقوداً ودفعه إلى بريدة الأسلمي فسكن بالجرف وتكلم القوم وقالوا: أقرّ غلاماً حدثاً على جُلة المهاجرين والأنصار وطعنوا في إمارته.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضباً شديداً، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أيها الناس أنفذوا بعث أسامة فلعمري لئن قُلتم في إمارته لقد قُلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه

783 - الراوي: أبو أسامة الباهلي، المحدث: الوداعي، المصدر: الصحيح المسند، الصفحة أوالرقم: (480).

لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها⁷⁸⁴، ومشى أسامة بالجيش وأقام بالجرف هو والجيش لينظروا ما الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رسول الله ﷺ يزور ويستغفر لأهل البقيع

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي مويهبة فجاءه من جوف الليل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معي، فانطلق معه، ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل وقال: يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، فقال أبو مويهبة: بأبي وأمي أنت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخُذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف راجعاً إلى بيته، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبضه الله فيه⁷⁸⁵.

فوجد عائشة تجد صداعاً في رأسها وهي تقول: وا رأساه! فقال: بل أنا يا عائشة وا رأساه⁷⁸⁶، وازداد وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به⁷⁸⁷ وهو في بيت ميمونة بنت الحارث فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة فأذن له⁷⁸⁸.

⁷⁸⁴ صحيح: بنحوه عند البخاري في صحيحه (4250) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وما هنا مرسل بإسناد صحيح.
⁷⁸⁵ - صحيح: أخرجه الحاكم في مستدركه (55/3) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وفي مسند الإمام أحمد (489/3) وفي سنن الدارمي (78/1).

⁷⁸⁶ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: صحيح ابن ماجه، الصفحة

أوالرقم: (1206).

⁷⁸⁷ - استعز به: أي اشتد.

رسول الله ﷺ يأمر بسكب الماء عليه

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب حتى دخل بيت عائشة حيث اشتد عليه وجعه وقال: هريقوا عليّ سيع قرب من آبار شتى، فأقعدها في مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صبوا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم⁷⁸⁹.

رسول الله ﷺ ينعي نفسه للمسلمين

وبعد حين... خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، فكان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم، ثم نعى نفسه للمسلمين فقال: إن عبداً من عباد الله خيّر الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، ففهمها أبو بكر الصديق، فبكى وتعجب الصحابة لبكاء أبي بكر، فكان أعلمهم فعلموا أن رسول الله هو المخيّر.

فقال أبو بكر: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على رسلك يا أبا بكر ثم قال: انظروا هذه الأبواب اللافتة في المسجد فسدوها إلا باب أبي بكر، فأني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي منه⁷⁹⁰.

788 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: ابن حجر العسقلاني، المصدر: فتح الباري لابن

حجر، الصفحة أو الرقم: (256/5).

789 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (5714) وأحمد في مسنده (228/6) وعبد الرزاق في

مصنفه (9754).

790 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (466/1) الترمذي في سننه (3360) وأحمد في مسنده (18/13) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثم قال: فأني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده⁷⁹¹ وازداد المرض شدة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة.

رسول الله ﷺ يأمر أبا بكر أن يصلي بالناس

وأذن بلال للصلاة ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس، فقالت عائشة: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمُرَّ عمر فليُصَلِّ بالناس، وقالت لحفصة: قولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمُرَّ عمر فليُصَلِّ بالناس ففعلت حفصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكُنَّ صواحب يوسف فمروه فليُصَلِّ بالناس⁷⁹².
ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه حِقَّةً فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبي بكر يصلي بالناس فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر فأشار إليه النبي ﷺ أن لا تتأخر وقال للرجلين: أجلساني إلى جنب أبي بكر، فأجلساه فكان أبوبكر يصلي وهو قائم والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

الأنصار يجلسون في المسجد بانتظار المصيبة الكبرى

ولما رأت الأنصار أن النبي ﷺ يزداد ثقلاً أطفأوا بالمسجد أي مكثوا لا يتحركون ينتظروا ما الله قاضٍ برسول الله صلى الله عليه وسلم.
فلما رآهم العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بمكائهم وإشفاقهم عليه، ثم دخل الفضل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بمثل ذلك، ثم دخل علي بن أبي طالب فأعلم النبي ﷺ بحال الأنصار.

⁷⁹¹ - صحيح: بنحوه عند البخاري في صحيحه (4250) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وما هنا مرسل بإسناد صحيح.
⁷⁹² - صحيح: رواه مسلم في صحيحه (313) وفي مسند أحمد (228/6) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

نساء الأنصار تتألم وتبكي رسول الله ﷺ قبل المصيبة

فَمَدَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ: هَا فَتَنَّاوَلُوهُ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مَتَوَكِّئًا عَلَى عَلِيٍّ وَالْفَضْلِ، وَالْعَبَّاسِ أَمَامَهُ وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُوبَ الرَّأْسِ يَخْطُ بِرِجْلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ صَاحَتِ، وَخَنَقَهَا مَنْظَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَكَتْ وَبَكَى الْأَنْصَارُ وَتَصَدَّعَتْ قُلُوبُهُمْ.

رسول الله ﷺ يجلس أسفل المنبر من شدة المرض

وَأَجْلَسُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْفَلَ الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: نَخْشَى أَنْ تَمُوتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَخَافُونَ عَلَيَّ الْمَوْتَ كَأَنَّهُ اسْتِنكَارٌ مِنْكُمْ لِلْمَوْتِ، أَلَمْ أَنْعَ إِلَيْكُمْ وَتُنْعَى إِلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ؟ هَلْ خُلِدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فَيَمُنُّ بَعْثٌ فَأُخْلِدَ فِيكُمْ؟ أَلَا إِنِّي لَأَحَقُّ بِرِيٍّ وَإِنَّكُمْ لَأَحَقُّونَ بِهِ، يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لَا تَزِيدُ وَإِنَّهُمْ كَانُوا عِيَّتِي الَّتِي أُوتِيتُ بِهَا، فَأَحْسِنُوا إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ⁷⁹³.

أبو بكر يسأل رسول الله ﷺ

وَعَادَ إِلَى حَجْرَتِهِ وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: سَلْ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَنَا الْأَجَلَ؟ فَقَالَ: دَنَا الْأَجَلَ وَتَدَلَّى، فَقَالَ: لِيَهْنِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَالْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى وَالرَّفِيقِ الْأَعْلَى وَالْحِظِّ وَالْعَيْشِ الْمَهْنَأَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ مَنْ يُلِي غَسْلَكَ؟ قَالَ: رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى، قَالَ: فَفِيمَ نَكْفِينَكَ؟ فَقَالَ: فِي ثِيَابِي هَذِهِ فِي حِلَّةٍ يَمَانِيَةٍ وَفِي بِياضٍ مُضْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَنَّا؟

⁷⁹³ - صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (224/5) وابن سعد في الطبقات الكبرى (251/2) ويشهد له ما في صحيح البخاري (3800).

وبكىنا وبكى، ثم قال: مهلاً غفرالله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفيع قبري، ثم أخرجوا عني ساعة. فإن أول مَنْ يصلي عليّ هو الله عزوجل، ثم يأذن للملائكة في الصلاة عليّ، فأول مَنْ يدخل عليّ من خلق الله ويصلي عليّ جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين، ثم أنتم فادخلوا عليّ أفواجاً فَصَلُّوا عليّ أفواجاً زمرة وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة.

وليداً منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى، ثم زمرة النساء ثم زمرة الصبيان، قال أبو بكر: فَمَنْ يدخل القبر؟ قال: زمرة من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة، لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني إلى مَنْ بعدي.

العبّاس يقول سوف يتوفى رسول الله ﷺ

وبعد حين ... خرج علي بن أبي طالب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الصحابة: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العبّاس بن عبدالمطلب فقال له: أنت والله عبد العصى بعد ثلاث، أحلفُ بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله ﷺ، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبدالمطلب⁷⁹⁴.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة: ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخير، فهذا أوان وجدت انقطاع أبجري من ذلك السم⁷⁹⁵.

ولما كان يوم الخميس قبل المصيبة الكبرى بأربع ليالٍ اجتمع الصحابة عنده فقال: إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً⁷⁹⁶، فتنازعوا ولا ينبغي عند رسول الله

⁷⁹⁴ - صحيح: رواه البخاري في صحيحه(4447)(6266) وفي مسند الإمام أحمد(2374)-2998 والطبقات الكبرى لابن سعد(2/245).

⁷⁹⁵ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (4428).

صلى الله عليه وسلم تنازع، فقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجد، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قَرَّبُوا يكتب ومنهم من يقول غير ذلك، فقال رسول الله ﷺ: قوموا عني⁷⁹⁷.

فاطمة تذهب باتجاه والدها مسرعةً

وعندما علمت فاطمة الزهراء (أم أبيها) بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المرض اشتد برسول الله ﷺ حتى أجفلت مرتاعة وأسرت إلى دار أبيها، فلم يبق لها من الدنيا سوى الحبيب، بالأمس بكتْ أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم، وها هي ستلقي نظرة الوداع على أبيها الذي لا لقاء بعده (فتقول عائشة كأنَّ بها سمياً وهدياً) فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: مرحباً بابنتي ثم قبَّلها وأجلسها إلى يمينه وأسرَّ لها: بأنه قد حان أجله فبكت ثم هَوَّن عليها وأسرَّ لها إنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ثم أضاف: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة⁷⁹⁸ فسرها ما سمعت وضحكت بعد بكاء، فكانت أم أبيها إلى جانبه تحمده وتسهر عليه حانية متجلدة تتكلف الصبر ولا تكفُّ عن الدعاء والابتهال.

وبعد حين... وصل الخبر إلى أسامة بن زيد فقال: لما ثقل المرض برسول الله ﷺ هبطت وهبط الجيش⁷⁹⁹ معي إلى المدينة المنورة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ فأعرف إنه يدعولي⁸⁰⁰.

⁷⁹⁶ - الراوي: سعيد بن جبير، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (1637).

⁷⁹⁷ - الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (7366).

⁷⁹⁸ - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: (2450).

⁷⁹⁹ - هبطت وهبط الجيش: أي رجعت بالجيش إلى المدينة المنورة.

⁸⁰⁰ - صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الترمذي في سننه (3817) وأحمد في مسنده (201/5) واليعقوبي في مسند الحب ص (45).

فاطمة تشاهد الموت في أعز من لها

وفاطمة صابرة متجلدة لكن تجلدها خانها حين رأته وقد اشتد به الوجع يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، فحنقتها العبرة وقالت: واكربي لكربك يا أبتاه، فقال لها: ليس على أهلك كرب بعد اليوم⁸⁰¹.

ملك الموت يدخل على رسول الله ﷺ

ثم قال: أُخرجني عني، هذا الملك يستأذن عليّ، فخرج من في البيت إلا عائشة ورأسه في حجرها، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتنحت عائشة في جانب البيت فاجى الملك طويلاً، ثم دعا عائشة وأعاد رأسه في حجرها، وقال: للنسوة أُدخلن فدخلت النساء فقالت عائشة: يا رسول الله ﷺ ما هذا بحس جبريل؟ فقال: أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال: إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن، فإن لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت، وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك؟

رسول الله ﷺ ينتظر جبريل عليهم السلام

فقلت: أكفف عني حتى يأتيني جبريل، فقالت عائشة: فوجنا وكأنا ضربنا بصاحخة وما يتكلم أحدٌ إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا، وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه، وخرج أهل البيت، فقال جبريل: أبشر فإن الله تعالى أراد أن يُبلِّغك ما أعد لك يا محمد ﷺ، إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك، لا والله تعالى ما استأذن ملك الموت على أحد قط، ولا يستأذن عليه أبداً، إلا إن ربك مُتِمُّ شرفك وهو إليك مشتاق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلا تبرح إذن حتى يجيء.

801 - الراوي: أنس بن مالك، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أوالرقم: (4462).

فاطمة تُقَرِّبُ أطفالها من رسول الله ﷺ

وَأَذِنَ للنساء، ودخلت فاطمة فأكَبَّت عليه وأدَّت ابنيها الصغيرين منه فشَمَّهما ورأسه عليه الصلاة والسلام في حجر عائشة، وأخذ يُعشى عليه فإذا أفاق شَخَّص بصره نحو سقف البيت، فقال: اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى⁸⁰²، وفي رواية: اللهم الرفيق الأعلى⁸⁰³.

يوم المصيبة الكبرى

ولما كان يوم الاثنين وأبي بكر يصلي بالناس صلاة الصبح، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم حين رأوه فرحاً وفرجوا فأشار إليهم أن أثبتوا على صلاتكم، وتبسّم لما رأى من هيبتهم في صلاتهم، ثم دخل الحجرة وقال لعائشة: إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيِّره⁸⁰⁴، بينما المسلمون أكملوا صلاتهم وعاد أبو بكر إلى أهله بالسُّنح.

تقول عائشة: وبعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُجرتِه جاء رجل من آل أبي بكر وفي يده مسواك أخضر فنظر إليه، فعرفتُ إنه يريدُه، فقلتُ: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبُّ أن أُعطيك هذا السواك؟ قال: نعم، فأخذته فمضغته حتى لَيَّنته ثم أعطيته إياه، فاستنَّ به كأشد ما رأيته يستنُّ بسواك قبلَه ثم وضعه، ووجدتُ رسول الله ﷺ يتقل في حجري، فذهبتُ أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شَخَّص وهو يقول بل الرفيق الأعلى من الجنة⁸⁰⁵.

802 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (4440).

803 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: (6509).

804 - صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (274/6) من طريق ابن إسحاق وعند البخاري في صحيحه (4450) بنحوه من طريق آخر.

805 - الراوي: عائشة رضي الله عنها، المحدث: الألباني، المصدر: فقه السيرة، الصفحة أو الرقم: (470).

رسول الله ﷺ يرحل فتعاهُ ابنته الوحيدة

وَحَمَّ القضاء ولحق بالرفيق الأعلى (مات محمد بن عبد الله ﷺ) فَرَجَّتْ واهتزت المدينة المنورة من البكاء والحزن والألم، فلم يبقَ رجل إلا وواضعاً يديه على وجهه من شدة البكاء، ولم تبقَ امرأة إلا صاحت متألمة من هول المصيبة وخاصة نساء الأنصار، حتى الأطفال بكّت بكاءً شديداً فكان المشهد يُمزقُ القلوب، لقد رحلَ الرسول ﷺ اليتيم تاركاً الزهراء أم أبيها يتيمة حزينة وبأكية قائلة: يا أبتاه ﷺ أجاب رباً دعاه، يا أبتاه ﷺ حنة الفردوس مأواه، يا أبتاه ﷺ إلى جبريل نعاها، فتقول عائشة: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري⁸⁰⁶ وفي دولتي⁸⁰⁷ لم أظلم فيه أحداً فمن سَفَّهِي وحدائتي سِنِي وضعتُ رأسه على وسادَةٍ وقمتُ التَّديم مع النساء وأضرب وجهي⁸⁰⁸.

أبو بكر يتجه مسرعاً باكياً إلى رسول الله ﷺ

واقترح الناس حين ارتفعت الرنة⁸⁰⁹ وقد سُجِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فمن الناس مَنْ كَذَّب هذا، ومنهم أُخْرِس وبعضهم لا يتكلم وخلط آخرون الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأُعد آخرون، فكان عمر بن الخطاب فيمن كَذَّب بموته وخرج قائلاً: يا أيها الناس كَفُّوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يمت والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفي هذا، أما علي فقد أُعد وعثمان فقد أُخْرِس.

806 - بين سحري ونحري: أي بين الحلقوم وأعلى الصدر.

807 - دولتي: أي نوبتي، الوقت خاصتي.

808 - صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (1689) وعند مسلم (1893) وفي مسند

أحمد (6/48-121-200-274).

809 - الرنة: صوت البكاء.

ووصل الخبر إلى أبي بكر الصديق في بيته في السُّنْح، فخرج مسرعاً باكياً على فرسه لا يكلم أحداً حتى نزل أمام المسجد وعيناه تَدْرِفان وغصصة ترتفع كقصع الجره⁸¹⁰ فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبره. عَجَّ⁸¹¹ أهل البيت عجباً سمعه أهل المصلى، كُلُّما ذَكَر شيئاً ازدادوا بكاءً، فكشفت عن وجهه الشريف ثم أَكَبَّ عليه وقَبَله وبكى وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً.

والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً، ثم خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر فأبي عمر أن يجلس وفي رواية أيها الخالف على رسلك، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر.

فحمد الله أبوبكر وأثنى عليه وقال: أما بعد فَمَنْ كان يعبدُ محمدًا ﷺ فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت وقال عزوجل: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر 30).

وقال عزوجل: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (ال عمران 144).

مدينة رسول الله ﷺ: تكيه

ونشج الناس بالبكاء قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبوبكر، فقال عمر بن الخطاب: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبابكر تلاها فَعَقَرْتُ حتى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات⁸¹²، ولما عرفوا إنه مات دُهِشَ الناس وطاشت عقولهم فمنهم مَنْ خَبِلَ ومنهم مَنْ أُصِمَتْ، ولم يكن أثبت وأحزم من أبي بكر والعبَّاس، لكن

810 - من شدة البكاء.

811 - ارتفع صوت البكاء.

812 - الحديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (1241)(1242)(3667)- (3668)(4452-4454).

الأنصار انجازوا إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي والزبير وطلحة بن عبيدالله في بيت فاطمة، وانجاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر معهم أسيد بن حضير.

المُبايعة قبل دفن رسول الله ﷺ

فاتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر وقال: إن الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انجازوا إليه فأدركوا الناس قبل أن يتفاهم الأمر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من أمره وقد أغلق الباب دونه.

فانطلق أبو بكر وعمر حتى وصلوا عندهم، فقام خطيب من الأنصار فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ منا، فأراد عمر أن يتكلم فقال له أبو بكر: على رسلك يا عمر، فقال أبو بكر: أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب أو أبو عبيدة بن الجراح فبايعوا أيهما شئتم، فقال قائل من الأنصار الحباب بن المنذر: منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

عمر بن الخطاب يبايع أبا بكر الصديق

فكثر اللغظ وارتفعت الأصوات وتحوّف عمر الاختلاف فقال: أبسط يدك يا أبا بكر حتى أبايعك وبايعه المهاجرون والأنصار وتركوا سعد بن عبادة، فقال قائل: قتلتُم سعد بن عبادة، فقال عمر: قَتَلَ اللهُ سعد بن عبادة، ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر.

خطبة أبي بكر بعد البيعة

تكلم وألقى خطبته فقال: فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا

يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطيعتُ الله ورسوله ﷺ، فإذا عصيت الله ورسوله ﷺ فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله⁸¹³.

جهاز رسول الله ﷺ

فلما بُوع أبا بكر الصديق رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء، فكان الذين وُلُّوا غسله هم علي بن أبي طالب والعبَّاس بن عبد المطلب والفضل بن العبَّاس وقثم بن العبَّاس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ وإن أوس بن حولي قال لعلي بن أبي طالب: أنشدك بالله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ، فقال علي: أدخل فدخل فجلس وحضر غسل رسول الله ﷺ.

فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره، وكان العبَّاس والفضل وقثم يُقبلونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاهما اللذان يصبان الماء عليه، وعلي يغسله قد أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدلكه به من ورائه لا يفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً، ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميت⁸¹⁴.

غسل رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبَّاد عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري أئجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما تجرد موتانا أو نغسله وعليه

813 - إسناده صحيح هنا: وأورده ابن كثير في البداية والنهاية(248/5)(301/6) وصححه.
814 - صحيح الإسناد: رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى(280/2) وشواهد عند ابن ماجه في سننه(1467) والطبري في التاريخ(238/2) وابن سعد في الطبقات الكبرى(281/2).

ثيابه؟ قالت فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ من ناحية البيت لا يدرون مَنْ هو: أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه. قالت: فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويُدليكونه والقميص دون أيديهم⁸¹⁵.

تكفين رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ في ثلاثة أنواب، ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيها إدراجاً، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي بن الحسين والزهري عن علي بن الحسين⁸¹⁶.

قبر رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبدالله عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو عبيدة بن الجراح يضح كحفر أهل مكة وكان أبوظلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة فكان يلحد، فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خز لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أباطلحة، فجاء به فَلَخَدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الصلاة على رسول الله ﷺ ودفنه

فلما فُرِغَ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال

⁸¹⁵ - صحيح الإسناد: أخرجه أحمد في مسنده (267/2) وأبو داود في سننه (3141).
⁸¹⁶ - والخبر صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (1264) ومسلم في صحيحه (650-651) والترمذي في سننه (996) وأبو داود في سننه (3151) والنسائي في سننه (1896) وابن ماجه في سننه (1469) وأحمد في مسنده (40/6).

قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما قُبِضَ نبي إلا دُفِنَ حيث قُبِضَ.

فَرَفَعَ فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه، فَحَفَرَ تحته، ثم دخل الناس على رسول الله يُصَلُّون عليه إرسالاً، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخلت النساء حتى فرغن النساء أُدخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله أحد⁸¹⁷، ثم دُفِنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر عن امرأته فاطمة بنت عمارة، عن عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المسأحي، من جوف الليل من ليلة الأربعاء⁸¹⁸.

مَنْ تولى دفن رسول الله ﷺ

قال محمد ابن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وقد قال أوس بن خوي لعلي بن أبي طالب: يا علي أنشدك الله، وحفظنا من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل فنزل مع القوم، وقد كان مولاة شقران حين وضع رسول الله ﷺ في حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً.

⁸¹⁷ - صحيح بشواهده: عند الترمذي في سننه(1018) وابن ماجه في سننه(1628) والترمذي في الشمائل(326).

⁸¹⁸ - الخبر صحيح: ثبت من عدة طرق يقرب بعضها بعضاً منها ما رواه الترمذي في الشمائل ص(331) بإسناد صحيح وفي مسند الإمام أحمد(62/6)(110/6)(242/6)(274/6) من عدة طرق بعضها أقوى من بعض وفي دلائل النبوة للبيهقي(256/7) والطبقات الكبرى لابن سعد(304/2).

فاطمة تبكي وبكت مدينة رسول الله ﷺ

فلما أمّوا دفن رسول الله ﷺ وهالوا عليه التراب صاحت فاطمة: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب، وما تقوى قدماها على حملها حتى أكبّت على قبر أبيها وأخذت قبضة من تراب القبر فأدنتها من عينيها ثم راحت تشمها وهي تقول متفجعة:

ماذا عليّ من شم تربة أحمد ألا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبت عليّ مصائب لو أنّها صُبت على الأيام عدن لياليا
واستعبرت باكية فبكت المدينة المنورة ومنّ حولها على فراق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبكى الناس لبيكاء فاطمة.

وبعد ستة أشهر لحقت فاطمة (أم أبيها) برسول الله صلى الله عليه وسلم تاركةً أطفالها وزوجها، فبكت مدينة رسول الله ﷺ (المدينة المنورة) ورَجَّتْ حزناً وألماً عليها، وهكذا التم شمل محمد ﷺ وبناته لكن ليس في هذه الدنيا بل تحت أطباق ثرى طيبة.

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله

الخاتمة العلمية

السيرة النبوية عقيدة ربّانية وتطبيق نبوي، وعليها يقوم صلاح البشرية جمعاء وهي آخر الرسالات الربّانية وهي رسالة التوحيد ، لذلك اختار الله عز وجل رجلاً مثالياً ليس له مثل ولا شبيه بين الرجال يستطيع بإذن الله تعالى أن يقود هذه المسيرة من البداية وحتى النهاية دون ثغرات أو عثرات.

هذا الإنسان الخلق هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي شهد الله تعالى له بجميع صفات الجمال والجلال كما شهد له الأصدقاء والأعداء، وعرفه الشجر والحجر ودانت له الدنيا بخذافيرها، ولأن هذا الإنسان عظيم فقد اختار الله تعالى عظماء يساعده ويعاونونه فكان أبو بكر الصديق وكيف لا؟ وهو أفضل رجل خلقه الله تعالى بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم كان خير خلف خلقه الله تعالى بعد أبي بكر عمر بن الخطاب، وهكذا سارت السيرة بأعظم الرجال رضي الله عنهم أجمعين.

أصبحت ديانة التوحيد في مكة المكرمة بعد بناء الكعبة زادها الله تشریفاً وتعظيماً ومهابةً عن طريق سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام في تلك الفترة، ثم جاء العصر الجاهلي عصر الإباحية والطغيان والقبلية العمياء وعبادة الأصنام والأوثان وليس قطع الأرحام بل دفن وقتل الأرحام(دفن الطفلة وما تزال على قيد الحياة) للأسف كانت هذه بعض العادات الجاهلية الموجودة على أفضل وأظهر بقعة أرض، لكن هذه الحياة لم تستمر إذ استقبلت مكة المكرمة ولادة أفضل إنسان على وجه الأرض ليحول الخطأ الى الصواب ويظهر البيت العتيق من الأصنام والأوثان ويضع الدستور الإسلامي، صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

ولد رسول الله ﷺ يتيماً ثم شاهد الموت في أعز من له (أمه آمنة) ثم ذاق طعم اليتم من جديد بعد وفاة جده عبد المطلب حيث عاش وحيداً وكان يسمّى الصادق الأمين، وفي الأربعين من عمره أكرمه الله عز وجل بالنبوة، فبدأ بها سرّاً ثم جاءه الأمر من الله عز وجل أن اصدع بما تُؤمر فَجَهَرَ بالدعوة الإسلامية، فكان أول صحابة رسول

الله ﷺ إيماناً وتصديقاً به سيدنا أبا بكر الصديق وهنا بدأت قريش الحرب المدنية على المسلمين من أجل طمس هذه الدعوة، فأخذوا يعدّون ويقتلوا مَنْ دخل في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنهم هابوا سيدنا عمر بن الخطاب عندما أسلم، لأنه ذاك الرجل العظيم الذي يُعد من أقوى رجال التاريخ وأشدّهم بأساً وأطهرهم ذمة فكان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً وإمارته رحمة، وهو أول مَنْ سُمّي بأمرير المؤمنين.

ثم إن قريش أرادت قتل رسول الله ﷺ، لكن أبا طالب دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودافع حتى وافته المنية كافراً الى جهنم، وموت خديجة رضي الله عنها أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجرة سراً الى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) فهاجر المسلمون ولحق بهم رسول الله ﷺ ومعه أبا بكر الصديق (أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال: قلت: يا رسول الله ﷺ أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم مَنْ؟ قال: عمر بن الخطاب) (وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) (آل عمران 159)، قال: نزلت في أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب).

هناك بدأت قريش تُدقُّ طبول الحرب على رسول الله ﷺ والمسلمين وبدأت الغزوات والحروب فكان الانتصار دائماً حليفاً لرسول الله ﷺ، لكن اليهود لم يتركوا عهدهم الغدر والخيانة بالمسلمين، إلا أن رسول الله ﷺ لم يتركهم بل حاربهم وانتصر عليهم، كما أعلن الحرب على قريش لنقضهم العهد حيث خيانة بنو بكر وهذا الذي أهاج فتح مكة المكرمة، وفعلاً عاد رسول الله ﷺ بجيش جرار وكتائب الإسلام الى مكة المكرمة التي خرج منها وأصحابه سراً وخوفاً من قريش، عاد إليهم بالقوة ويقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر.

هناك قام رسول الله ﷺ بتطهير الكعبة ومكة المكرمة من الأصنام والأوثان وعلم المسلمين تعاليم الإسلام وأدى العمرة وقفل راجعاً الى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) وبعدها جاء عام الوفود لتدخل الناس في دين الله أفواجا، ثم جهز

رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حتى يقوم بأداء مناسك الحج وهي حجّة الوداع، وفعلاً نادى في الناس وأعلمهم إنه حاج البيت الحرام وحج البيت وعلم الناس مناسك الحج، ثم قفل راجعاً الى المدينة المنورة (على ساكنها الصلاة والسلام) وبعث آخر بعثاً له.

بعد ذلك جاء المرض الذي هزّ مدينة رسول الله ﷺ ألماً وحزناً على فراقك يا سيدي يا رسول الله ﷺ، فأثناء المرض كان يقول عليه الصلاة والسلام (أين أنا غداً) يُريد يوم أم المؤمنين الحبيبة الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنهما، فأذن له أزواجه حيث شاء، وانتقل عليه الصلاة والسلام الى بيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهناك قال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس.

ثم حمّ القضاء، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلف المسلمون في سقيفة بني ساعدة لمُنْ تكون خلافة رسول الله ﷺ، فكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي أحمى الجدل بين المسلمين وبايع سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهم خليفته على المسلمين ثم بايع المسلمون سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن سيدنا عمر بن الخطاب وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين.

الملحقات

ملحق المعجزات المادية للرسول ﷺ

- القرآن الكريم هو المعجزة المعنوية الوحيدة للرسول صلى الله عليه وسلم بما تحدى العرب وساد العالم، إلا أنَّ هناك معجزات مادية ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهي كثيرة نذكر منها ما جاء في هذا البحث.

- (1) تحويل الصخرة إلى رمل: استعصت على الصحابة رضي الله تعالى عنهم صخرة يوم الخندق فلم يستطيعوا نقبها، فأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم فبصق على ماء في إناء ودعا ثم نضح الماء على الصخرة فتحولت إلى رمل، وقد أقسم من حضر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على ذلك.
- (2) تكثير التمر: أحضرت عمرة بنت رواحة حفنة من تمر، وبعثت بها مع ابنتها لزوجها وأخيها فرآها النبي صلى الله عليه وسلم فأخذها ووضعها في رداء واستصرخ القوم، فأكل أهل الخندق جميعاً وتساقط التمر من أطراف الثوب.
- (3) الإخبار بالمغيبات: ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالمعول صخرة صعبت على المسلمين فلمعت تحت المعول برقة وضرب الثانية فلمعت تحته برقة وضرب الثالثة فلمعت برقة ثالثة، فقال صلى الله عليه وسلم أما الأولى: فأعطيت لي مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، وأما الثانية: أعطيت لي فارس والله لأبصر قصر المدائن الأبيض، وأما الثالثة: فأعطيت لي مفاتيح اليمن والله لأبصر أبواب صنعاء من مكاني.
- (4) الإخبار بالغيب: جاء أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليفتدي ابنته بمجموعة من الجمال، فأعجبه جملين منهما فخبأهما في شعب من الشُعاب، فلما حضر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا؟ فأسلم الحارث أبو جويرية رضي الله عنهما.

- (5) إجراء الماء على يديه صلى الله عليه وسلم: في طريقه صلى الله عليه وسلم لفتح مكة نزل بئر لم يكن به ماء، فأخرج من كنانته سهماً فأعطاه لرجل من أصحابه فنزل به في القليب (البئر) فغرزه في جوفه فحاش بالروء.
- (6) شفاء عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بإذن الله تعالى: اشتكى علي رضي الله عنه من رمد أصاب عينه يوم خيبر، فبصق صلى الله عليه وسلم في عينه فبرأ.
- (7) هم فضالة بن عُمير بن الملوحة قتل النبي صلى الله عليه وسلم: لما اقترب فضالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أفضالة؟ قال: نعم يا رسول الله ﷺ، قال: ماذا كنت تحدث نفسك؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله عزوجل، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدر فضالة فسكّن قلبه، فقال فضالة: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه.
- (8) الإخبار بالمغيبات: أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل الكعبة فمنعه عثمان من الدخول وذلك قبل الهجرة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، فلما فتحت مكة وأصبح المفتاح بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان وقال له: ألم يكن الذي قلت لك قبل الهجرة؟ فقال: بلى أشهد أنك رسول الله ﷺ.
- (9) الإخبار بالمغيبات: نكر بعض من أسلم حديثاً على بلال رضي الله عنه أن يؤذن فوق الكعبة، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: قد علمت الذي قلتم، ثم ذكر لهم ما قالوا فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ﷺ، والله ما اطلع على هذا أحد غيرنا.
- (10) المدد بالملائكة عليهم الصلاة والسلام: أمد الله تعالى المسلمين يوم حنين بالملائكة عليهم السلام حتى رأهم الكفار فقالوا: رأينا رجالاً بيضاء على خيل بلق.

- 11) النمل الأسود: قال جُبَيْر بن مطعم: لقد رأيت والجيشان يقتتلان كسَاءً أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا هو نمل أسود منتشر قد ملاً الوادي.
- 12) حاول شيبه بن عثمان بن أبي طلحة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحيل بينه وبين رسول الله ﷺ من جميع جهاته (أبوسفيان والعبّاس) قال شيبه: فلما دنوت منه من الخلف رُفِعَ إليّ شواظ من نار كأنه البرق.
- 13) بعد أن أخذت هوازن تنهزم أخذ صلى الله عليه وسلم حجارة صغيرة ورمى بهنّ في وجوههم وقال انهزموا ورب الكعبة! انهزموا ورب الكعبة!.
- 14) وفي غزوة الطائف فُقُتت عين أبي سفيان رضي الله عنه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيهما أحب إليك عين في الجنة أو ادعو الله أن يردها عليك؟ فقال رضي الله عنه بل عين في الجنة ورمى بها.
- 15) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنزال المطر بعد نفاذ الماء أثناء المسير لتبوك، فأرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى ارتوى الجيش واحتملوا حاجتهم.
- 16) وقوع ما حذر منه صلى الله عليه وسلم أثناء المسير لتبوك قال صلى الله عليه وسلم: لا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له، ففعل الجيش إلا رجلين، أحدهما ذهب لقضاء حاجته فُخِنِقَ على مذهبه، والآخر ذهب في طلب بعيره فاحتلمته الريح حتى طرحته بجبلي طي وعندما علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: ألم أتحكم أن لا يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه.
- 17) الإخبار بالمغيبات: ضاعت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم المنافقون بذلك قائلين: رسول الله لا يعلم مكان ناقته، فقال صلى الله عليه وسلم: إنها بمكان كذا كذا وقد حبستها شجرة بزمامها، فذهبوا إليها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم.
- 18) الإخبار بموت أبي ذر رضي الله عنه: أخبر صلى الله عليه وسلم بموت أبي ذر وحيداً ومشيه وبعثه، فوقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

19) وفي أثناء رجوعه إلى المدينة المنورة كان هناك ماء قليل يخرج من جبل بواد يقال له: المشقق فقال صلى الله عليه وسلم: مَنْ سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقي منه شيئاً حتى نأتيه، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم ير فيه ماء فقال: مَنْ سبقنا إلى هذا؟ قالوا: فلان وفلان فقال: أَلَمْ أَهْتَكُم أَنْ لَا تستقوا منه شيئاً حتى آتية ثم لعنهم، ثم نزل فوضع يده تحت الحجر فنزل من الماء ما شاء الله ثم مسح بيده ودعا بما شاء أن يدعو فأنخرق من الماء حس كحس الصواعق، وشرب الجيش ثم قال: لئن بقيتم أو بقي منكم لتسمعن بهذا الطريق وقد اخصب ما بينه وما خلفه.

20) وبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهباً إلى تبوك قال: إني بُشّرت بالكنزين فارس والروم، وأمددت بالملوك ملوك حمير يأكلون في الله ويجاهدون في سبيل الله، فلما رجع إلى المدينة المنورة جاء كتاب ملوك حمير يخبر بإسلام ملوك حمير.

21) الإخبار بالغيب: جاء رجل اسمه زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وطلب أن يذهب إلى أهله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا زيد تقتلك أم ملدم، فلما رجع إلى أهله حُمّ ومات.

22) الإخبار بالمغيبات: إخباره صلى الله عليه وسلم الجرشيين بمقتل قومهما قائلاً: إن بُدن الله لتنحر عنده الآن أي عند جبل يقال له: كشر وسماه النبي صلى الله عليه وسلم شكّر، وذلك على يد صُرد بن عبدالله الأزدي فدعا الرسول الله صلى الله عليه وسلم برفع القتل قائلاً: اللهم ارفع عنهم.

23) قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: إنك أول أهل بيتي لحوقاً بي.

24) كان إذا خرج صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجته أبعد وتحسّر (يتخلى) عنه البيوت فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتفت حوله يميناً وشمالاً فلا يرى إلا الحجر والشجر.

- (25) تَمَّ يا علي في فراشي فلن يصلك شيء تكرهه منهم.
- (26) يقول أبو جهل: يزعم محمد ﷺ إنكم إذا اتبعتموه ملكتم العرب والعجم وإن لم تفعلوا كانت لكم نار تحرقون بها، فأخذ صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب وهو يقول: نعم أنا أقول ذلك وأنت أحدهم.
- (27) انقطع سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذاً من حطب (ساق شجرة) فأصبح: سيفاً طویل القامة شديد المتن أبيض الحديد.
- (28) قبل معركة بدر قال صلى الله عليه وسلم: إني أرى مصارع القوم - هنا عتبة - هنا شيبة - وأخذ يعدد قتلى صناديد قريش فكان كما قال صلى الله عليه وسلم.
- (29) قعد عُمر بن وهب مع صفوان بن أمية ببناء الكعبة فقال عُمر: لو أجد مَنْ يعول أهلي من بعدي فأذهب إلى المدينة فأقتل محمد ﷺ، فقال صفوان أنا أعولهم لك، فركب عُمر حتى جاء المدينة وقد توشح سيفه ووضع فيه السهم، فلما وصل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ما جاء بك يا عُمر؟ فقال: أسرى بدر يا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما هذا السيف الذي تتقلد؟ فقال: وما نفعت يوم بدر، فقال صلى الله عليه وسلم: أدنو مني فدنا منه فقال له الرسول ﷺ: الذي دار بينه وبين صفوان فأسلم عُمر بن وهب قائلاً: والله ما كان إلا أنا وصفوان أشهد أنك رسول الله ﷺ.
- (30) رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عين قتادة بن النعمان بعد أن وقعت على وجنته فكانت أحسن من الأخرى وذلك في معركة أحد.
- (31) قال صلى الله عليه وسلم قبل معركة أحد: إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقرًا تُذبح ورأيت في ذبابة سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها بالمدينة وقال: أما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون، وأما الثلم في

ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُقتل، فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

32) دعا الرسول صلى الله عليه وسلم على ابن قمئة قائلاً: أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قَطَعَهُ قطعة قطعة.

33) قال أبي بن خلف بعد أن طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحربة وقد رجع خائفاً، قال لي محمد ﷺ بمكة: أنا أقتلك يا أبي، ومات عدو الله بسرف.

34) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي وقاص حين كُسرَت رباعيته ودمى وجهه الشريف قائلاً: اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً فما حال الحول حتى مات كافراً إلى النار.

35) أسلم عروة بن مسعود الثقفي بعد الفتح حيث أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخل المدينة المنورة، وطلب أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام فنصحه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: إنهم قاتلوك، فقال: أنا أحب إليهم من أبكارهم وأبصارهم وأنا فيهم مطاع، فخرج فلما أشرف عليهم ودعاهم للإسلام رموه بالنبل من كل جانب حتى قتلوه.

36) قوله صلى الله عليه وسلم لأبي جندل وأبي بصير ممن رُذوا بعد صلح الحديبية: إن الله جاعل لك ولمن معك مخرجا.

37) قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدي بن حاتم: إني لأرجو أن يجعل الله يده بيدي.

ملحق فضل الله تعالى

إن أكبر فضل وأعظمه هو أن يتفضل الله عزوجل عليك بنعمة الإسلام، فهي خير فضل وأجل نعمة وتعرف فضل هذه النعمة عندما تقرأ عن الذين أصابهم الله برحمته فتفضل عليهم بالهداية، والذين حرّمهم من رحمته وغضب عليهم فأضلّهم، وكما تعجب وأنت ترى إنساناً حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنوات عديدة ثم أسلم، فدخّل في رحمة الله تعالى وفضله، وإنساناً دافع عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم سنوات عديدة، ثم مات كافراً فدخّل في غضب الله تعالى ونقمته، كم تعجب وتعجب حتى يزول العجب عندما تعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله تعالى قبض قبضة فقال: هذه للجنة، وقبض قبضة فقال: هذه للنار.

وتعلم الحديث الذي علّم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقراء كيف يسبقون الأغنياء بالأجر حيث التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، فلما علّم الأغنياء أخذوا يسبحون ويحمدون ويهللون ويكبرون، فجاء الفقراء فقالوا: علّم الأغنياء فقالوا كما نقول، فقال صلى الله عليه وسلم: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وإليك هذا الملحق بمن تفضل الله عليهم من بداية الدعوة حتى آخر لحظة منها، وبمن حرّمهم الله تعالى من فضله والعياذ بالله تعالى:

1) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل نفر من المشركين ولو تعلقوا بأستار الكعبة لما كان من أذاهم بالمسلمين وهم:

- الحويرث بن نفيل / هلال بن خطل / هبار بن الأسود / مقيس بن صباية.

- عبدالله بن أبي السرج / عكرمة بن أبي جهل / قينتان لابن خطل .

- سارة مولاة لبني عبدالمطلب.

هكذا حكّم على هؤلاء بالقتل على الكفر ثم إلى جهنم وبئس المصير، إلا أنّ فضل الله أنقذ أناساً منهم رحمة بهم وحسب علّم الله تعالى الأزلي بسلامة قلوبهم منهم:

- هَبَّار بن الأسود الذي أسقط بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الناقة عندما كانت مهاجرة.
 - عبدالله بن أبي السرج.
 - عكرمة بن أبي جهل وهو معروف بحربه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
 - إحدى القينتين.
- أنظر كيف انتقى الله تعالى مَنْ أراد أن يتفضل عليه، ومَنْ حُرِّمَ من فضل الله تعالى من هؤلاء:
- الحويرث بن نفيل - هلال بن خطل - مقيس بن صبابه - إحدى القينتين.
- فقد قُتِلُوا كَفَّاراً مع إنهم كانوا في العدوَّة وإباحة الدم مع مَنْ تفضل الله عليهم.
- (2) وفي أثناء فتح مكة وبعد قول النبي صلى الله عليه وسلم: اذهبوا فأنتم الطلقاء قام نفر من خزاعة فقتلوا رجلاً مشركاً من هُذَيْل ودفعت ديتة فَحُرِّمَ من فضل الله تعالى ورحمته.
- (3) نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبه، وقال: يا شيبه اقترب فاقترب فوضع يده على صدره، فاستخرج الله تعالى الشيطانَ من صدره، فيقول شيبه: والله إنه هناك أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري، ولو لقيتُ أبي تلك الساعة لضربتُه بالسيف، مع إنه جاء ليثأر لأبيه الذي قُتِلَ في أحد.
- (4) قاد مالك بن عوف الحرب على المسلمين يريد استتصال الإسلام، فلما هُزِمَ بَعَثَ له الرسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جاءني مالك مسلماً رددتُ إليه ماله وأهله وأعطيته مائة من الإبل، فجاء وأسلم لينال فضل الله تعالى، في حين حُرِّمَ من فضل الله تعالى مَنْ كان جندياً في جيش مالك وَقُتِلَ كافراً، وهو دريد بن الصمَّة.
- (5) وحرَمَ من فضل الله تعالى عمرو بن ود العامري حين خيَّره علي رضي الله عنه بين الإسلام والقتال مع إنه كان مع عكرمة عندما تجاوز الخندق.

(6) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن زهير فَعَمِدَ كعب إلى حيلة يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فَتَنَكَّرَ ثم دخل المسجد ثم جلس إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن جاءك كعب بن زهير تائباً تقبل منه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم ، فقال كعب: أنا كعب يا رسول الله ﷺ، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله ﷺ دعني أضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه عنك فإنه قد جاء تائباً نادماً عما كان عليه.

(7) وَمَنْ حُرِمَ من فضل الله تعالى عامر بن الطَّقِيل وأريد بن قيس فقد قال قوم عامر لعامر: إن الناس أسلموا فأسلم فقال لهم: لقد كنت أود أن تتبع العرب عقيبي أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم تأمر على قتل النبي صلى الله عليه وسلم مع أريد بن قيس فعصم الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم من تأمرهما ودعا صلى الله عليه وسلم على عامر قائلاً: اللهم اكفني عامر بن الطَّقِيل، فلما خرجوا عائدين لبلادهم بعث الله تعالى على عامر الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول، وسأل قوم عامر أريد قائلين: ما وراءك يا أريد؟ قال: لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت إنه عندي الآن فأرمله بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقاتته بيوم أو يومين على جمل له فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما.

(8) كان يَمْزُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بآل ياسر فيقول لهم: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

(9) حكيم بن حزام رضي الله عنه، كان مع النفر الذين أرادوا الشرب من الحوض في غزوة بدر فقتلوا جميعاً إلا حكيم بن حزام نجحاً فأسلم، فنال فضل الله تعالى فكان يقسم والذي نجاني يوم بدر.

(10) وَمَنْ حُرِمَ من فضل الله تعالى، أعشى بن قيس جاء ليسلم فلقبه الكفَّار فقالوا له: إن محمدًا ﷺ يُحَرِّمُ الزنا فقال: هذه قد نستطيعها (نتركها) فقالوا له: إنه يُحَرِّمُ

الخمر فقال: إذا أرتوي من الخمر هذا العام، ثم آتية العام القادم فأسلم، فانصرف ثم مات فلم يأتي عليه العام القادم فمات مشركاً.

11) وممن فاته فضل الله تعالى قرمان، قاتل مع المسلمين حتى قتل سبعة من الكفار فذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه لمن أهل النار فتبعته الصحابة رضي الله عنهم فقال لهم: والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي وقتل نفسه.

12) وممن حُرِمَ من فضل الله تعالى (أبي طالب) فقد كفّل النبي صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ومنع عنه الأذى اثنتين وأربعين عاماً، ثم مات مشركاً إلى الجحيم.

13) وممن حُرِمَ من فضل الله تعالى عبد الله بن أبي ابن سلول فقد عاش مع المسلمين إلا أنه كان مبطناً للكفر، فلما توسّط ليهود قينقاع وألح في ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

ملحق الأوسمة النبوية الشريفة للصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين

1) وسام الرضا لأصحاب الشجرة: وقد فاز بهذا الوسام أصحاب شجرة الرضوان قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح 18) ثم قلّد الرسول صلى الله عليه وسلم أصحاب الشجرة وسام النجاة من النار فقال صلى الله عليه وسلم: لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة.

2) وسام الرضا لعبد الله المزني (ذي البجادين) رضي الله عنه أثناء العودة من تبوك مات عبد الله المزني رضي الله عنه، فكان أبوبكر وعمر يدلّيانه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في القبر فلما هبأه قال: اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه، وسمي ذي البجادين لأنه شق بجاده نصفين بعد أن كان قومه يريدون منعه من الإسلام، فتركوه في بجاد واحد (الكساء الغليظ).

3) وسام البشرى بالطيران في الجنة:

- 4) عن ابن جعفر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة عليهم السلام في السماء، وفي حديث آخر: إن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله عن يديه.
- 5) وسام الرضا بالتقبيل:
- 6) قَبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفرًا رضي الله عنه بين عينيه، وذلك بعد قدومه من الحبشة.
- 7) وسام المغفرة لأهل بدر:
- 8) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: وما يدريك يا عمر لعلَّ الله اطَّلَعَ على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.
- 9) وسام الشرف لأبي سفيان.
- 10) مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن.
- 11) وسام البشرى بالتوبة لكعب بن مالك:
- 12) قال النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك رضي الله عنه: أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك، فقال كعب: أمن عندك يا رسول الله ﷺ أم من عند الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل من عند الله.
- 13) وسام الرضا لعثمان بن عفان رضي الله عنه:
- 14) بقي عثمان رضي الله عنه - ينفق على جيش العسرة حتى قال فيه صلى الله عليه وسلم: ما ضرَّ عثمان ما عمل بعدها، وقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم أرض عن عثمان فإني عنه راضٍ.
- 15) وسام الرضا لعلي رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم لعلي: أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟.
- 16) وسام الصدق لذي العقيصتين: جاء ضمام بن ثعلبة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والصلاة وشعائر الإسلام، فلما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم قال: إذاً لا أفعل غيرها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة.

17) وسام الخيرية لزيد الخير: قال النبي صلى الله عليه وسلم في زيد الخيل: ما دُكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاء إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه، ثم سمّاه صلى الله عليه وسلم بـ"زيد الخير".

18) وسام استحقاق الإمارة لأسامة وزيد رضي الله عنهما: قال صلى الله عليه وسلم في إمارة زيد وأسامة رضي الله عنهما: وإِنَّهُ لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليق بها. 19) وسام السيادة لفاطمة رضي الله عنها: قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة.

20) وسام البشرى بالخور العين: بعد أن حاصر الرسول صلى الله عليه وسلم أحد الحصون لليهود، جاء الأسود الراعي للنبي صلى الله عليه وسلم ومعه غنم لأصحاب الحصن فقال: يا رسول الله ﷺ أريد أن أسلم فأسلم، ثم قال: وهذه الغنم هي أمانة عندي، فقال صلى الله عليه وسلم: اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى ربها، فأخذ الراعي الأسود حفنة من الحصباء فرمى بها في وجوهها وقال: ارجعي إلى صاحبك، فخرجت مجتمعاً كأنَّ سائِقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، وقاتل حتى استشهد وما صلى الله صلاة قط، وسُجِّي بشملة فالتفت إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أعرض فقال: إن معه الآن زوجته من الخور العين.

21) وسام البشرى بالجنة لخديجة رضي الله عنها: قال صلى الله عليه وسلم: أُمرت أن أُبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

22) وسام السلام من رب الأنام بوساطة جبريل عليه السلام: أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرئ خديجة السلام من ربها فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك،
فقالت: الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام.

23) وسام الخيرية لخديجة رضي الله عنها: قال صلى الله عليه وسلم: والله ما أبدلني
الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني
بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء .

24) وسام الطهارة لأهل البيت رضي الله عنهم: قال الله تعالى: (.....) إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب:33).

25) وسام المنزلة العظمى لأبي ذر رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم في أبي
ذر: (يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده) وفي غزوة تبوك
رأى شخصاً مقبلاً من بعيد فقال: (كن أبا ذر) فكان كما قال صلى الله عليه
وسلم.

26) وسام السبق بصورة القمر لعكاشة: قال صلى الله عليه وسلم: يدخل الجنة
سبعون ألفاً من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، قال عكاشة: أدع الله أن
يجعلني منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: أنت منهم أو اللهم اجعله منهم.

27) فقال رجل: أدع الله أن يجعلني منهم، فقال صلى الله عليه وسلم: سبقك بها
عكاشة.

28) وسام وجوب الجنة لطلحة بن عبيدالله رضي الله عنه: طلحة بن عبيدالله رضي
الله عنه عندما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره ونحض به حتى
استوى يوم أحد عندما أصيب النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه الشريف
وكُسر ربايعته، قال صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة: (أي وجبت الجنة).

29) وسام الترحيب والقبول لعلي رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم لعلي
رضي الله عنه عندما جاء خاطباً فاطمة رضي الله عنهما: مرحباً وأهلاً، فقال مَنْ
مع علي رضي الله عنهم وعنه: يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم

- إحداهما (يعني مرحباً أو أهلاً) ودعا لهما في زواجهما رضي الله عنهما اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما ونثر عليهما من ماء وضوءه.
- 30) وسام الحب والخيرية والعطف لفاطمة رضي الله عنها: قال صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة بضع مني يؤذيني من آذاها ويريني من رايها، خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية وحديجة وفاطمة، " إن الله ليرضى لرضاك ويغضب لغضبك ".
- 31) وسام الرفعة لحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم: جاءني جبريل فأخبرني إن حمزة بن عبدالمطلب مكتوب في أهل السموات السبع أسد الله وأسد رسوله.
- 32) وسام غسل الملائكة لحنظلة رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم لتغسله الملائكة.
- 33) وسام الحب للحسن والحسين رضي الله عنهما: قال صلى الله عليه وسلم: هذان ابناي وابنا بنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما.

● ملحوظة: الأحاديث الشريفة المكتوبة في هذا البحث كما هي من المراجع وكما رُوِيَ عن الرسول ﷺ.

**قَدْ تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ فَإِنْ أَصَبْتُ فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ وَخَدَهُ،
وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ،
وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ .**

المراجع

- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ضبطه وخرج أحاديثه سامي أنور جاهين، المكتب الثقافي مصر، 2004م
- ابن هشام، أبي محمد عبد الملك، سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الأولى 1981
- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، الطبعة الأولى 2003-2004م
- بنت الشاطيء، عائشة عبدالرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى 2003م
- رضا، محمد، الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 2002م
- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم الرفاعي و محمد العثماني، دار الأرقم، بيروت
- ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، الطبعة الثامنة 1984م
- عبد الوهاب، عبدالله بن محمد، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتبة السلفية
- عبد الوهاب، محمد، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتبة السلفية
- العلي، محمد ابراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، الأردن، الطبعة السادسة 1423، 2002م
- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة 2001م

المؤلف: الحاج بسام جميل الذيابات 0789445797

المبحث المُبكي في سيرة رسول الله ﷺ وبناته الأربع/بقلم الحاج بسام جميل محمد الذيابات 1	
آية من القرآن الكريم /أحاديث لرسول الله ﷺ	2
الإهداء.....	5
المقدمة.....	7

مدخل للبحث/ البحث

.....	9
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام	10

الفصل الأول

باب دخول عبادة الأصنام	12
باب أبرهة يغزو الكعبة.....	14
باب من عادات وأخلاق الجاهلية	15
باب قصة ماء زمزم (البداية).....	16
باب فداء والد النبي ﷺ.....	17

باب زواج والد النبي ﷺ من أمنة بنت

وهب 19

الفصل الثاني

باب الفراق بين والدي النبي ﷺ 19

باب موت عبدالله

والد النبي ﷺ 20

باب مولد رسول الله ﷺ

يتيماً 22

باب رؤيا عبد المطلب 23

باب حادثة شق الصدر 25

باب وفاة أم النبي ﷺ آمنه بنت

وهب 26

باب محمد ﷺ يبكي على أمه

..... 28

باب كفالة جده عبد المطلب 30

باب كفالة عمه أبي طالب 32

باب الراهب يشاهد خاتم النبوة 33

باب خروج النبي ﷺ للتجارة وزواجه من خديجة 35

- 35 باب رسول الله ﷺ يودّع ويكي ابنه
- 36 باب خديجة تبكي ابنها القاسم
- 36 باب رسول الله ﷺ يبكي ابنه إبراهيم
- 37 باب حادثة بنيان الكعبة
- 38 باب أهل الخمس
- 39 باب اقتراب موعد النبوة
- 39 باب قصة إسلام سلمان الفارسي
- 41 باب الله يُكرم محمداً ﷺ بالرسالة
- 43 باب الدعوة سرّاً
- 44 باب الجهر بالدعوة
- باب قريش تبدأ الحرب المدنية على رسول الله ﷺ
- 44
- 45 باب أبي طالب يدافع عن رسول الله ﷺ
- 46 باب إسلام سيدنا حمزة
- 46 باب أبي جهل يريد ضرب رسول الله ﷺ
- 47 باب قريش تسأل رسول الله ﷺ

- 48باب أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ
- 49باب الهجرة إلى الحبشة
- 50باب إسلام عمر بن الخطاب
- 53باب الصحيفة الظالمة
- 53باب المقاطعة الظالمة
- 54باب تمزيق الصحيفة الظالمة
- 55باب زوجة أبي لهب تريد ضرب النبي ﷺ
- 57باب قصة الطفيل بن عمرو
- 58باب قصة الأعشى بني قيس
- 58باب من إساءات قريش للرسول ﷺ
- 59باب قصة رجل من أراش
- 60باب قصة ركانة
- 60باب الإسراء والمعراج
- 64باب قريش تكذب رسول الله ﷺ
- 64باب دليل صدق رسول الله ﷺ

- 65باب موت المستهزئين برسول الله ﷺ
- الفصل الثالث**
- 66باب عام الحزن
- 67باب موت أبي طالب
- 69باب مضجع خديجة بنت خويلد
- 71باب رسول الله ﷺ يدفن زوجته خديجة
- 72باب نبي الله ﷺ وبناته الأربع
- 72باب منزل رسول الله ﷺ
- 74باب زينب الكبرى بنت رسول الله ﷺ
- 76باب زينب تحزن على أبيها رسول الله ﷺ
- 77باب قريش تظلم زينب بنت رسول الله ﷺ
- 78باب رسول الله ﷺ يتألم على ابنته زينب
- 80باب رسول الله ﷺ يبكي ابنته زينب
- 81باب رقية بنت رسول الله ﷺ
- 83باب رقية تودّع وتبكي ابنها الوحيد عبدالله
- 83باب رسول الله ﷺ يودّع ويبكي ابنته رقية

- 84 باب أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ
- 86 باب رسول الله ﷺ يودّع ويكي ابنته أم كلثوم
- 86 باب فاطمة الزهراء (أم أبيها)
- 87 باب فاطمة تعيش الأحداث المؤلمة
- 88 باب رسول الله ﷺ يتألم على ابنته فاطمة
- 89 باب زواج علي من فاطمة
- 90 باب علي يريد الزواج من بنت أبي جهل
- 91 باب فاطمة تشهد الفتح الأكبر
- 92 باب فاطمة تودّع بيت أبيها وقبر أمها
- 92 باب فاطمة وأطفالها يشاهدون المصيبة الكبرى (وفاة رسول الله ﷺ)
- 93 باب اليتيمة الوحيدة فاطمة
- باب فاطمة ترحل بسلام وتلحق بأبيها وأخواتها وتدفن في ثرى
طيبة 93
- 94 باب الزيادة في الإيذاء على رسول الله ﷺ
- 95 باب بيعة العقبة
- 96 باب البدء بالهجرة
- 96 باب قصة أبي سلمة

98	باب مؤامرة قريش لقتل رسول الله ﷺ
99	باب هجرة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة
100	باب سراقه يلحق برسول الله ﷺ
102	باب أول خطبة لرسول الله ﷺ
102	باب المؤاخاة
102	باب الأذان
105	باب اليهود تنثير الفتنة بين المسلمين
105	باب عمرو بن جحّاش يريد قتل النبي ﷺ
106	باب غزوة بُواط
106	باب غزوة العشيرة
106	باب غزوة بدر الكبرى
107	باب رسول الله ﷺ يخرج للحرب
108	باب قريش تدق طبول الحرب وتواجه رسول الله ﷺ
108	باب رسول الله ﷺ يدعو على قريش
110	باب المبارزة

110	باب رسول الله ﷺ يشاهد جبريل
الفصل الرابع	
110	باب التحام الجيشين
112	باب استمرار نزول الملائكة
112	باب مقتل أبي جهل
114	باب رسول الله ﷺ يبكي ابنته رقية
114	باب إسلام عمير بن وهب
116	باب غزوة بني سليم
116	باب غزوة السويق
116	باب غزوة ذي أمر
116	باب غزوة الفرع من نجران
117	باب حرب قينقاع
117	باب غزوة أحد
118	باب جيوش قريش تزحف لمواجهة رسول الله ﷺ
119	باب رسول الله ﷺ يلبس لامة الحرب
120	باب رسول الله ﷺ يأمر الرماة بعدم ترك الجبل

- 121 باب المعركة تبدأ
- 122 باب انسحاب الرماة
- 123 باب استشهاد سيدنا حمزة
- 123 باب رسول الله ﷺ يتعرض للضرب
- 124 باب نزول الملائكة نصره لرسول الله ﷺ
- 125 باب شأن قزمان
- 125 باب شأن عمرو بن الجموح
- 125 باب رسول الله ﷺ يَقْتُلُ أَبِي بن خلف
- 126 باب فاطمة تزيل الدم عن رأس رسول الله ﷺ
- 127 باب أبو سفيان يصرخ أعل هُبَل
- 128 باب سعد يودّع النبي ﷺ ويترك طفله يتيمه
- 129 باب رسول الله ﷺ يودّع ويبكي حمزة
- 130 باب صفية تودّع وتبكي أخاها حمزة
- 131 باب المرأة من بني دينار
- 132 باب قول وحشي في مقتل حمزة

- 133 باب وحشي يقتل مسيلمة الكذاب
- 133 باب الخروج إلى حمراء الأسد
- 134 باب رسول الله ﷺ يأمر بقتل بن المغيرة و الجُمحي
- 135 باب مقتل الصحابة عند الرجيع
- 136 باب بئر معونة
- 137 باب غزوة بني النضير
- 137 باب غزوة ذات الرقاع
- 138 باب غزوة بدر الآخرة
- 138 باب غزوة الخندق
- 139 باب خروج قريش لمواجهة النبي ﷺ
- 141 باب اليهود تنقض العهد مع رسول الله ﷺ
- 142 باب البلاء يشتد على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين
- 143 باب إصابة سعد بن معاذ
- 144 باب الملائكة تنزل بأمر الله وتهزم الأحزاب
- 145 باب الله يأمر محمداً ﷺ بالمسير إلى بني قريظة
- 147 باب سعد بن معاذ يحكم في بني قريظة

149	باب موت سعد بن معاذ.....
149	باب أم سعد تودع وتبكي ابنها.....
150	باب الخزرج تقتل سلام بن أبي الحقيق.....
152	باب إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد.....
153	باب غزوة بني لحيان.....
154	باب غزوة الغابة.....
155	باب غزوة بني المصطلق (في المريسيع).....
158	باب إسلام والد جويرية أم المؤمنين.....
160	باب خبر الإفك.....
161	باب عائشة وحيدة بعد رحيل الجيش.....
161	باب عائشة تمرض بعد عودتها من الغزوة.....
163	باب بريرة تدافع عن عائشة.....
164	باب براءة عائشة.....
165	باب أيوب يدافع عن عائشة.....
166	باب صلح الحديبية.....
168	باب قريش تبعث الخليس لمفاوضة رسول الله ﷺ.....
169	باب أبو بكر والمغيرة يدافعوا عن النبي ﷺ.....
170	باب رسول الله ﷺ يبعث عثمان إلى قريش.....
171	باب بيعة الرضوان.....
171	باب أمر الهدنة.....
172	باب رسول الله ﷺ يأمر أبي جندل بالصبر.....
173	باب رسول الله ﷺ يأمر الصحابة بالنحر والتحليق.....
174	باب رسول الله ﷺ يدعو للمحلقين.....
175	باب غزوة خيبر.....
175	باب عمر بن الخطاب يؤكد كلام النبي ﷺ.....
176	باب جيش غطفان يزحف لمساعدة أهل خيبر.....
177	باب رسول الله ﷺ يدخل ويقتحم خيبر.....
179	باب صفية تخشى الموت على ابنها.....

- 179 باب رسول الله ﷺ يتزوج صفية بنت حيي.....
- 180 باب عظم الشاة يخبر النبي ﷺ أنه مسموم
- 181 باب إسلام الأسود واستشهاده.....
- 182 باب الحجاج يسترد أمواله من مكة المكرمة
- 183 باب العباس يعلن انتصار رسول الله ﷺ.....
- 184 باب عودة بقية المهاجرين من الحبشة.....
- 186 باب عُمره القضاء / سنة السبع.....
- 187 باب رسول الله ﷺ يتزوج ميمونة بنت الحارث ..
- 188 باب غزوة مؤتة
- 188 باب وصية رسول الله ﷺ للجيش.....
- 189 باب بداية المعركة
- 189 باب خالد بن الوليد يترأس الجيش.....
- 191 باب غزوة ذات السلاسل
- الفصل الخامس**
- 191 باب غزوة الفتح
- 191 باب الأمر الذي أهاج فتح مكة المكرمة

- 192 باب عمرو بن سالم يستنجد برسول الله ﷺ
- 193 باب الخوف يصيب قريش
- 195 باب رسول الله ﷺ يأمر بالتهيؤ لفتح مكة
- 197 باب رسول الله ﷺ يخرج باتجاه مكة المكرمة خلفه كتائب الإسلام ...
- 197 باب إسلام أبي سفيان
- 199 باب رسول الله ﷺ يكرم أبا سفيان
- 200 باب كتيبة رسول الله ﷺ تدخل مكة المكرمة
- 200 باب أبو سفيان يصرخ من دخل داره فهو آمن
- 201 باب رسول الله ﷺ يأمر بقتل نفر من أهل مكة
- 202 باب رسول الله ﷺ يأمر بقتل أوباش قريش
- 202 باب رسول الله ﷺ يطهر الكعبة من الأوثان
- 203 باب فضالة يريد قتل رسول الله ﷺ
- 203 باب إسلام عثمان بن طلحة
- 204 باب أول آذان فوق الكعبة
- 205 باب رسول الله ﷺ يقف أمام باب الكعبة

- 206 باب غزوة حنين / سنة ثمان
- 206 باب خروج هوازن و ثقيف لقتال النبي ﷺ
- 207 باب رسول الله ﷺ يخرج للحرب
- 208 باب رسول الله ﷺ يلبس لباس الحرب
- 209 باب الأنصار تقول لبيك يا رسول الله ﷺ....
- 209 باب شبية يريد قتل رسول الله ﷺ
- 209 باب رسول الله ﷺ ينتصر
- 211 باب غزوة الطائف
- 211 باب رسول الله ﷺ يخرج بالجيش باتجاه الطائف
- 212 باب رسول الله ﷺ يحاصرهم ويرميهم بالمنجنيق
- 213 باب إسلام مالك بن عوف
- 214 باب رسول الله ﷺ يوزع الغنائم
- 214 باب الأنصار تبكي أمام رسول الله ﷺ
- 216 باب عُمره رسول الله ﷺ من الجعرانة
- 218 باب سرية علي إلى صنم طيء ليهدمه

220	باب إسلام عدي بن حاتم
221	باب غزوة تبوك
222	باب رسول الله ﷺ يأمر بحرق بيت سُويلم
222	باب البكاؤون
222	باب رسول الله ﷺ يأمر الجيش بالمسير
224	باب رسول الله ﷺ يبلغ عن ناقته
224	باب رسول الله ﷺ يترحم على أبي ذر
226	باب رسول الله ﷺ ينزل في تبوك
226	باب رسول الله ﷺ يترحم على عبدالله المزني
227	باب رسول الله ﷺ يأمر بهدم مسجد الضرار
227	باب قصة كعب بن مالك
230	باب توبة من الله على كعب بن مالك
232	باب حج أبي بكر الصديق /سنة تسع
232	باب عام الوفود
233	باب وفد عامر وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

- 234 باب وفد بني سعد بن بكر
- 235 باب وفد عبد القيس
- 235 باب وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب
- 236 باب وفد طيء
- 236 باب قدوم فروة بن مُسيك المُرادى
- 236 باب وفد كندة
- 237 باب وفد ناس من زبيد
- 237 باب قدوم صُرد بن عبدالله الأزدي
- الفصل السادس**
- 238 باب قدوم رسول ملوك حمير
- 238 باب إسلام فروة بن عمرو الجذامي
- 238 باب إسلام بني الحارث بن كعب بنجران
- 240 باب قدوم وفد همدان
- 240 باب خروج الأمراء والعَمال على الصدقات
- 240 باب حجة الوداع
- 241 باب دعاء رسول الله ﷺ للكعبة

- 242 باب خطبة الوداع
- 243 باب رسول الله ﷺ يودّع المسلمين
- 244 باب رسول الله ﷺ يبعث آخر بعثاً له
- 244 باب بداية المرض مع رسول الله ﷺ
- 245 باب رسول الله ﷺ يزور ويستغفر لأهل البقيع
- 246 باب رسول الله ﷺ يأمر بسكب الماء عليه
- 246 باب رسول الله ﷺ ينعى نفسه للمسلمين
- 246 باب رسول الله ﷺ يأمر أبا بكر أن يصلي بالناس
- باب الأنصار يجلسون بالمسجد بانتظار المصيبة الكبرى.....
247
- باب نساء الأنصار تتألم وتبكي رسول الله ﷺ قبل المصيبة الكبرى.....
247
- 247 باب رسول الله ﷺ يجلس أسفل المنبر.....
- 248 باب أبو بكر يسأل رسول الله ﷺ.....
- 248 باب العباس يقول: سوف يتوفى رسول الله ﷺ.....
- 249 باب فاطمة تذهب إلى والدها مسرعة.....
- 250 باب فاطمة تشاهد الموت في أعز من لها.....

250	باب ملك الموت يدخل على رسول الله ﷺ.....
250	باب رسول الله ﷺ ينتظر جبريل.....
251	باب فاطمة تقرب أطفالها من رسول الله ﷺ.....
	باب يوم المصيبة الكبرى (موت محمد ﷺ) (.....
	251
252	باب رسول الله ﷺ يرحل فتنعاه ابنته.....
252	باب أبو بكر يتجه مسرعاً إلى رسول الله ﷺ....
253	باب مدينة رسول الله ﷺ تكيه.....
253	باب المبايعه قبل دفن رسول الله ﷺ.....
254	باب عمر بن الخطاب يبايع أبا بكر الصديق
254	باب خطبة أبي بكر الصديق.....
254	باب جهاز رسول الله ﷺ.....
255	باب غسل رسول الله ﷺ.....
255	باب تكفين رسول الله ﷺ....
256	باب قبر رسول الله ﷺ.....
256	باب الصلاة على رسول الله ﷺ ودفنه.....

257	باب من تولى دفن رسول الله ﷺ
257	باب فاطمة تبكي وبكت مدينة رسول الله ﷺ
258	باب الخاتمة العلمية
261	باب ملحق المعجزات
267	باب ملحق فضل الله تعالى
	باب ملحق الأوسمة النبوية الشريفة
	270
274	المراجع
275	الفهرس
	والحمد لله رب العالمين .